

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2
ابو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها
واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

استراتيجيات الخطاب بين القصد و السلطنة
مقاربة أسلوبية تداولية
خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها
تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبة :

فاطمة عماريش

السنة الجامعية 2018/2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2
ابو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها
واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

استراتيجيات الخطاب بين القصد و السلطنة
مقاربة أسلوبية تداولية
خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها

تخصص: تحليل الخطاب

إشراف:

الأستاذ الدكتور علي ملاحي

إعداد الطالبة :

فاطمة عماريش

السنة الجامعية 2019/2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2
ابو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها
واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

استراتيجيات الخطاب بين القصد و السلطنة
مقاربة أسلوبية تداولية
خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية و آدابها

تخصص: تحليل الخطاب

إعداد الطالبة :
فاطمة عماريش

إشراف:
الأستاذ الدكتور علي ملاحي

أعضاء لجنة المناقشة :

- 1- أ.د خولة طالب الإبراهيمي.....رئيسا
- 2- أ.د علي ملاحي مشرفا و مقرا
- 3- أ.د مسعود صحراوي.....مناقشا
- 4- أ.د عمر بلخيرمناقشا
- 5- أ.د الزاوي لعموري.....مناقشا
- 6- أ.د مليكة بلقاسمي.....مناقشا

السنة الجامعية 2019/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي ثمرة هذا المجهود العلمي إلى القلوب الطيبة التي

حفتني بدعائها سرًا

و علانية

أمي ، أبي ، زوجي ، أخواتي ، صديقاتي

كلمة شكر

الحمد لله الذي أتمّ علينا نعمه السابغات ، و على حبيبهِ المصطفى

أزكى الصلوات

ثمّ ألهه رحمة على من خلد اسمه بالكلمات النيرات

"البشير الإبراهيمي"

ثمّ ألهه شكر لمن صيغ اسمه من علم القدر و ملاحه الطبع فعجزت عن

الوفاء بمعاني تقديرنا له الكلمات

"الأستاذ الدكتور علي ملاحي"

و الشكر من بعدهم موصول إلى كل من علمني

و إلى كل أهلي أزكى التحيات

مدخل

الربعد المنهجي للدرسين الأسلوبى والتداولى " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

I. مصادر الدرس الأسلوبى واتجاهاته

II. الدرس التّداولى المفهوم والمصادر واتجاهاته

III. بين الأسلوبية والتّداولية والبلاغة

مَقْدَحَةُ

يعد الخطاب إنتاجاً فكرياً يجسده المرسل عبر أدوات ، و آليات لغوية تنتظم في أسلوب يعكس خصوصية الأنا الباعثة ، و كيفية تعاملها مع الآخر "المتلقي " تبعاً لمقتضيات السياق، وذلك من خلال الكشف عن مبتغاه من وراء الخطاب كأن يسعى إلى فرض سلطته على المرسل إليه ، أو يتنازل عنها بغية تقريبه ، و كسب مودته وبالتالي بناء علاقات اجتماعية تنسجم بالقوة ، و الحميمية ، أو أن يسعى لإقناعه دون استعمال لسلطته .

يتوسّل المرسل لتحقيق ذلك خططا اصطلاح على تسميتها" بالاستراتيجيات الخطابية": إنها جملة الأساليب ، أو الأنساق اللغوية التي اطردت بعينها ، حيث شكلت ظواهر لغوية لفتت اهتمام الباحثين الذين تناولوها بالدراسة ، و التحليل باعتبارها تجلّ لكفاءة المرسل اللغوية ، و كذا التداولية بوصفها نتاج سلسلة من الإجراءات الذهنية التي يقوم بها المرسل، كل ذلك تكشف عنه لغة الخطاب التي تتبلور وفقا لمتطلبات السياق المتطلبات -الظروف، والعوامل المحيطة بعملية إنتاج الخطاب -حيث يضطلع كل من عاملي السلطة ، و المقاصد بدور أساسي في عمليتي البناء و التأويل . ذلك أن الكلام ، لا يستقيم كفعل -يمثل كباقي الأفعال الإنسانية شكلا من أشكال السلوك الاجتماعي - إلا إذا بني على قصد معين ، وتعد سلطة عاملا أساسيا يمنح الخطاب قوة إنجازية معينة ، كما أنها عامل مهم في توجيه المرسل نحو تبني استراتيجية خطابية مناسبة .

وعليه يمكن القول إنّ تحديد وظائف اللغة من منظور تداولي لا يتمّ إلا من خلال دراسة استراتيجيات الخطاب ، التي يتوخّاها المرسل، والتي لا يمكن تحديدها بمعزل عن مقصده وعن السياق بعناصره المختلفة.

انطلاقاً من هذا التّصور لأهمية الاستراتيجيات الخطابية ، وقع اختياري علي مدونة لغوية أقل ما يمكن أن يقال عنها أنّها جمعت بين روعة البيان و قوة التأثير ، و الاقناع حتى كأنك تقرأ للجاحظ بيانه، أو لابن المقفع كليته ،مما جعل هذه المدونة تنسم في بعدها التّواصلي بعمق يحتاج إلى سبر و اكتشاف ، و تدين بكينونتها لشخصية فاعلة ذات فريدة تأثيرية فاعلة في الكيان الجزائري خاصة ،و العربي الإسلامي عامة هو البشير الابراهيمي .

إنّ الدافع الرئيس لاختياري هذه المدونة ،إنّما هو السعي إلى إعادة الروح إلى خطاب يزال يحتاج إلى دراسة ،و قد كان سببا في تأطير الأصول اللّغوية العربية بما تحمل من زخم التاريخ ،و العادات و التقاليد - باعتبار اللغة هوية الإنسان الأولى- في الجزائر، بعد أن أجهد الاستعمار نفسه في طمس معالمها، إضافة إلى كون المدونة ذات بعد توجيهي إصلاحي إحيائي مميز.

و كذا الحاجة إلى نموذج خطابي توجيهي قائم على أساس من دراسة الشّخصية الجزائرية ومكامن التّأثير فيها، سيما و أنّها شخصية مرتبطة في سيرورتها الحياتية بالمهام القيادية في مجال التّوجيه ،و الإصلاح و التّغيير .

و عليه يغدو الكشف عن مختلف هذه الاستراتيجيّات ،وصورها الخطابية التي يكتنفها الخطاب التّوجيهي عند الإبراهيمي أمرا من الأهمية بمكان ، فما هي أبرز تلك الاستراتيجيات التي أسست لقيام الخطاب التّوجيهي عند البشير الابراهيمي ؟.

تلك هي الإشكالية الرئيسة التي روم الإجابة عنها في متن بحثنا الموسوم بـ
"استراتيجيات الخطاب بين القصد و السلطة مقاربة أسلوبية تداولية الخطاب
التوجيهي أنموذجا "

منهج البحث :

ينطوي خطاب البشير الابراهيمي على ظواهر أسلوبية جعلته يتسم بالفرادة الأمر الذي دفعني إلى الاستعانة بالمنهج الأسلوبي ،الذي يرصد العمل الأدبي انطلاقا من المقولات الثلاث (الاختبار ، التركيب ، الانزياح) .

ولأنّ استراتيجيات الخطاب تعنى بدراسة الانجاز اللغوي (اللغة في الاستعمال) ، فإنّ الأمر يفرض علينا إتباع منهج يعتد بالسياق، وأثره في بنية الخطاب ومعناه ، ألا وهو المنهج التّداولي بوصفه أداة إجرائية تجاوزت البحث في المستوى الدلالي إلى البحث في علاقة العلامات اللّغوية بمؤوليتها (المستوى التّداولي) ،و بالتالي فإنّه يعني بدراسة مقاصد المرسل وكيفية تبليغه في مستوى يتجاوز الدلالة الحرفية للقول ، كما يعنى بكيفية توظيف المرسل لمختلف مستويات اللغة في سياق معين ، وذلك من خلال الربط بين الإنجاز اللّغوي ، ومختلف العناصر السّياقية " كالزمان و المكان ، والمعتقدات و الظروف : نفسية ، اجتماعية ... "، تلك العناصر التي تسهم بدورها في عملية تأويل الخطاب وتحديد المقاصد و السلطة لدى المرسل إليه .

وعليه يغدو الكشف عن مختلف هذه الاستراتيجيات، وصورها الخطابية في التعبير عن مقاصد المرسل و التدليل على سلطته أمرا من الأهمية بمكان ، ذلك أنّ بناء الخطاب أيا كان نوعه لا بد وأن يستند إلى قصد يصوغه ، و سلطة تمنح الخطاب قوة إنجازية معينة .

خطة البحث : أملت علينا طبيعة الموضوع خطة البحث الآتية :

مقدمة

مدخل بعنوان : البعد المنهجي للدرسين الأسلوبي و التدأولي " الرؤية / الاختلاف / الائتلاف " ، حوى حديثا عن الأسلوبية و التدأولية كمنهجين لمقاربة الاستراتيجيات الخطابية .

أما الفصل الأول و قد جعلناه بعنوان : " السياق و أثره في اختيار الإستراتيجيات الخطابية " ، فقد تضمن حديثا عن السياق و عناصره ، و دوره في عملية الفهم و الإفهام ، هذه العناصر التي تشكل بدورها عوامل مؤثرة في اختيار الخطط أو الأساليب أو الاستراتيجيات الخطابية التي تصنف وفق معايير لا تتسلخ عن طبيعتها السياقية كمعيار هدف الخطاب و معيار العلاقات الاجتماعية ...

أما الفصل الثاني فقد عنونته بـ " البنى الأسلوبية في خطاب البشير الإبراهيمي " شكل هذا الفصل محاولة للكشف عن البنى الصوتية ، و الدلالية و التركيبية التي انبنى عليها الخطاب التوجيهي عند هذا العلم " البشير الإبراهيمي

و التي جعلت خطابه يتسم بصفة الفريدة .

أما الفصل الثالث فوسمته بـ " الاستراتيجية التوجيهية، و التضامنية في خطاب البشير الإبراهيمي المفهوم / التجلّيات / الآليات " ، حيث حاولت وهنا استجلاء الآليات اللغوية و غير اللغوية التي أطرت خطابه و جعلته ذا بعد توجيهي تضامني .

الفصل الرابع فقد كان بعنوان " الاستراتيجية التلميحية، و الإقناعية في خطاب البشير الإبراهيمي المفهوم / التجلّيات / الآليات " ، حيث كشفت عن تمظهر الآليات اللغوية و البلاغية ، و المنطقية التي جعلت من خطاب الإبراهيمي مدونة ذات بعد تلمحي إقناعي.

و أخيرا خاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصل إليها.

ولعل ما شجعني على تناول هذا الموضوع هو تلك الدراسة التي قدمها عبد الهادي بن ظافر الشهري "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية" وما قدمه طه عبد الرحمن في كتاب اللسان والميزان و كذا كتاب مسعود صحراوي " التداولية عند العلماء العرب " و كتاب جيوفري لينش مبادئ التداولية ، ثم كتاب فان ديك النص و السياق ، و كتاب جاك موشلار و آن ربول ، التداولية علم جديد في الواصل كتاب Austin : "Quand dire c est faire إضافة إلى المجلات الدوريات متخصصة من قبيل : مجلة "اللغة العربية" التي يصدرها المجلس الأعلى ، و مجلة عالم الفكر .

على أننا نشير إلى أنّ البحث في هذا الميدان لم يكن يسيرا نظرا لتشعبه

وفي ختام هذه المقدمة أودّ التعبير عن شكري الخالص، و امتناني العظيم للأستاذ الدكتور "علي ملاحي" الذي شرفني برعاية هذا البحث منذ البداية حتى النهاية والذي وجدته أبا كريما، و أستاذا قديرا لم يخل علي بتوجيهاته القيّمة فله تعود حسنات هذا البحث.

كما لا أنسى في هذا المقام أن أتقدّم بجزيل شكري لكلّ من قدّم لي الدّعم المادي و الرّوحي ، اللّذين لولاهما ما كان لهذا البحث أن ينجز .

I. مصادر الدرس الأسلوبي و اتجاهاته :

1- مفهوم الأسلوبية :

ليس غريبا أن تكون العلاقة بيننا وبين الكلام أقوى عرى من جميع حبال مراسي العالم ذلك أن «اللغة نشاط الروح الإنسانية و جهاز تكوين الأفكار»¹ كما أنها «عين الإنسان إلى الوجود ، و هي أيضا طريقته في تركيب هذا الوجود و بنائه »² ، فهي تختزن قدرة إبداعية تنتج كائناتها ، فلا يكون الهدف فيما تقول إنما الهدف كيف تقول .

إنّ السؤال عن كيفية صياغة القول كان مناط قيام الأسلوبية ، هذا المصطلح الذي يُرى - على حد تعبير المسدي- حاملا الثنائية الأصولية ، فسواء انطلقنا من الدال اللاتيني و ما تولد عنه في مختلف اللغات الفرعية ، أو انطلقنا من المصطلح الذي استقر ترجمة له في اللغة العربية وقفنا على دال مركب جذره من " أسلوب style و لاحقته "ية " ique" ، و خصائص الأصل تقابل انطلاقا أبعاد اللاحقة فالأسلوب ... ذو مدلول إنساني ذاتي ، م بالتالي نسبي، و اللاحقة تخص - فيما تخص به - بالبعد العلماني العقلي ، و بالتالي الموضوعي، و يمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلولين بما يطابق عبارة علم الأسلوب " science du style " لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب ³

هذه الثنائية الأصولية التي تحيلنا على حقل معرفي متشعب، استنزف جهد الباحثين سعيا إلى وضع حد جامع مانع لمفهومها ، فتحد حينها بكونها " البعد اللساني لظاهرة الأسلوب

¹- تشيتشيريون الأفكار و الأسلوب دراسة في الفن الروائي و لغته ، ترجمة حياة شرارة دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة و الاعلام بغداد العراق دط ، دت ، ص 19 .

²- جبرو الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري حلب سورية ، ط/2 ، 1994 ، ص 6 .

³- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الاسلوب الدار العربية للكتاب ط/3 دت ، ص 33 ، 34

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

طالما أنّ جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغته الإبلاغيه ¹ ، باعتبارها أحد أفنان اللسانيات العامة ، فأول من أرسى دعائمها ، و نادى بمشروعيتها ضمن هذا الحقل شارل بالي أحد طلبة دي سوسير الذين تبنوا فكره خاصة ثنائية اللغة ، و الكلام ولئن كانت اللسانيات عند دي سوسير منوطة بدراسة اللغة في بعدها التجريدي، فالأسلوبية في عرف بالي لا يمكن أن تتصل إلا بالبعد العملي المحسوس ، أو ما يسمى عبارة ، أو خطاب ، أو نصا أو رسالة ، بحيث يقوم جوهر هذه الدراسة لدى بالي على ما في : " اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والارادية ، و الجمالية بل حتى الاجتماعية و النفسية ، فهي إذا تتكشف أولا و بالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر الفني " ² إنها لا تقتصر على خطاب دون آخر، فهي مطلقة حيث ما كان الكلام قبل أن تصبح وقفا على كينونة الخطاب الأدبي على يد طلبة بالي سعيًا منهم لتأسيس علم تحليلي تجريدي على غرار اللسانيات ، يهدف إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلي يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية.

قد ينحصر هذا البعد اللساني لتعريف الأسلوبية إذا ما خالط حدود البنوية حتى يقتصر على البحث عن النص في حد ذاته بمعزل عن كل ما يجاوزه ، من ظروف تاريخية ونفسية قد يكون لها أبعد الأثر في صيغته فكل نص من خلال هذا المنظور "يشكل بنية فريدة يأخذ منها آثاره الخاصة بمعزل عن أي نص آخر" ³ .

و يتخذ تعريف الأسلوبية بعدا آخر حين تمحيص أدواتها الإجرائية التي تدلك أصالة على العلاقة الوطيدة التي تربط بينها ، و بين البلاغة حيث " تنقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا

¹ - نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري و السردي دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر 2010 ج 1 ص 13

² - المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 41.

³ - بير جيرو، الأسلوبية ، ص123.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الانتماء "

تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي ، و تنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها بلاغة مختزلة "1" فالبلاغة هي أسلوبية القدماء ، و هي علم الأسلوب كما كان يمكن لعلم أن يدرك حينئذ "2" و الأسلوبية هي بلاغة حديثة "3" ، فكلاهما " فن الكتابة ، و فن التركيب ، و فن الكلام و فن الأدب "4 غير أن ما يمنع تماهي حدود الأسلوبية في حدود البلاغة ، كون الأسلوبية علما وصفيا يعزف عن إبداء الأحكام التقييمية ، كما أن اللغة في نظر الأسلوبيين غير ثابتة ، إنها زبئية تختلف باختلاف قائلها ، وظروفهم ساعية إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها ، في حين تنظر البلاغة إلى اللغة على أنها شيء ثابت لتسطر وفق هذا المنظور جملة من الأحكام المعيارية التي لا يجب لأي أديب الحياد عنها ، لتضع بذلك النص ضمن أطر مسبقة ، و تصنيفات جاهزة ، فمنحى البلاغة إذن منحى " متعال بينما تتجه الأسلوبية اتجاهها اختباريا معنى ذلك أن المحرك للتفكير البلاغي قديما يتسم بتصور ماهي بموجبه تسبق ماهيات الأشياء وجودها ، بينما يتسم التفكير الأسلوبية بالتصور الوجودي الذي بمقتضاه لا تتحدد للأشياء ماهياتها إلا من خلال وجودها ، لذلك اعتبرت الأسلوبية أن الأثر الفني معبر عن تجربة معيشة فرديا "5 .

و قد تعني الأسلوبية رفع الحواجز بين اللغة و تاريخ الأدب لتستحيل بذلك " عملية نقدية ترتكز على الظاهرة اللغوية ، و تبحث عن أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه "6 بما أن مصبها النقد ، و به قوامها حسب ما يذهب إليه بيير جيرو ، كونها تدرس عناصر

1 - هينرش بليث البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة محمد العمري ، أفريقيا الشرق

المغرب 1999 ص 19

2 - بييرجيرو ، الأسلوبية ، ص 27

3 - المرجع نفسه ص 9

4 - المسدي الأسلوبية و الأسلوب ص 45

5 - المرجع نفسه ص 54

6 - يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الروية و التطبيق دار المسيرة عمان الأردن ط1، 2007 ص 52

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

ومقومات النص الأدبي الفنية ، و الإبداعية متخذة من اللغة ، و البلاغة جسرا لوصف النص ، و قد تقوم أحيانا بتقييمه وفقا لمنهجها القائم على الاختيار ، و التوزيع مع مراعات الجوانب النفسية ، و الاجتماعية ، و التاريخية ، فيما يذهب الدكتور لطفي عبد البديع إلى القول أن النقد الحديث قد استحال إلى نقد للأسلوب ، و صار فرعا من فروع علم الأسلوب و مهمته أن يمد هذا العلم بتعريفات جديدة و معايير جديدة ¹ .

ينفي عبد السلام المسدي أن تؤول الأسلوبية إلى نظرية نقدية تحيط بكل أبعاد الظاهرة الأدبية ، فضلا عن أن تطمح إلى نقض النقد الأدبي أصوليا ، و علة ذلك عنده أنها " تمسك عن الحكم في شأن الأدب من حيث رسالته ، فهي قاصرة عن تخطي حواجز التحليل إلى تقسيم الأثر الأدبي بالاحتكام إلى التاريخ ، بينما رسالة النقد كامنة في إمطة اللثام عن رسالة الأدب ، ففي النقد إذن بعض ما في الأسلوبية و زيادة ، و في الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه " ² فالأسلوبية إذن " مغايرة للنقد و لكنها ليست هادمة له أو وريثته ، و علة ذلك أن اهتمامها لا يتجاوز لغة النص ، فوجهتها في المقام الأول وجهة لغوية أما النقد فاللغة عنده هي أحد العناصر المكونة للأثر الأدبي " ³ .

يتموقع النقد من الأسلوبية في خط مواز ، بالرغم من أن العلاقة بينهما هي علاقة ذات اتجاهين أخذ و عطاء ، بحيث لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر ، فالدراسة اللغوية "ليست و لن تكون قط هي كل التحليل الأدبي و أن المحلل الأدبي فقط ، و ليس اللغوي هو الذي يستطيع أن يحدد مكان علم اللغة و الدراسات الأدبية " ⁴ .

1- لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة و الاستيطيقا دار المريح للنشر الرياض المملكة العربية السعودية ط 1989 ص 123 124 .

2- المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ص 119 .

3- سليمان فتح الله الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية مكتبة الآداب القاهرة مصر ط 2004 ، ص 37 38 .

4- علي عزت ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب شركة أبو الهلال للنشر ، القاهرة مصر 1996 ص 4 .

و لئن كانت الأسلوبية محددا لنوعية الحريات داخل النظام اللغوي فإنها بالمقابل " رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة " ¹ ، فالقواعد النحوية هي : " العلم الذي لا يستطيع الكاتب أن يصنعه " ² ، و لا يجوز للأسلوبية أن يجهله كونه " العلم الذي يقدم لدارس اللغة الصيغ ، و التراكيب التي تشمل عليها امكانات الاستعمال اللغوي الصحيح " ³ فمعرفة دارس الأسلوب بالظواهرات اللغوية ، و مقدرته على تحليلها هما دعامة ما يقدم من ملاحظات تتعلق بالنص المدروس .

2- مفهوم الأسلوب في الدراسات الحديثة :

لعل من أهم ركائز تحديد ماهية العلوم ، تحديد مجال دراستها و قد اختصت الأسلوبية بدراسة الأسلوب ، هذا المفهوم الذي نال حده التعدد بفعل تعدد المقولات التي تستند إليها الظاهرة الأدبية – كمقولة المؤلف ، النص ، القارئ - فمن زاوية المؤلف – باعتباره الذات المبدعة للنص – يحد بكونه " صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره و كيفية نظره إلى الأشياء ، و تفسيره لها و طبيعة انفعالاته " ⁴ .

معنى هذا أن الأسلوب هو فلسفة الكاتب في الوجود يكسو فكره ثوبا يعكس نمط حياته بكل أبعادها – سياسية ، اجتماعية ، فكرية – الأمر الذي يجعله مغرقا في الذاتية ولعل هذا ما يكسبه صفة الفرادة التي تميزه عن غيره من الأساليب .

لا يقتصر تحديد الأسلوب ضمن هذا المنظور بكونه مرآة عاكسة ، بل إنه يمتد إلى أبعد من ذلك حتى يمتزج بذات مبدعه ، فيغدو هو ذاته شخصية صاحبه ، على اعتبار أن

¹ عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ص 56.

² بيبير جيرو ، الأسلوبية ص 13.

³ محمد عبد الله جبر ، الأسلوب و النحو دراسة تطبيقية في بعض الظواهرات النحوية دار الدعوة للطباعة و النشر و التوزيع ط 1، 1988 ص 7.

⁴ أحمد الشايب الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر ط 8 1991 ص 134.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

"جوهر الإنسان كامن في لغته و حساسيته"¹ ، و هو ما يقرره بيفون بقوله " إنّ من الهين أن تنتزع المعارف ، و الأحداث ، و المكتشفات ، أو أن تبدل بل كثيرا ما تترقى إذا ما عاجها من هو أكثر مهارة من صاحبها ، كل تلك الأشياء خارجة عن ذات الانسان ، أمّا الأسلوب فهو الانسان عينه ، لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه "² .

إذا ما تتبعنا سير العملية الإبداعية بدا لنا جليا أنّ صيغة الخطاب لا يمكن أن تتبلور إلا بفعل طرف آخر ، هو المتلقي فاستحضار شخصيته بكل أبعادها حين الكتابة لدى الباحث أمر ضروري ، بما أنّ مناط قيام العملية الإبداعية هو حمل المتلقي على الفهم أو التأثير فيه ، بما تحمله كلمة "التأثير" من معاني الإقناع ، و الإمتاع و الإثارة ، الأمر الذي دفع رواد التّنظير إلى تحديد ماهية الأسلوب بأنّه "ضغط مسلط على المخاطبين و التأثير النّاجم عنه يصير إلى مفهوم الإقناع و الإمتاع "³ .

و يتبنى فلوبير المنحى نفسه فيعرف الأسلوب بأنّه " سهم يرافق الفكرة و يخز متقبلها "⁴ و يبدو هذا المنحى التعريفي أكثر موضوعية ، و تطورا عند ريفاتير حين يحدد الأسلوب بأنّه " إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، و حمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النصّ و إذا حللها وجد لها دلالات تميز ...مما يسمح بتقرير أنّ الكلام يعبر و الأسلوب يبرز "⁵ .

1- المسدي الأسلوبية و الأسلوب ص 67.

2- المرجع نفسه ص 67 .

3- عدنان بن ذريل ، اللغة و الأسلوب دراسة ط2 / 2006 ، ص 134 .

4- نور الدين السد الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص 82 .

5- المرجع نفسه ص83 .

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الاختلاف "

فهمة الأسلوب إذن تتمحور حول إبراز بعض عناصر النص ، التي تستحيل منبهات تستثير اهتمام القارئ الذي يتلقاها محاولاً فك شفراتها ، فيكون هذا المتلقي بمثابة " انقذاح شرارة الوجود للنص و لماهية الأسلوب " ¹ هذا ما يؤكد مقولة أن لا نص بدون قارئ.

أما تحديد الأسلوب من زاوية الخطاب في ذاته فهو "تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة" ² ، إنه حسب بالي " الاستعمال ذاته فكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر كما في مخبر كميائي" ³ ، معنى ذلك أن الأسلوب لا يتعلق بجزء من الخطاب فقط ، إنما هو وليد الائتلاف بين عناصر الخطاب ككل ، و تكاد تجمع أغلب التيارات التي تعرف الأسلوب من زاوية الخطاب على أن الأسلوب هو انزياح- انحراف - مفارقة عن " النمط المعياري " ، أو هو على حد تعبير ريفاتير " خرق للقواعد حيناً و لجوء إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر " ⁴ ، في حين يصف المسدي الانزياح على أنه صراع بين الإنسان ، و اللغة كونه عاجز عن الإلمام بجميع طرائقها ، و قوانينها من جهة ، و عجز اللغة عن الاستجابة لكل ما يمكنه من نقل كوامنه من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل فما كان على الإنسان حينئذ إلا " الاحتياي على اللغة و على نفسه ليسد قصوره و قصورها معا " ⁵ .

3- اتجاهات الأسلوبية :

لا يكتمل خلق النص إلا بثلاث عناصر: خالق " الباث " ، نظام لغوي " أسلوب " ، ومرسل إليه " متلقي " ، لأجل ذلك انشطرت الاتجاهات الأسلوبية في معالجتها لظاهرة الأسلوب إلى ثلاثة هي :

1- نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ص 87

2- عدنان بن ذريل ، اللغة و الأسلوب دراسة ص 135 .

3- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب 89 .

4- المرجع نفسه ، ص 103 .

5- المرجع نفسه ص 14.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

أ- الأسلوبية التعبيرية أو التكوينية أو أسلوبية الفرد : يرى مؤسسو هذا الاتجاه و على رأسهم شارل بالي أن الطابع الوجداني " الشحنة العاطفية "، هو العلامة الفارقة في أي عملية تواصلية لتكون مهمة الأسلوبية من هذا المنظور " البحث في علاقة التفكير بالتعبير و إبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوافق بين رغبته في القول و ما يستطيع قوله "1 إن زاوية النظر هذه دفعت بالي إلى الإعراض عن دراسة اللغة الأدبية ، والاقتصار على اللغة المستعملة التي هي أعلق بنفس قائلها و أكثر شفافية في ترجمة الواقع ،

ب - الأسلوبية الوظيفية البنوية : لقد حمل جاكبسون و من هنا نحوه التحليل الأسلوبية إلى مستوى بنية الخطاب الأدبي ، حيث لا تستأثر جزئية محددة بملكية الأسلوب إنما هو " ملك مشاع بين أجزاء الكل، و هذه الملكية تظل رهينة الانتلاف "2 ، فالظاهرة الأسلوبية منوطة ببنية النص الأدبي ، الذي اعتبره جاكبسون خطابا تغلبت فيه الوظيفة الشعرية التي للقول " فهو خطاب تتركب في ذاته و لذاته "3 ، بحيث تظهر الوظيفة الشعرية في هدف الخطاب رسالة مما يعني أن الرسالة هي التي تخلق أسلوبها "4 ، ليكون بذلك الأسلوب الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب ، و يتحدد بتوافق عمليتين متواليتين في الزمن ، متطابقتين في الوظيفة ، هما : الاختيار والتوزيع.

ج - الأسلوبية الإحصائية : لقد جنحت الأسلوبية إلى تبني الإحصاء في دراستها للنص الأدبي ، بغية تحقيق الموضوعية و محاولة تخطي العوائق التي تمنع من اكتناه مدى رفعة " فرادة " أسلوب معين ، ضمن ذلك الكيان " النص " المتعدد الهويات ، و المستويات ومحاولة تشخيصه حيث يمكن بواسطته " تحديد الملامح الأساسية للأساليب ،

1- حمادي صمود الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة الدار التونسية للنشر و التوزيع تونس دط1988 ص 89

2- المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 90.

3- المرجع نفسه ص 93 .

4- عدنان بن ذيل ، اللغة و الأسلوب دراسة ص 140.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

أو التمييز بين السمات و الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية ، و السمات التي ترد في النص ورودا عشوائيا ¹ ، إذ يعتبر الكم في حد ذاته " عاملا من عوامل البروز و الظهور فالمواد التي تتكاثر بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها نفسها ² ، إلا أنه و بالرغم مما يقدمه هذا المنهج من نتائج دقيقة ، و محددة بالأرقام و النسب لسمة أو أكثر من السمات اللغوية ، و رصد تكرارها يبقى عاجزا عن ملامسة الظلال الوجدانية ، و إحياءات النص الأدبي الذي لا يمكن ضبط حدوده حسابيا والذي هو أكبر من مجرد بنية.

من خلال العرض السابق نلاحظ أنّ الأسلوبية منهج يختص بتحليل النصوص الأدبية خاصة ، حيث يصف أدبيتها، و يبين خصائصها الفنية ضمن حدود البنية اللغوية الضيقة فهي منوطة باستجلاء حقيقة الرسالة في النص الأدبي دون الاقتراب من أي قبلات، أو مسبقات تتصل بأمور غير أدبية تلك الروافد الغائبة التي لها الدور الأساس في بناء روح النص كالظروف الاجتماعية ، و السياسية و الظروف المسبقة ، و أغراض القائل المقامية ، و الاستراتيجيات الخطابية للنص ، بما هو قول ، فالتحليل الأسلوبية يقف عند حدود اللغة و فقط ، فاللغة لديهم هي مادة النص، و أداة أساسية لفهمه، ولكن إذا كانت اللغة كذلك، فإنه يجب أن ننتبه إلى أنها " تحتوي على جوانب شديدة التعقيد تتطلب أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك شفراتها وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ولا يتسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة ، وصفاتها أو يفسر ظواهرها تفسيراً واضحاً يحيط بكنهها ، ومن ثم قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها. وقد سلكوا في ذلك مناهج متعددة يهدف كل منهج

1- الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية ص 37.

2- المرجع نفسه ص 124 .

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الانتلاف "

منها إلى وضع تفسيرٍ دقيقٍ لظواهر اللّغة، والمقصد من هذا إمطة اللّثام عن أبعاد اللّغة الدّلالية ومقاصدها في التّواصل الاجتماعي.¹

إنّ اللّغة ليست الأداة الوحيدة التي يجب أن تلفت انتباه الدارسين، و تصرفهم عن غيرها من أدوات النّص الأخرى ذلك أنّ " الأدب ظاهرة شمولية تجمع كل الظواهر الاجتماعية و التّقافية و الحضارية ... الخ ، و لا سبيل للأسلوبية بأدواتها اللّغوية البحتة أن تطمح إلى إطلاق الأحكام الاجتماعية و التّقافية ، أو سبر أغوار رؤى الكاتب الاجتماعية و غيرها بأدواتها اللّغوية الجزئية في النّهاية، و كل ما تستطيع الأسلوبية أن تقوم به هو النّظر إلى العمل الأدبي في ذاته باعتباره كيانا لغويا مغلقا يستقل عما حوله " ²، فدراسة المتن الظّاهر، سواء أكان من حيث تركيبه، أو دلالاته تبقى دراسة قاصرة بتراء ، فمكونات الخطاب "النّص" التي تدرسها العلوم الإنسانيّة هي مكونات لا تقبل الاختزال إلى مظهرها الإشاري الصرف ، كما هو معمول به في التّوجهات الاختزاليّة ذات النّزوع الموضوعي مثل السيّكولوجيا، السّلوكية، اللّسانيات البنيوية ، السميوطيقا الشّكلانية بل تتطلب معرفة بطابعها السّمائي الذي يجعل منها مكونات حية متفاعلة»³.

إنّ النظرة الشّكلية للخطاب تنتزع منه الروح، و تجعله أثرا لا طائل منه سوى تلك القراءات الناتجة عن مستحثة، وإن تعددت فهي مجرد صدى اجتري من حقيقة لا تكتمل إلا إذا زواج الشكل الروح، و التي ما فتئت الاتجاهات اللسانية التي عنيت بالجانب الاستعمالي للغة باحثة عنها متمثلة و بشكل خاص فيما يسمى بالتداولية ، هذا المنهج الذي

¹ - محمود عكاشة التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة راسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية دار النشر للجامعات ط1، 2011 ص 12 .

² - عياد محمود الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981 ص 130 تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي البلاغي ص 37.

³ - ينظر ،بوقرة النعمان ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،جامعة باجي مختار ،عنابة 2006 ص 106.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبي والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الاختلاف "

شددنا به عضد الأسلوبية بغية الوصول إلى تشكيل نظرة متكاملة للخطاب في جانبيه الشكلي، و الاستعمالي، لذلك كان لزاما علينا أن نرجع البصر في نظرة فاحصة إلى حقيقة المنهج التداولي ، و كيف يمكن أن نؤسس أرضية يتكامل فيها هذا المنهج مع الأسلوبية .

II. الدرس التداولي المفهوم والمصادر والاتجاهات :

1- مفهوم التداولية :

تعتبر التداولية* عند أوستين « جزء من علم أعم ، هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي ، و بهذا التعريف ينتقل أوستين باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير و التأثير »¹ . تعني إذن التداولية بالاتصال اللغوي في اطاره الاجتماعي الذي يؤثر بخصوصياته في الفعل اللغوي

* ترجمة للمصطلح الفرنسي *pragmatique* و الانجليزي *pragmatics* ينحدر من المصطلح اللاتيني *pragmaticus* الذي استخدم سنة 1440 ، و هو من الأصل اليوناني " *pragma* " الذي يعني العمل أو الفعل *action* ، و قد ذكر بعض الباحثين أن الفيلسوف و المنطقي و الرياضي تشارلز ساندرس بيرس " *Charles Sanders Peirc* " أنه أول من استخدم هذا المصطلح في علم اللسان ، و هو يتناول علاقة العلامة أو الرموز بالمدلول أو بالشئ ، و قد رأى أن السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات فالنائب أن بيرس مؤسس علم العلامات قد تأثر فيه بالبراجماتية فعرف بعلم العلامات البراجماتي ، و قد حملت العلامة عنده طابعا شموليا متغيرا ، و قد عدها كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية و الدلالية و البراجماتية في إطار حركة دائمة تسمى السيميوز ، و قد طور الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس فجعله علما عاما ضمن الفروع الثلاثة لعلم السيمياء عنده والمتمثلة في : علم التركيب- يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها البعض. علم الدلالة. و يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها. التداولية. تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيريها» - للتوسع أكثر ينظر كتاب *J.Caelen , Elements de linguistique et de la pragmatique pour la comprehension automatique du la langage , federation IMAG Grenoble Cedex 9 France* و ينظر *Joelle réthoré , la pragmatique linguistique de Peirce. études littéraires* 213*1989 .

1- راضية خفيف بكري ، التداولية و تحليل الخطاب الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق اتحاد الكتاب العرب ، العدد 399 ، تموز ص 56

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

إنّها تدرس "الملفوظات في سياقها التّواصلي ، فهي تحلل تأثير السّياق على ترجمة الملفوظات "1 .

كما تركّز التّداولية على القصديّة ، التي لا تتجلى إلا من خلال الحدث اللّغوي في مقام معين ، لذا فهي تهتم « بدراسة اللّغة التي يستعملها المتكلم في عملية التّواصل ، و عوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتّعبير عن مقصده »2 ، لتصبح بذلك قضية التّداولية هي «إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللّغوي ، و التّعريف على القدرات الإنسانية للتواصل اللّغوي، إذ تتطرق التّداولية إلى اللغة ،كظاهرة خطابيّة ،و تواصلية ، واجتماعيّة معا »3 ، و تصير التّداولية من ثم، جديرة بأنّ تسمى «علم الاستعمال اللّغوي»4 .

إنّ الحديث عن التّداولية كدرس له أسسه ،و مفاهيمه يقتضي منّا الإشارة إلى العلاقات القائمة بينه ،و بين الحقول المعرفيّة المختلفة ،لأنّها تدين بكيونيتها لتلك الحقول المفاهيمية التي ضمت مستويات متداخلة، كالبنية اللّغوية، و قواعد التّخاطب، و الاستدلالات التّداولية، و العمليّات الدّهنية المتحكممة في عملية الإنتاج و الفهم اللّغويين، و علاقة البنية اللّغوية بظروف الاستعمال.

لذلك تمثّل التّداولية في نظر الباحثين حلقة وصل هامة بين العديد من الحقول المعرفية منها: «الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، و منها علم النفس

1 La pragmatique linguistique étudie les énoncés dans leur situation de communication elle analyse donc l'influence du contexte sur l'interprétation des énoncés. Jean –baptiste vander Henst P5

2- ج براون ، ج سيرل ، تحليل الخطاب ، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي و منير التركي جامعة الملك سعود للنشر العلمي 1997 ص 32

3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، بيروت ،لبنان ،ط/2005، ص 16.

4-المرجع نفسه ص 17.

المعرفي ممثلاً في نظرية الملائمة *Théorie de pertinence* على الخصوص، و منها علوم التواصل، و منها اللسانيات بطبيعة الحال»¹.

2- مصادر الدرس التداولي المعاصر: تعتبر الفلسفة التحليلية أولى مصادر الدرس التداولي المعاصر، و التي ارتأت ضرورة الاعتناء بالبحث اللغوي، و جعله المدخل الأساسي و الأداة المعرفية الضرورية لدراسة موضوعات الفلسفة، متخذة لنفسها منطقاً واضحاً يكمن في: « إعادة صياغة الأشكال و الموضوعات الفلسفية على أساس علمي ... و يتمثل ذلك الأساس العلمي في اللغة ... و قد اعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي هو علامة قوة منهجهم و حقانيتها »².

و مهما يكن من أمر، فإنّ فلاسفة التحليل قد رأوا أنّ لا سبيل إلى فهم علاقتنا بالعالم، و بالكائنات، إلّا باللّغة ذلك أنّ: «جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا، و جميع العلاقات الذاتية مع الأفراد و المجتمع... قائم على أساس لغوي، و إن أراد أن يكون له معنى فالطابع اللغوي مرتبط دائماً و أبدياً بالفهم مادام المعنى الذي تنقله لنا اللّغة لا يصير ملموساً إلّا على هذا النحو، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوماً أولاً هو اللّغة»³. وباختصار نجمل مفهوم الفلسفة التحليلية في النقاط الآتية:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، و خصوصاً جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع التحليل اللغوي.
- تجديد و تعميق بعض المباحث اللغوية، سيما مبحث " الدلالة " و الظواهر اللغوية المتفرّعة عنه .⁴

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص16

² - المرجع نفسه20.

³- ينظر مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص،41.

⁴- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص، 21.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

و تنقسم الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات كبرى هي:

أ- **الوضعية المنطقية** يقوم هذا التيار الذي يتزعمه رودولف كارناب Rudolph Carnap على مبدأ أساسي ينص على: « استبدال اللغة المنطقية الصارمة بهذه اللغة العادية التي تُسَيَّ إلى الواقع بما تنطوي عليه من اعتباطية و تناقص و غموض، فسعى من ثم بوصفه عالم منطق و فيلسوف إلى تكوين لغة صناعية تتوفر لها متطلبات الصرامة و الدقة اللتين افتقدتهما في اللغة الطبيعية»¹.

إنّ سعي هذا التيار نحو تأسيس لغة صورية مصطنعة، أمر قد أوقع به خارج حيز البحث التداولي، ذلك أنه قد أقصى اللغات الطبيعية من اهتمامه متكرراً بذلك للقدرات التواصلية الهائلة التي تملكها اللغات الطبيعية، حيث تظهر القدرات التواصلية لهذه اللغات في استعمالها العادي، أي من قبل المتكلمين العاديين في الحياة الطبيعية العادية.

ب- **الظاهراتية اللغوية***: تتجاوز الظاهراتية اللغوية التي يتزعمها "أدموند هوسرل Ehusserl" البحث في مستوى اللغة المتجسدة كلاماً ، أو نصاً إلى البحث في الشروط الذهنية للأداء اللغوي ، فالظاهراتية: « علم يبحث عن كيفية إقامة علم كلي قبلي تنطوي

¹- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص: 44

* ارتبط أول ظهور لمصطلح *phénoménologie* بالفيلسوف و الرياضي الألماني J. H. Lambert في القرن 18 و يعني المصطلح علم أو نظرية الظاهر *L apparence* ، و الأصل اليوناني للمصطلح هو *phainoménon* و يعني حرفياً ما يظهر و ما يرى ، و يتعلق الأمر في الفينومينولوجيا بوصف الأشياء كما تظهر مما يعني وصف طريقة تجليها ، و لكي يظهر الشيء لابد أن يظهر لشخص ما فكل ظاهرة يفترض فيها وجود فاعل مما يعني عسر الفصل بين الفينومينولوجيا و التوجه العام للفلسفة الحديثة نحو الذاتية ، و قد استعمله هيجل لدلالة على حركة التجلي الذاتي للنفس المطلقة في التاريخ ، كما استعمله هاملتون أحد أبرز رموز الفلسفة الأخلاقية للدلالة على العلم الذي يدرس قوانين الفكر من وجهة نظر نفسية ، أما برنتانو فقد استعمله للدلالة على البسيكولوجيا الوصفية *la psychologie descriptive* و قد جعله الفيلسوف الألماني Edmond Husserl عنواناً جامعاً لمشروع و طريقة فلسفيين الكلمة المفتاح فيهما العودة إلى الأشياء ذاتها في إطار البحث عن اليقين ينظر أحمد الوردني نظرية المعنى بين التوصيف و التعديل و النقد ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، دط 2007 ، ص 143- 144 .

تحتة جميع العلوم الجزئية، فهي منهج يهدف إلى فهم المضامين العقلية التي تنطوي عليها الظواهر العالمية الكلية»¹.

إنّ البحث فيما وراء الكينونة اللغوية " المرحلة الذهنية " بحث في غاية التجريد لا يمتّ بأيّ صلة للاستعمال اللغوي الأمر الذي يجعل هذا المنظور في خانة سابقة.

إلاّ أنّه لا يمكن التّكرار لأهمّ مبدأ إجرائي استفادت منه اللسانيات التّداولية و هو مبدأ القصدية "intentionnalité" الذي استثمره الفيلسوف أوستين في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، و اتخذه سيرل أساساً لتصنيف القوى الإنجازية.

لقد خرج تيار الوضعانية المنطقية، و الظاهراتية اللغوية عن إطار البحث التّداولي بسبب عدم اهتمامها باللغة العادية، فهي تقصي القدرات التّواصلية التي تمتلكها اللّغات الطبيعية، و تقصّيها تماماً من نشاطها العلمي، بينما لا تظهر القدرات التّواصلية الفعلية للغات الطبيعية إلا في الاستعمال العادي، و لم يبق من ضمن التيارات الثلاث إلاّ التيار الأخير و نقصد به فلسفة اللغة العادية و هو الذي نشأ بين أحضانها ظاهرة الأفعال الكلامية

ج- فلسفة اللغة العادية: يعدّ فيتجنشتاين " I'Wittgenstein " مؤسس تيار فلسفة اللغة العادية، و هو يشارك الوضعانية المنطقية قناعتها بضرورة التّخلي عن الميتافيزيقا و تبني بحث فلسفي يتّخذ اللغة موضوعاً لدراسته، إلاّ أنّه يختلف عنها في نقطة جوهرية شكلت منطلقاً لبداية فلسفته، و قد أشار فيتجنشتاين في هذا السّياق أنّ «الإرباك الفلسفي ينشأ من سوء استخدام اللغة العادية، و لإزالة هذا الإرباك لا بدّ من إظهار الاستخدام

¹- المرجع السابق، ص:49

الصّحيح للمفاهيم الأساسيّة التي تُشكل الحديث في الفلسفة، و توضيح الطريقة التي يمكن أن تجعل استخدام الفيلسوف لهذه المفاهيم استخدامًا خاطئًا»¹.

و بهذا يبدأ فيتجنشتاين برسم أولى ملامح منهجه المعروف باسم "منهج ألعاب اللّغة". و الذي أوضح من خلاله كيف تستخدم اللّغة في استعمالها العادي من قبل المتكلّمين العاديين، و كيف يمكن أن يؤدي توسيع هذا الاستعمال إلى صعوبات فلسفية و منه رأى أنه من الضروري تخطي محاولة اكتشاف معاني مفاهيم معينة خلال عملية التّحليل بالمعنى الذي استخدمه "رسل" لتكون بذلك مهمة الفيلسوف محدّدة في « توضيح مغزى هذه المفاهيم بالإشارة إلى الطّريقة التي تستخدم بها في الواقع، لهذا قيل أنّ فيتجنشتاين كان مسؤولاً عن ذلك القول المشهور المميز لنشاط فلاسفة اللّغة: لا تسأل عن المعنى، بل اسأل عن الاستعمال»². فأهم ما ميز فلسفته التّحليلية بحثه في المعنى و ذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً و لا محدداً و دعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم " ³.

على أنّ التّراث الذي تركه فيتجنشتاين لم يكتسب مكانته الحقيقيّة في الدّرس اللّغوي المعاصر إلّا بعد أن تبناه نخبة من فلاسفة أكسفورد و هم أوستين J.L.Austin الذي بدا متأثراً في كتابه "عندما يكون القول هو الفعل" بفكر فيتجنشتاين، وسيرل searle الذي اتخذ من أفكار هذا الفيلسوف معياراً في دراسته للقوى المتضمنة في القول.

علماً أنّ المفاهيم التّداولية الأخرى لها منابعها الفكرية الخاصّة، إذ ينبثق مفهوم نظرية المحادثة من فلسفة جرايس المتمثل في مبدأ التّعاون ، و مسلماته الحوارية، فيما تعتبر نظرية الملازمة سلبية علم النّفس المعرفي مستغلّة إحدى مسلمات مبدأ التّعاون.

1- محمد مهران، دراسات في فلسفة اللّغة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1998، ص:40

2- المرجع نفسه، ص:41

3- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ ،مكتبة الآداب القاهرة مصر ط1 2013 ص 56

3- توجهات التداولية المعاصرة: تتلخص التداولية المعاصرة في نظر " فرانسيس جاك " في ثلاث نظريات معاصرة تشكل الأساس المعرفي :

- نظرية الأفعال الكلامية.
- نظرية الملفوظية.
- نظريات استراتيجيات الخطاب.¹

4- أبرز المفاهيم التداولية: يبنى البحث التداولي بإجماع جلّ الباحثين في هذا المجال على أربعة مفاهيم أساسية هي:

الإشاريات Deixis ، الافتراض المسبق presuposition ، والاستلزام الحوارى l'implication conversationnelle ، والأفعال الكلامية. les actes de langage .

أ- مفهوم الافتراض المسبق-presuposition* :

عند كلّ عملية تواصلية تنطلق الذوات المتخاطبة من معطيات أساسية تعدّ بمثابة الخلفية المشتركة فيما بينها، هذا ما يسمى بالافتراضات المسبقة و التي لا يصرح بها المتكلمون و هي تشكل « خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التبليغية، و هي محتواة في القول، سواء تلفظ بها القائل إثباتاً أو نفيّاً»² ،

و هكذا لو اخترنا قولاً ما ليكن هذا الاختيار نفيّاً فإنّ الافتراض المسبق يظلّ صالحاً.

ففي الملفوظ (1) مثلاً:

(1) – أغلق الباب

¹- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربى، ص54.
* الافتراض السابق أو الاضممارات التداولية في التواصل اللسانى هي المعطيات و الافتراضات السابقة التي تفهم من سياق الكلام او يتضمنها التركيب و تمثل الخلفية المعرفية لاطراف الحوار و تقوم على المسلمات الواقعية و الذهنية و هي من العوامل التي تحقق الفهم و يتسع مفهوم الافتراض السابق ليشمل المعلومات العامة و سياق الحال و العرف الاجتماعى و العهد بين المتخاطبين

²- جيلالى دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ترجمة محمد حياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ص34.

و فى الملفوظ (2)

(2) – لا تغلق الباب

فى كلا الملفوظين خلفية "افتراض مسبق" فحواها " أن الباب مفتوح"

- مثال آخر: فى مقام تواصلى معين، يقول الطرف (أ) للطرف (ب) كيف حال زوجتك

و أولادك ؟

يرد الطرف الثانى قائلا: إنها بخير، و الأولاد فى عطلة شكرًا.

فلافتراض المسبق ههنا للملفوظ يقتضى أن الطرف (ب) متزوج ، و له أولاد ، و أن

الطرفين (أ) و (ب) تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال.

و فى حالة ما إذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بين الطرفين فإن الطرف (ب)

يرفض هذا السؤال و يتجاهله.

فجيبه قائلا:

- لا أعرف.

- لست متزوجا.

- لقد طلقت زوجتي.

فمن هذا المنطلق ميز التداوليون بين نوعين من " الافتراضات المسبقة :

1- افتراضات مسبقة منطقية.

2- افتراضات مسبقة تداولية.¹

إذ يعتبر الملفوظ " لقد طلقت زوجتي " افتراضًا مسبقًا تداوليًا، بينما يعتبر الملفوظ "لست

متزوجًا " افتراضًا مسبقًا منطقيًا.

¹- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة فى القول، ص 59.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الانئلاف "

و تعتبر "الافتراضات المسبقة" ذات أهمية بالغة في عملية التّواصل ، و الإبلاغ فقد اعترفت التّعليمية Didactique بدور الافتراضات المسبقة، إذ لا تكمن وظيفة المعلم في تزويد المتعلم بمعارف جديدة إلاّ بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه ، البناء عليه ، أمّا مظاهر سوء التّفاهم التي تنطوي تحت التّواصل السيئ فسببها الافتقار إلى جملة الافتراضات المسبقة الضرورية لقيام أي فعل تواصلية.

ب- الاستلزام الحواري-*l'implication conversationnelle* *: لاحظ فلاسفة اللّغة العاديّة و خصوصا "جرايس" أنّ «النّاس في حواراتهم يقولون ما يقصدون و قد يقصدون أكثر مما يقولون، و قد يقصدون عكس ما يقولون ،و من ثم صبّ جُلّ اهتمامه على محاولة إيضاح الفروق بين ما يُقال وما تعنيه الكلمات، و العبارات بقيمها اللفظية، و ما يقصد و هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السّامع على نحو غير مباشر»¹. على افتراض أنّ المرسل إليه يستطيع إدراك مقصد المتكلم بما يتاح له من معطيات لغويّة ، و وسائل استدلاليّة، محاولا إقامة جسرٍ بين ما يقال، و ما يقصد و عندها كان ميلاد الظاهرة اللّغوية المسماة عند الفلاسفة عامة و جرايس خاصة بـ: " الاستلزام الحواري "

لوصف هذه الظاهرة يقترح جرايس مجموعة من القواعد تعد بمثابة الضوابط التّداولية للحوار، أطلق عليها اسم "مبادئ التّعاون" ذلك أنّ « حسن سير التّواصل، كما يرى جرايس، يتطلب التقيّد (احترام) بمبدأ التّعاون: و هكذا فإن المشاركين في عملية التّبادل

* يختلف مفهوم الاستلزام عن مفهوم الاقتضاء فالاستلزام مفهوم لساني براجماتي يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية ، و الاقتضاء يتميز بكونه لا يتغير بتغير ظروف العبارة فهو ملازم لها في جميع الأحوال و مبدأ الاستلزام الحواري أصيل في التراث العربي ، قال الرازي " إن اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى على لازمه " المحصول في أصول الفقه فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية ، ط 1 / 1988 ، ج 1 ص 219 وهذا الانتقال يعني عدم وجود الافتراض في معنى الجملة ، و لكنه اتصل بها برابط عقلي أو طبيعي أو اجتماعي ، و هو عند عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى قال " إن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ ، أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ المعنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مراجعة و تصحيح الامام الشيخ محمد عبده دار المعرفة بيروت 1981 ص 203

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جيدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

الكلامي بشكل عام يجمعون على هدف مشترك من الأهداف، أو يتفقون على انجاز مقبول من الجميع»¹.

يتفرّع هذا المبدأ العام إلى أربعة قواعد هي:

***مبدأ الكم quantité:** و تخص كمية الإخبار الذي يجب أن تلتزمها المبادرة الكلامية،

و تنفرّع إلى مقولتين

اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الاخبار.

لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب.

***مبدأ الكيف qualité:** و ينص على ما يلي:

لا تقل ما تظن أنه كاذب.

لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

***مبدأ الملائمة pertinence:** و هي عبارة عن قاعدة واحدة ، لتكن مشاركتك ملائمة.

***مبدأ الطريقة Modalité:** و تنص على الوضوح في الكلام و تنفرّع إلى ثلاثة قواعد

فرعية:

أ- /بتعد عن اللبس.

ب- تحرّ الإيجاز.

ت- تحرّ الترتيب.²

و تحصل ظاهرة الاستلزام الحواري عند خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة.

و يقترح غرايس تنميّطاً للعبارة اللّغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم على أساسها

الحمولة الدّلالية للعبارة إلى معانٍ صريحة و معانٍ ضمنية:

¹ - جان سيرفوني ، الملفوظية، ترجمة د.قاسم مقداد منشورات اتحاد الكتاب العرب د ت د ط، ص83.

² ينظر جيوفري ليتش مبادئ التداولية . ترجمة عبد القادر قنيني أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب ط 2013 ص 107.

1- المعاني الصريحة: و هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها و تشمل ما يلي:

أ- المحتوى القضوي: و هو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى البعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: و هي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوب ما، كالاستفهام و الأمر و النهي.

2- المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة و لكن للسياق دخل في تحديدها و التوجيه إليها و تشمل ما يلي:

أ - معاني عرفية: و هي الدلالات أو المعاني التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً و تلازم الجملة في مقام معين مثل معنى الاقتضاء.

ب- معاني حوارية: و هي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية.¹

ج - الفعل الكلامي-Acte de langage: و يسمى أحيانا الفعل اللغوي أو فعل الخطاب وهو أحد أبرز مفاهيم اللسانيات التداولية و يقصد به " الوحدة الصغرى التي بفضلها تتحقق اللغة فعلا بعينه " أمرٌ طلبٌ تصريحٌ ... " غايته تغيير حال المتخاطبين ، إنَّ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذ الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل التلفظ هذا و رأى أوستين أنَّ الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعدّ جوانب مختلفة للفعل الكلامي الكامل ألا و هي:

1-الفعل اللفظي- Acte Locutoire: و يقصد به: « إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم و ذات دلالة »² و يتكون الفعل اللفظي من:

¹- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في لقول، ص63.

² _ Acte Locutoire : « C'est la production de sons de mots entrant dans une construction et douce d'une signification» Austin, quand dire c'est faire paris le seuil 1970 P109

- فعل صوتي (إنتاج الأصوات)

- فعل تركيب (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين)

- فعل دلالي (ربط الأصوات بالدلالة)

2- **الفعل الانجازي: Acte illocutoire** : و هو الفعل الانجازي الحقيقي إذ « أنه عمل يُنجز بقول ما »¹ ، و هذا الصنف من الأفعال هو القصد من النظرية برمتها ، لهذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال "القوى الانجازية" كالأمر و السؤال .

3- **الفعل التأثيري- acte perlocutoire** : ويرى أوستين أن « القيام بالفعل اللفظي وما يصحبه من فعل انجازي قد يؤدي إلى التسبب بفعل ثالث و هو نشوء آثار في المشاعر و الفكر و من أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التظليل ، الإرشاد....»².

ينبني كل فعل كلامي على مفهوم القصدية إذ « تقوم مسلمة القصدية على أسس تداولية دراسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تفريعاتها و تعميقها التداوليون حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة »³.

فقد أضحى القصد قيمة تداولية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات النصية ويتأكد من خلال أعمال الفيلسوف سيرل الربط بين العبارة اللغوية و مراعاة مقاصد

² Acte Illocutoire : « Il s'agit d'un acte effectué en disant quelque chose » ibid P113

²Acte Perlocutoire : « produire un acte locutoire et par la un acte illocutoire, c'est produire 1encoure un troisième acte dire quelque chose provoquer souvent le plus souvent certains effets sur les sentiments les pensées.» Austin, quand dire c'est faire.P114

³- باتريك شارودو، لسانيات الخطاب. ترجمة محمد ياحياتن في اللغة العربية مجلة يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، دار هومة الجزائر، العدد 2، ص19.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الاختلاف "

المتكلمين , فقد عد الغرض الإنجازي But Illocutoire عنصرا أساسيا من مكونات القوة الإنجازية Force Illocutoire .

خصائص الفعل الكلامي: لاحظ أوستين أن للفعل الكلامي ثلاث خصائص:¹

- إنه فعل دال.

- إنه فعل انجازي، بمعنى أنه ينجز الأشياء و الأفعال الاجتماعية بالكلمات.

- إنه فعل تأثيري، بمعنى أنه يترك أثرا معينة في الواقع خصوصا إذا كان فعلاً

ناجماً.

د-الإشاريات- Deixis: و يقصد بها: «تلك العلامات التي لا تستطيع استقبال معنى إلا إذا كانت على علاقة وجودية مع الموضوع الذي تمثله»²، بمعنى أنها كلمات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي استخدمت فيه ، فلا يستطيع تفسيرها بمعزل عنه.

و لعلّ أكثر العناصر الإشارية تمثيلاً هي أنا , أنت , هنا، الآن، و هي عبارة عن كلمات تشير من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية ، و هذه العناصر هي المتحدث ، و المخاطب ، و مكان ، و زمان الملفوظية ، لكن هذه المرجعيات تدل على تلك العناصر وفقاً لطريقتها، أي أنها «تقوم بعكس حدوثها ، و هذا يعني أنه في كلّ مرة يتحدث فيها أنا، فإنّ هذه الكلمة لا يسعها إلا التّدليل على الفرد الذي قال أنا بهدف الحديث عن نفسه.أنت، لا يمكنه الإشارة إلا إلى الفرد الذي خاطبه المتحدث بهدف الحديث عنه باعتباره مخاطباً. هنا، و الآن لا يمكنها الإشارة إلا إلى مكان و زمان وقوع الملفوظ الذي يشكلان جزءاً منه»³.

¹- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص44.

²- جان سيرفوني، الملفوظية ص17.

³- المرجع نفسه ، ص18

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الاختلاف "

ينتج عن ذلك أنه من المستحيل عزو مرجع محدّد لتلك الكلمات إذا كنا نجهل - باعتبارنا مخاطبًا أو شاهدًا، أو عن طريق معلومات منعزلة عن عملية التّبادل الخطابي نفسها- عوامل (قوى ملفوظيّة فاعلة) الملفوظية، وإطارها الزماني، المكاني.

مما سبق ذكره يمكن القول أنّ المنهج التّداولي قد نأى بطريقته، و خصائصه عن المنهج الأسلوبية الذي حدّد قدرات المتكلم ضمن حدود دراسةٍ سميت " النّظام " ، فاستحال المتكلم آلة مبرمجة تسير وفق ما حدّد لها ، فالأسلوبية تقوم بالخطاب و على الخطاب لتبقى فيه فتحدده ، و تظهر ميزات ، و تشرح قوانينه ، فيما راح التّداوليون يصبون جلّ اهتمام على دراسة الكلام ، و سياقات استعماله المختلفة، و مقاصد المتكلمين ، فما يميز التّفسير التّداولي بطبيعته الاستدلالية حيث: «ينبغي السّامع بالتوصل إلى استدلالات عن المعنى الذي قصده المتكلم ، اعتمادا على شيئين الأول معنى ما قاله المتكلم و الثّاني الافتراضات المسبقة أو السياقية ، و المبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على اتباعها أثناء المحادثة و بهذا يصل السامع إلى متضمنات ما قاله المتكلم»¹ .

III. جدلية العلاقة بين التداولية و البلاغة:

إنّ سعي التّداولية إلى تحصيل المقاصد ، و البحث عن كيفية اشتغال اللّغة كمثير من خلال الكشف عن النّص و سياقه : " يغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال " ² ، حيث تتجلى هنا العلاقة المتينة بينها وبين البلاغة باعتبارها " فن القول بشكل عام " ، أو " فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ " ³ ، مما يجعلها أداة نفعية ذرائعية .

¹- جورج يول التداولية تر قصي العتّابي دار الأمان الرباط ط1 2010، ص13

²- صلاح فضل بلاغة الخطاب و علم النص المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ط1992 ص 98

³- المرجع نفسه ص 97

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

يرى الباحث " لوسبرج " " أن البلاغة نظام له الأشكال التصورية ، و البلاغة تصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد "1، فكلاهما يركزان على التشكيل اللغوي ضمن موقف معين مما يجعلهما تتفقان في اتخاذ اللغة وسيلة لممارسة الفعل على المتلقي " على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف "2 ، و منه فإن البلاغة على حد تعبير ليش " تداولية في صميمها ، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما "3 فيما يعتبر فرانسواز راستييه التداولية بديلا عن البلاغة الكلاسيكية ، حيث تتوسل أدواتها و تعمل على ميدانها " فحاولت التداولية - و هي فرع آخر من فلسفة الدلالة - أن تضع في الاعتبار البنى النصية عبر بحوثها في الحجاج ، و عبر تحليل المحادثات ... ، و كما بينا ذلك في غير هذا الموضع فإن التداولية قد عوضت البلاغة في جانب من الجوانب بعد انفجار الثالوث النحو البلاغة الجدل لذلك في تتخذ من التخاطب موضوعا لها بلا من النص في حد ذاته "4 ، حيث تجعل التداولية البعد الحجاجي - الإقناعي - أصلا تهتم به قبل أن تهتم بالبعد التواصلية فالقول حجاجي في مستواه الأول قبل أن تكون له مهمة تواصلية"5 .

غير أن وجهة النظر هذه قد تؤدي بالبعض إلى الاعتقاد بأن كل شيء بلاغة ، باعتبار أن لكل شيء أهدافه التفعيلية ، لذا فإن أصحاب الاتجاه التداولية يرون " أنه من الأنسب تضيق مجال دلالة البلاغة لأنهم يفهمون التداولية اللغوية الآن كتنظيم غير مخالف لعلمي

1- عمارية حاكم ، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقافي دار العصماء ط1 2014 91ص

2- صلاح فضل بلاغة الخطاب و علم النص ص 97

3- عمارية حاكم ، الخطاب الإقناعي ص 92

4- صابر الحباشة مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شرح التلخيص للخطيب للقزويني دار صفحات للدراسات و النشر دمشق سورية ط1 2011 ص 48

5- صابر الحباشة الأسلوبية و التداولية مداخل لتحليل الخطاب عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1 2011 ص 48

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

الدلالة و النحو ، و كل في المستوى المناسب ، إذ أنه يقوم بجمعهما في مستوى ثالث خاص بالسياق المباشر مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحو و الدلالة و البلاغة ¹ .

IV. بين الأسلوبية والتداولية والبلاغة :

إنّ البلاغة حقل معرفي تتفاعل في كنفه كل من التداولية ذات البعد البلاغي خاصة ما تعلق منها بالإقناع ، و الأسلوبية باعتبارها الوريث الشرعي للبلاغة ، حيث " استثمرت كلا من البلاغة الانشائية ، و البلاغة الإقناعية بل أكثر من ذلك فمباحثها عند مولنبيه لا يتجزأ عن الأسلوبية " ² .

غير أنه ينبغي الاحتراز من الخلط بين المنهجين التداولي ، والأسلوبية و إن اغترفا من المعين نفسه ، و شكل كل منهما منهجا من مناهج تحليل الخطاب ، و تقاطعا من بعض الجهات نحو اهتمامهما بالكيان اللغوي الذي يتجلى فيه القول ، إلا أنه سيبقى لكل منهما خصوصياته المعرفية التي تفصله عن الآخر فإذا كانت الأسلوبية منهجا يقف عند حدود بنية النص الأدبي ، مقدما فحصا لجمالياته فإنّ التداولية تركز على قيمة الأقوال العادية والأقوال الأدبية خارج حدود العالم اللساني أي البعد العملي للقول عامة فهي ترى أن الأقوال مسرح تظهر عليه ثلاثة مستويات من الفعل الكلامي :

الفعل الكلامي /الفعل الإنجازي /الفعل التأثيري

1- عمارية حاكم ، الخطاب الإقناعي ، ص 92

2- صابر الحباشة ، الأسلوبية و التداولية ص 43

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبي والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

و في هذا السياق يرى برونونيبير " أن كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ، و لمجرد كونه انتاجا كلاميا ، في حين أن القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التّكلم وحده " ¹ .

كما يرى مولنييه أن قيمة العمل الفني " الأدبي " هي قيمة إضافية لا وجود لها في أي مكون من مكوناته و بالرغم من ذلك فهي " تنتمي إلى طبيعة لغوية - و هذا هو طابعها المادي وتنتمي في الوقت نفسه إلى طبيعة الحدث غير اللّغوي بقدر ما يصبح الفعل اللّغوي نفسه حدثا في العالم ، تماما مثل اللوحة الفنية ، أو السيمفونية ، أو المنحوتة في عالم الأشكال الجمالية ، و مثل الطاولة أو المحرك في العالم الاجتماعي الاقتصادي هذه القيمة علامة الرهان البراغماتي و هي هدفه و نتيجة له " ² .

ويرى ذات الباحث أن القيمة للعمل الفني ذي الصبغة الأدبية الفنية " تقوم بعملية إبدال و تحويل ، و تصعيد بحيث تجعل من العمل الكتابي شيئا فنيا ، و تضع هذه القيمة النشاط الكتابي على أساس كونه ممارسة للمرجعية الذاتية في العمل اللّغوي إن الفعل اللّغوي الذي يتسم بكونه أدبيا هو تأثيري ، أو لا يكون شيئا فالأدبية هي إنجازية مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية ، أي إن الفعل الخلاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء " ³ يخلص الدكتور صابر الحباشة في نهاية المقارنة التي عقدها بين المنهجين الأسلوبي و التّداولي إلى القول أنهما تتوازيان توازيا يشاكل ذاك الذي شهدته تاريخ البلاغة بين ضربتي البلاغة الكبيرين

البلاغة الإقناعية / الخطابية

البلاغة الانشائية / الجمالية

¹- صابر الحباشة ، التّداولية و الأسلوبية ص 40 .

²-المرجع نفسه ص41.

³- المرجع نفسه الصفحة نفسها 41

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبي والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

فالتجاور بينهما قد استعيد في هذا العصر بين التداولية بما هي وريثة الضرب الأول من البلاغة ، و الأسلوبية بما هي وريثة الضرب الثاني ¹ .

لا ينفك هذا التجاور الذي يتحدث عنه الدكتور صابر الحباشة يستحيل تفاعلا ، و تناغما وتكاملا بين المنهجين من الناحية العملية ، فلا يمكننا أن نتحدث عن الإقناع دون صور تعضده هذا ما أكدته نيتشه بقوله « كلما كانت الحقيقة التي تريد تعليمها أكثر تجريدا وجب عليك أن تزيناها لإغواء الحواس »² ليعتبر بذلك العتاد البلاغي من صور بيانية محسنات وبديعة أهم الركائز التي تنبني عليها حقيقة الحجاج إذ يمكن القول « إنَّ الحجاج يبني ويصوغ الرأي الصائب و الصادق أما الأسلوب البلاغي فهو يعرض هذا الحجاج وموضوعه في صورة وتقنيات تقتضيها جمالية الإيصال و التلقي »³

و بعد فإنَّ الخيارات الأسلوبية هي من وحي السياق التداولي، فلا ينبع الخيار الأسلوبي من عدم و بالتالي فإنَّ الأسلوبية ، و التداولية تتكاملان في تحقيق تحليل شمولي لمدونة البشير الإبراهيمي .

إن الولوج إلى دراسة الخطاب و استراتيجياته المختلفة التي تشكل متن هذا البحث يقتضي منّا بدايةً تحديد هذه المفاهيم .

V. الخطاب و استراتيجياته بين القصد و السلطة : " تحديدات اصطلاحية "

أ- مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة: الخطاب لغة من " خَطَبَ و الخَطْبُ الشأْنُ أو الأمرُ، صَغَرَ أو عَظُمَ ، يُقَالُ مَا خَطَبَكَ ؟ أي ما أمرك ؟ و هذا خطبٌ جليل ، و خطبٌ يسير، و خَطَبَ المرأة يخطبها خَطْبًا و خِطْبَةً ، و الخطاب مراجعةُ الكلام و قد خاطبَهُ بالكلام مخاطبةً ، و خِطَابًا ، و هما

¹- المرجع نفسه ص 45 46

²- حبيب أعراب الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، مج/30 ص 123

³- المرجع السابق ، ص 110 .

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبى والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

يتخاطبان ...¹ ، و جاء في المعجم الوسيط " خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً ، و خِطَابًا كالمه و حادثه ، و خاطبَهُ : وجه إليه كلامًا ...كالمه وحادثه ، وخاطبَهُ : وجه إليه كلامًا ... و الخِطَابُ الكلامُ ...² .

يحمل مصطلح الخطاب لغة دلالات و مفاهيم تكاد تصب في معنى واحدٍ هو تداول الكلام.

الخطاب اصطلاحاً: أمّا الخطاب من حيث الاصطلاح فقد خاله التنوع، و الثراء نظراً لتعدد الدراسات التي أجريت عليه ما بين شكلية، و وظيفية تواصلية. إذ حدّد الخطاب في ضوء الدراسات الشكلية على أنه الوحدة الأكبر من الجملة، و من ثم راحت تصب اهتمامها على بنيته من حيث اتساقها و انسجامها، و لبيان العلاقة بين وحداته.

و بعيداً عن كون الخطاب جملة، أو أكثر أو أقل و بالنظر إلى مميزاته داخل السياق الاجتماعي يحدّد "بنفنست Benvenist" مفهوم الخطاب على أنه كلّ ملفوظٍ سواء كان مكتوباً، أو شفويّاً هو نتاج عملية تلفظ هذا الخطاب ، وإنه و بمعنى أكثر اتساعاً « كلّ تلفظٍ يقتضي متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»³، يفصح هذا التعريف عن حقيقة الخطاب التي تنبني على ما يلي:

- متكلم (فاعل التلفظ): الذي يمتلك إرادة التوجه بالخطاب إلى
- مستمع (ملتق مخاطب): يتلقف ما ألقى إليه (هما المتكلم و المستمع – طرفا التلفظ).

¹ ابن منظور. لسان العرب تحقيق ياسر أبو شادي ، مجدي فتحي السيد المكتبة التوقيفية ، القاهرة ، دت مادة. "خطب" ج 4 \ 155.154 .

² مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط القاهرة مصر ط 4 . 2004 . ج 1 . ص 243 .

³ - « Le Discours Renvoie à Tout Enonciation supposant un locuteur et un auditeur, et chez le premier l'intention d'influencer l'autre en quelque manière » Jacques MœshleAnne Reboul. Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique edition de Seuil p147

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبي والتداولي " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

- فعل التلطف: وهو النطق بألفاظٍ مرتبةٍ على مقتضى مدلولاتٍ محدّدة، حيث يقوم على قصدٍ مزدوج:

1- قصد التوجه بالمنطوق إلى الغير و من ثم الدخول معه في علاقة تخاطبية.

2- قصد الإفهام بهذا المنطوق معنى ما.

مقام التلطف: أو سياق التلطف ، أو وضعية التلطف ، و هي الظروف التي تتم فيها عملية التلطف كالظروف المكانية و الزمانية ...

ركز الاتجاه الوظيفي على العناصر السياقية ، و دورها في بناء الخطاب وتأويله و حسب هذا الاتجاه فإن " الخطاب استعمال للغة في سياق تواصلٍ معين من طرف باثٍ وملتق تربط بينهما علاقة تخاطبية معينة و لكلٍ منهما عاداته في إنتاج الخطاب"¹، تلك العادات التي تبنى على عوامل عقلية نفسية اجتماعية....خارج لغوية ، و التي تسهم في التعبير عن مقاصد المرسل ، و تحقيق أهدافه من جهة ، و عملية التأويل من جهة أخرى.

مفهوم الإستراتيجية العام : يرجع أصل استعمال لفظ الإستراتيجية إلى « فنّ قيادة العمليات العسكرية في أرض المعركة لتمثل بذلك جانباً من العلم العسكري »²، ثم ما فتئ هذا المفهوم مستعملاً في علوم شتى كعلم الاجتماع و علم النفس.

حيث اكتسب هذا المفهوم بفعل التّداول معاني عديدة نذكر منها ما يلي:

• التّدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة و المقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

• التّدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشّركاء في لعبة معينة.

¹- ج براون. ج يول تحليل الخطاب ،محمد لطفي الزليطني ، د منير التركي ، جامعة الملك سعود ، 1997 ، ص30 .

² - « Le terme de stratégie vient de l'art de conduire les opérations d'une armée sur un terrain d'action.. » Dictionnaire D'analyse de discours. Patrick Charaudeau. Dominique Mangueneau Edition du seuil P548.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

• التّذليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية و إرغامه على الاستسلام.¹

حيث تجمع مختلف تلك الدلالات تحت معنى عام يحيل إلى: « طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة و التحكم بها»² و كون الإستراتيجية خططا فهي ذات بعدين:¹

1- **البعد التخطيطي:** و يتجسد في المستوي الذهني و يقصد به التّفكير في طريقة مثلى للوصول إلى هدف.

2 - **البعد المادي:** ويلي البعد التخطيطي و يتمثل في تجسيد الإستراتيجية كفعل. فالاستراتيجيات إذن هي جملة العمليات ، أو الخطط ترسم لتحقيق أهداف محددة وبيدهي أن تحقيق الأهداف لا يتم التي يتوسلها الإنسان من أجل بلوغ أهدافه من خلال أعماله المنجزة اجتماعية كانت ، أو تجارية ، أو ثقافية ، أو لغوية. **مفهوم الإستراتيجية في منظور تحليل الخطاب:** من البديهي أنّ الخطاب وليد سياق معين يخرج إلى الواقع باستعمال علامات لغوية ، و غير لغوية فيوصف حينها هذا النشاط الاستعمالي بأنّه سلوك ، أو فعل لغوي تضبطه الأعراف و توجهه الأهداف و المقاصد. بحيث تكمن قصديّة هذا الفعل في تبني المرسل لخطط ، أو أساليب تضمن نجاحه و يطلق هنا مصطلح " استراتيجيات الخطاب " « على جملة تلك الخطط و التي عرفها فوكو بقوله هي " أساليب مسطرة.... للشروع في توظيف إمكانات الخطاب و استثمارها»³.

1 - ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص 55

2 ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 53 ، 54 .

3 الزواوي بغوره، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ص 110 .

فحقيقة الخطاب كفعل كلامي قائمة على أساسين» فالأساس الأول يحيل إلى المتطلبات التي تتضمن المعطيات الأولية التي يجب توفرها ليكون الفعل الكلامي ناجحاً (صالحاً) أما الأساس الثاني، فهو جملة الاستراتيجيات المتمثلة في مجموع الخيارات الممكنة التي يستطيع المتكلم انتخابها بغية تحقيق الفعل الكلامي»¹.

الاستراتيجيات الخطابية إذن هي جملة الأساليب التخاطبية التي يلجأ إليها المرسل والذي يعد ههنا المرتكز الرئيس كونه المحلل للسياق ، و المخطّط للفعل ، حيث يتيح له السياق فرصاً يختار من بينها ما يمكنه من الوصول إلى غايته ، و التأثير على المتلقي تبعاً لمجموعة من الأسس ، أو الرّهانات التي تتمحور حولها الاستراتيجيات المختارة ، و التي لا تستقل عن بعضها البعض و إن اختلفت من حيث طبيعة مقاصدها، ألا و هي: «رهان " الشرعية" الذي يسعى إلى تحديد وضعية المتكلم ، رهان " المصادقية " الذي يسعى إلى تحديد مدى صدق المتكلم، رهان " الإغراء" الذي يسعى إلى دمج الشريك في إطار تفكير المتكلم خلال عملية التّبادل الحوارى.....»²

¹ « La structuration d'un acte de langage comporte deux espaces [...] un espace de contraintes qui comprend les données minimales aux quelles il faut satisfaire pour que l'acte de langage soit valide [...] un espace de stratégie qui correspond aux possibles choix que les sujets peuvent faire de la mise en scène de l'acte de langage Patrick Charaudeau.Dominique Manqueneau. Dictionnaire d'analyse du discours p549

² - « ..Un enjeu de légitimation qui vise à déterminer du sujet [...] un enjeu de crédibilité qui vise à déterminer la position de vérité du sujet [...] en enjeu de captation qui vise à faire entrer le partenaire de l'échange communicatif dans le cadre de pensée du sujet parlant.... » P.Charaudeau .D.Maingueneau. Dictionnaire d'analyse du discours p549

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

يتوقف نجاح الاستراتيجيات في تبليغ المقاصد ، و بلوغ الأهداف على سلطة المرسل المستمدة من مركزه الاجتماعي أو المهني، و مدى صدقه ، و جديته في تبني معالجة موضوع الخطاب ، و كذا قدرته على دمج المرسل إليه في فحوى المحادثة ، ومن ثم الوصول إلى إقناعه.

مفهوم القصد :

جاء في لسان العرب أن « أصل " ق ص د " و مواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه و النهوض نحو الشئ ، على اعتدال كان ذلك أو جور ، هذا أصله في الحقيقة ، و إن كان يخص في مواضع بقصد الاستقامة دون الميل ، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى فلاعتزام و التّوجه شامل لهما جميعا و القصد الاعتماد و الأُمّ ، قصده ، يقصده ، قصدا و قصد له ، و أقصدني إليه الأمر ، و هو قصدك و قصدك أي اتجاهك ، و كونه اسما أكثر في كلامهم ، و القصد إتيان الشئ ...و وقصدت قصده نحوت نحوه¹ » .

القصد اصطلاحاً : غير بعيد عن حدود التعريف اللّغوي للقصد تقام معالم التعريف الاصطلاحي للقصد إذ أنّه هدف و غاية المتكلم من صوغ خطابه ، فاللغة تعبر عن أغراض متكلميها ، و لكل خطاب قصد ، قال اللّامدي معرفا الخطاب هو « اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه »²

¹ ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت لبنان ج3ص355

² للّامدي الإحكام في أصول الأحكام دار الصمعي للنشر و التوزيع ط1 2003 ج 1 ص 95

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبية والتداولية " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

وقد عرّف النّحاة المتقدمون القصد في البحث النّحوي بمفهوم المعنى ، قال ابن فارس :«فالمعنى هو القصد و المراد . يقال عنيت بالكلام كذا ، أي قصدت و عمدت »¹ فكان بحثهم عن المعاني وسيلة للكشف عن مقاصد الكلام و غاياته .

في حين يجعل الدكتور تمام حسّان (القصد) فرعا ثالثا من فروع المعنى ، فالمعنى عنده إمّا أن يكون وظيفة أو اطلاقا أو مقصودا فالمقصود في عرفه هو " المعنى الاجتماعي المراد من المنطوق " . بحيث تختلف العلاقة بين المقصود و المنطوق عن العلاقة بين الكلمة و مدلولها على اعتبار أنّ " العلاقة بين الكلمة و مدلولها علاقة اعتباطية " ويسري هذا التّحديد على كل المعاني الواردة في المعجم على حين نجد العلاقة بين المنطوق و بين المقصود به علاقة اجتماعية " يكون المعنى فيها أكثر تحديدا و دقّة²

مفهوم السلطة : تكاد تجمع جلّ المعاجم و الموسوعات على أنّ السلطة اسم مشتق من سلّط ، فالسلطة لغة على حد تعريف المعجم الفلسفي لجميل صليبا هي «القدرة و القوّة على الشيء ، و السلطان الذي يكون للإنسان على غيره وجمع السلطة سلطات ، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية ، و السلطات التربوية والسلطات القضائية وغيرها³ »

و غير بعيد عن الحدود الدلالية المرسومة للسلطة في مدوّنة المعاجم اللغوية ينبني الحدّ الاصطلاحي لها ، إذ هي في عرف ج. بتي : «القدرة على التأثير في الأشخاص ومجريات الأحداث بالجوء إلى مجموعة من الوسائل تتراوح بين الإقناع و الإكراه⁴ »

فحقيقة السلطة تنبني على : أمر صادر عن قوة ، إمّا قوّة مادية أو معنويّة .

¹- ابن فارس الصاحب في فقه اللغة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1997 - ص 192 .
²- تمام حسّان - مقالات في اللغة و الأدب عالم الكتب القاهرة مصر ط1 2006 ج 1 - ص 236 (الإحالة 1،2،3)
³- جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني 1982- ص 670.
⁴- جورج بلانرييه الانثروبولوجيا السياسية تر علي المصري المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت لبنان ط2 2007 - ص 37.

كما أنّها واقعة اجتماعية: إذ لا نستطيع أن نتخيّل مجتمعا دون سلطة أو سلطة دون مجتمع (جماعة) .

فالسلطة عموما سياسية أو غير سياسية لا تقوم إلّا في جماعة وعلى ذلك « فإنّ ظاهرة السلطة عموما هي ظاهرة اجتماعية فليست السلطة السياسية وحدها هي التي تتمتع بخاصيته الاجتماعية ، و إنّما يشاركها في ذلك السلطات القائمة في التجمعات الإنسانية الأخرى ...يقصد بالسلطة غير السياسية ، أو بالسلطة الاجتماعية التوصل من خلال علاقات تقام مع الآخرين " أو الظفر بطاعتهم»¹ ، ومصادر السلطة الاجتماعية متعددة كالثراء المادي ، و المركز الاجتماعى الذي يحتلّه شخص ما ، و الذي يكون ناتجا عن شغله لوظيفة حكومية ، كما تكون العلوم و الثقافة و الفنون مصادر سلطة فاعلماء و الخبراء والفنانون يتمتعون بسلطة تمكنهم من التأثير على سلوك الآخرين .

مفهوم التّوجيه :

«وَجَّهَ إِلَى يُوجَّهُ توجيهاً فهو موجَّهٌ وجه الشيء أو الشخص جعله يأخذ اتجاه معيناً ... توجيهه ، جمع توجيهات ، مصدر وَجَّهَ وَجَّةً وَجَّةً إلى ارشادات أو نصح " أو بيان " يُوجَّهُ إلى المواطنين أو الأتباع " توجيهات الرئيس / توجيهات الزعيم »² .

التّوجيه اصطلاحاً : غير بعيد عن حدود المعنى اللغوي للتوجيه يحدد معناه الاصطلاحي إذ هو عند علماء النفس « مجموع الخدمات التربوية و النفسية و المهنية التي تمكن الأفراد من التخطيط لمستقبلهم وفقا لمكانتهم و قدراتهم العقلية و الجسمية و ميولهم بأساليب تحقق حاجاتهم »³ .

¹ ميشال فوكو المعرفة و السلطة ترجمة عبد العزى العيادى المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت لبنان ط1 1994 ص 44

² - أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب القاهرة ، مصر ، ط1/2008، مج1، ص2408

³ - كاملة الفرخ شعبان ، عبد الجابر تيم ، مبادئ التوجيه و الارشاد النفسى ، ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان الأردن، ط1/1999 ص13.

المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبى والتداولى " الرؤية/الاختلاف/الائتلاف "

أما التّوجيه عند البلاغيين فهو « إيراد كلام محتمل لوجهين مختلفين على السواء»¹
أما التّوجيه فى اصطلاح اللسانيين التّداوليين فهو : «محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى
فعل شيء معين»² و هو المعنى المقصود من بحثنا هذا، فالخطاب التّوجيهى إذا هو كل
خطاب يسعى من خلاله المرسل إلى توجيه المرسل إليه " لفعل مستقبلى معين " ³

¹ - محمد على التّهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، تح رفیق ، على دحروج ، مكتبة لبنان ط1/ 1996،
مج1 ، ص 528.

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، ص 49.

³ - عبد الهادى بن ظفر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 322.

الفصل الأول

السياق و أثره في اختيار الاستراتيجيات الخطابية

I. في مفهوم السياق

II. معايير تصنيف الاستراتيجيات الخطابية

III. العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجيات الخطابية

IV. جدلية العلاقة بين السلطة و الخطاب

I. في مفهوم السياق:

تكشف بنية الخطاب عن جملة العناصر التي تشترك في بلورة عملية التواصل إنها الوحدات الأساسية لقيام أي خطاب ألا وهي العناصر السياقية المتمثلة في " المرسل، المرسل إليه ، الزمان المكان "، فالخطاب أيا كان نوعه هو ممارسة تداولية تجري في سياقات مختلفة تحتكم إلى مميزات غير ثابتة ، فلا المخاطب ذاته في كل الخطابات و لا الملتقي و كذا الأمر بالنسبة للعناصر الأخرى و لعل صيغتها التداولية تلك ، هي ما يبرر تسميتها بالعناصر السياقية . فالخطاب في جوهره «توال من الحالات المعلوماتية و الانفعالية ، و الاجتماعية و يأتي إنتاجه و فهمه في صورة توال من الوقائع التي تنطبق عليها الأعراف الاجتماعية ، و العوامل النفسية و هو نظام فعال ينبغي له أن يتصل بموقف يكون فيه تفاعل مجموعة من المرتكزات و التوقعات و المعارف»¹ فالنص باعتباره ذاتا فاعلة في تغيير العالم لم تنبت من العدم إنه وليد هذا العالم " السياق".

1- مفهوم السياق في الثقافة اللغوية الغربية :

ينضوي تحت مصطلح السياق مفهومان يكمل أحدهما الآخر هما:
أ- السياق اللغوي : ويقصد به: « المحيط اللساني للعبارة أو الملفوظ بمعنى أنه الخطاب الذي تظهر فيه هذه العبارة أو هذا الملفوظ»².

¹- روبرت دي بوغراند ، النص و الخطاب و الاجراء ، تر تمام حسان ، عالم الكتب بيروت لبنان ط 1 1998 ، ص 86
² - « Le terme de contexte à été employé pour désigne l'environnement linguistique d'un terme ou-1 d'un énoncé, c'est-à-dire le discours ou ce terme ou cet énoncé apparaît » j. moeshler, A. Reboul, dictionnaire encyclopédique de la pragmatique P: 525

يحتلنا هذا المفهوم إلى الجانب الأفقي الشكلي للخطاب ، و المتمثل في الوحدات الصوتية والصرفية ، و المعجمية و ما بينهما من ترتيب ، و علاقات تركيبية تكتسب الكلمة في خضمتها معنا محدداً.

لئن كفى هذا المفهوم الجانب الشكلي للخطاب ، فإن قصوره يبدو جلياً إذا ما لامس حدود الدراسات اللغوية الحديثة عامة ، و التداولية خاصة التي ارتأت أنّ مفهوم السياق لا يقف عند حدود البناء الأفقي للخطاب بل يتخطاه إلى الإطار الخارجي الذي يحيط بالملفوظ سيما و أنّه أساس من أسسه ألا و هو سياق الحال ،ذلك أن اللغة " «ليست حساباً منطقياً دقيقاً ، لكل كلمة معنى محدد ، و لكل جملة معنى محدد بحيث يمكنك الانتقال من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي ، لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخداماتها في الحياة اليومية ، و تتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه »¹

ب - سياق الحال أو سياق التلّفظ أو سياق الموقف : و يقصد به : « الملابس غير اللغوية (من خارج اللغة) التي يتحقق فيها التلّفظ (الإطار المكاني و الزماني و الظروف الاجتماعية و السياسية و الثقافية و غيرها التي تحف بالأقوال فضلاً عن القائلين و المخاطبين و ما يحدد هويّتهم و رؤيتهم للعالم و ما حصل لديهم من معارف لغوية ... »² يعتبر السياق إذن بما هو حيز زمني ، و مكاني وجوداً سابقاً للموجودات – النصوص- فهو الذي يحتضنها ، و يمنحها معنى محدداً بعد أن يخرجها سلطان البيان من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل .

1- زيدان محمود فهمي ، في فلسفة اللغة دار النهضة العربية لبنان ط 1985 ، ص 56 57

2- آن ربول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد ترجمة سيف الدين دغفوس د.محمد الشيباني، دار الطبيعة للطباعة و النشر، ط1، 2003، ص265.

و عليه فإن عبارة السياق تحوي بين طيّاتها - حسب ما لنو فسكي-Malinowski ما هو آتٍ¹:

أ- السمات المتعلقة بالمشاركين: الأشخاص

- الحدث غير اللغوي للمشاركين.

- الحدث اللغوي للمشاركين.

ب - الأشياء الوثيقة الصلة بالموضوع .

ج - تأثير الحدث اللغوي .

و قد طور " هايمز Hymes " في هذا الصدد منهجا مماثلا يعتدّ بدور الإطار الاجتماعي في فهم العملية التواصلية و حصر عدد المعاني الممكنة و يُعين من جهة أخرى على تحديد " المعنى المقصود " ذلك أنّ « استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني و بإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق ...و السياق بدوره يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة و التي لا يحتملها »²، وبذلك فإنّ للسياق مهمة مزدوجة تتراوح بين حصر مجالات التأويل الممكنة ودعم المعنى المقصود .

و نشير ههنا إلى أن نخبة من اللّسانين قد استخدمت السياق بمعنى المقام ، فهم «يصطنعون (contexte) السياق إشارة إلى السياق التقليدي »³ .

فيما فصلت النخبة الأخرى من اللّسانين بين السياق الذي اقتصر مفهومه لديها على « المحيط اللساني لعنصر من العناصر مستعربين في ذلك المصطلحية التقليدية " الوحدة الصوتية في الكلمة ، و الكلمة في الجملة ، و الجملة في النص »⁴ .

¹- برون وويل ، تحليل الخطاب ، تر محمد لطفي الزليطي ، منير التركي ، جامعة الملك سعود ، 1997ص37.

²- برون وويل ، تحليل الخطاب ، ص37.

³- أوزولد ديكورو، جان ماري تشاهيغر: القاموس الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2007، ص677.

⁴- آن ربول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد ترجمة سيف الدين دغفوس د.محمد الشيباني ص265

يقتصر المقام حينئذٍ و كما حدّده " فال - val " على مجموع العوامل التي ينبغي على الفرد الأخذ بها حتى يتمكن من إنجاح الفعل اللّغوي تلك العوامل التي حصرها " فندرليش

"wunderlich -

فيما هو آتٍ¹:

- المشاركون في التّبلغ :

المتكلمون و المستمعون

- مكان التفاعل :

- القول (الصفات اللغوية , شبه لغوية , و غير لغويّة)

- مقاصد المتكلمين Intentions .

- ترقبات attentes المتكلم و المستمع .

- مساهمة المشاركين في الموضوع .

- معارفهم اللّغوية .

- المعايير الاجتماعيّة .

- شخصياتهم و أدوارهم .

و يجمع " قاليسون Galisson " و "كوست Coste " مختلف تلك العناصر في

تصورهم للمقام ، إذ يتمثل لديهم في : « مجموع شروط إنتاج القول و هي الشروط

الخارجة عن القول ذاته، القول وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم

ومستمعيهو هذه العوامل كلها و المؤثرة على انجاز القول هي التي تشكل

المقام»².

و يشير " جيفري إلز - geoffrey els " في معرض حديثه عن إسهامات فيرث

في إثراء النّظريّة اللّغوية أنّ الموقف ، أو المقام Situation يختلف عن السياق Contexte

¹- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص40.

²- المرجع نفسه، ص:41

ذلك أن المقام (سياق الحال) موضوع غير لغوي extralinguistique كما أنه واحد في كل اللغات باعتباره صنفًا عامًا عكس السياق الذي يختلف باختلاف اللغات ، فالسياق القواعدي أو المعجمي العربي يختلف عن السياق المعجمي أو القواعدي الفرنسي ¹ .
و منه فإنّ المعنى معنيان : معنى سياقي كامن في ذات المفردة ، ويتمثل في جملة المعاني السياقية للوحدة اللغوية مجردة عن أي نص. و معنى سياقي آني تتقمصه الكلمة في نص معين.

و عليه يغدو المقام الميدان المحسوس ، العيني ، الذي تتفاعل فيه الذوات المتخاطبة متوسّلة أفعال الكلام لإنجاز مقاصدها ، تلك الأفعال التي لا قائمة لها إلا باعتبار العوامل النفسية الدّاخلية ، و العوامل الخارجيّة .

2 - مفهوم السياق في الثقافة اللّغوية العربية: بدت معالم الفصل يبين السياق اللّغوي و سياق الحال أو ما يسمى بالمقام جليّة في الدّراسات التراثية العربية و ذلك مُذ قولهم " لكل مقام مقالٍ " ، «فلا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة،فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنة يباين مقام التعزية...»²

و من المصطلحات التي وردت في البيان و التبين مقابلة لمصطلح مراعاة المقام ما جمعها حمادي صمود في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب " و قسمها إلى قسمين:³
أ- القسم الأول: و يدل عليه "المقام" و "الموضع" و "الحال" ذو صبغة عامة يهتم بعلاقة المقام بالظرف العام الذي يتنزّل فيه، أطلق عليها الجاحظ عبارتي " مقدرا الطاقة " و يقصد بها الزاد للّغوي و منزلته في العلم و العبارة الثانية " أقدار المنزلة " و يقصدها السّلم الاجتماعي و انتمائه الطبقي .

¹ محمد محمد يونس على وصف اللغة العربية دلاليًا، منشورات جامعة الفاتح، ط 1993، ص 102-103 .

² السكاكي، مفتاح العلوم ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه، نعيم زرزور دار الكتب العالمية بيروت لبنان، ط2، 1408 هـ، 1987، ص168.

³ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه، و تطوره إلى القرن السادس منشورات الآداب منوبة، ص209.

يرتبط هذا الجانب من جهة أخرى بالعامل النفسي الذي يساعد على تأدية المتكلم لوظيفته . أين يبلغ من السامع مقصده كقول بشر بن المعتمر ضمن نصائحه : « خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك و إجابتها إياك . فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا و أشرف حسبا و أحسن في السماع و أحلى في الصدور و أسلم من فاحش لخطأ»¹

يتضح من خلال النص مدى أهمية مراعاة الحالة النفسية للمخاطب لحظة إنتاج الخطاب بغية تحقيق الأهداف حيث لا يشعر المخاطب بالاغتراب عن الموضوع .

ب- أما القسم الثاني : فتدل عليه مصطلحات " المشاكلة " و " المطابقة " ² و " الأقدار " أو " المقدار " و ما جرى مجراها ، ويهتم هذا القسم بالكلام في حد ذاته و ما على المتكلم مراعاته في بناء الخطاب يقول القزويني شارحا إيّاها « و مقتضى الحال مختلف ، لأن مقامات الكلام متفاوتة و مقام الذكر يباين مقام الحذف»³ .

تناول الدكتور تمام حسان هذا النص بالشرح راداً المقام إلى معناه الاجتماعي الحيوي قائلا: « و على الرغم من أنني أشتم في كلام القزويني هذا رائحة المعيارية، و أورد نصّه الذي سبق و أصرفه إلى المعنى الاجتماعيّ النابض بالحياة فالذي أقصده بالمقام ليس إطاراً و لا قالباً و إنّما هو جملة الموقف المتحرك الذي يُعتبر المتكلم جزءاً منه كما يُعتبر السامع ، و الكلام نفسه »⁴ .

و عليه فإنّ المقام إطار عام متحرك ينضوي تحته كل من المتكلم ، والمستمع ، وظروفهم النفسية ، والاجتماعية ، والزمان ، و المكان و الذي يمنح الكلام معنى محدداً .

3- عناصر السياق : يقتضي السياق توفر عناصر لا قائمة له دونها و تتمثل في:¹

1- ينظر الجاحظ، البيان و التبیین، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت لبنان، ط 1998، ج 1، ص 42، 43.

2- المرجع نفسه ج 1، ص 90.

3- القزويني، الإيضاح و علوم البلاغة، شرح و تعليق عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل بيروت ، ط/3 ، 1993 ، ص 42، 43.

4- تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب عالم الكتاب، القاهرة، ط 2000، ص 306.

أ- العنصر الشخصي وتمثله الذوات المتفاعلة ،وهي ذات تبث الخطاب " الباث ، المرسل، المخاطب " بناءً على معتقدات و مقاصد و أهداف تُشَي بها تلك الاستراتيجيات الخطابية المختارة ، و ذات تتلقف الخطاب "الملتقى ، المرسل ، المرسل إليه ، المخاطب "» إذ يوجد على الأقل في كل موقف تواصل شخصان أحدهما فاعل حقيقي ، و الآخر فاعل على جهة الامكان أي المتكلم أو المخاطب على التوالي . و كلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة و ترابط ضروب الاتفاق و التواطئ للقيام المشترك الانجاز «² لأجل تأويله الخطاب و الكشف عن مراميه .

ب - العنصر الخارجي : يقصد به الظروف الزمانية و المكانية ، و الشّخص و الأشياء .

ج- العنصر البين ذاتي: و يقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.

إنّ أداء كل عنصر من هذه العناصر لدوره مشروط بوجود الآخر تزامناً أو تعاقباً، فقد يظلّ الخطاب ردحاً من الزمن غير مكتمل التّجلي حتى يطرق ذهن المستمع ، أو القارئ فعملية التّلقي حسب عبد السلام المسدي «بمثابة انقذاح شرارة الوجود للنّص»³

و فيما يلي تفصيل لجملة تلك العناصر باعتبارها أسساً لتفعيل اللّغة ، و تحديد الاستراتيجيات الخطابية.

¹- المرسل : و هو الذات المنتجة للخطاب و المتلفظة به بغية التّعبير عن مقاصده و الوصول إلى أهدافه ، حيث يبرهن على قدرته التّخاطبية بداية من استيعابه لجملة الأعراف اللّغوية إلى توظيفها من خلال فعل التلفظ الذي يخرج اللّغة من حيّز الوجود بالقوة إلى حيّز الوجود بالفعل ، فعملية التلفظ توظيف للغة بتبني استراتيجيات معنية.

1- طه عبد الرحمن ، البحث اللساني و السمينائي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، ص302.

2- تمام حسان ، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب عالم الكتب القاهرة 2000 ص306

3- محمد محمد يونس على ، وصف اللغة العربية دلاليًا، ص130

فالمرسل هو الذي يضيف تلك الفاعلية على اللغة فيمنحها روحها (المعنى) من خلال التفاعل مع الآخر وفقاً لأهليته - فلا يأمر إلا وهو الأمر، و لا ينهى إلا وهو أهل لذلك - ومتطلبات السياق فيكسوها بذلك صبغة تداولية، و عندها تُخلد الذات بخطابها ما بقي الخطاب خالداً سيما إذا دونته الحروف، إنه « المكان الذي يتكون فيه فاعله و من خلال هذا الخطاب فإن الفاعل يبني عالمه كشيء و يبني ذاته أيضاً، و لا بدّ من الإشارة إلى أهمية هذا الازدواج في فكرة الفاعل الذي يعتبر منتجاً للخطاب و ناتجاً عنه في الآن ذاته»¹، فالخطاب صورة أحالك إليها صاحبها، وتحريك الأخرى إليه.

2- المرسل إليه: هو الطرف الآخر من العملية التواصلية و الذات المتلقية، تلك التي تفرض على المرسل اختيار نوع خاص من الخطابات التي تنسجم و أحوالها المعرفية، و الاجتماعية فلا يضع استراتيجياته إلا وفقاً لتلك المقترضات، و هذا الاختيار ضروري لكي تتم عملية الإفادة ذلك أن: « المعنى يستلزم اختياراً »²، فالمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل لحظة إنتاجه للخطاب، سواء أكان حضوراً عينياً أو افتراضياً، و هذا الاستحضار هو ما يمنح الحياة للخطاب، و يزيد من قدرة المرسل على التنويع، و التأثير من خلال آلياته المختارة.

و تتجلى وظيفة المتلقي في قدرته على تفكيك الخطاب و إعادة بناءه وفقاً لحيثيات السياق، مستعيناً في ذلك بثقافته، و تجاربه، و أحواله الخاصة... فيضيف بذلك صبغته على الخطاب من خلال عملية التأويل مما يؤدي إلى تشكيله من جديد.

3- المعرفة المشتركة: و تتمثل المعرفة المشتركة بين الأفراد في: «البيئة اللغوية و المعلومات التاريخية، و الأفكار و الأعراف المشاعة بينهم و نحو ذلك مما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية أو السياسية...»³، حيث تشكل

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، 1992، ص 98.

2- محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، ص 131.

3- المرجع نفسه، ص 138.

منطلقاً آخر يعتمد المرسل في بناء خطابه و يستغله المرسل إليه في عملية التأويل ، و تمكّنها من التّواصل في ظروف تُبلّغ فيها الغايات و تُفهم عندها المقاصد. وتحدّد تلك العناصر إجمالاً في :

- أ- المعرفة بالعالم : و تتمثل في معرفة الظروف المكانية و الزمانية للمفوض .
- ب- المعرفة بنظام اللغة : تقتضي عملية التّواصل امتلاك قدر من الكفاءة اللّغوية المتمثلة في «معرفة المتكلم المستمع للقواعد الصرفيّة و التركيبية و الصوتيّة و الدلالية»¹، ذلك أنّ إفهام المقاصد و بلوغ الغايات لا يتأتى إلّا إذا حوّاها قالب لغوي، و لا قائمة للكفاءة اللّغوية ما لم تعضدها الكفاءة التّداولية و المتمثلة في « المعرفة التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج و فهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معيّنة قصد تحقيق أغراض معيّنة »²، فلا تنهض العملية التّواصلية على الكفاءة اللّغوية وحدها بل تساهم فيها ملكات أخرى ذات طبيعة غير لغويّة تنطوي تحت الكفاءة التّداولية. و هذا ما يجعل منها نسقا مركبا من مجموعة أنساق حدّدها " ديك - Dik " بقوله «تتألف القدرة التّواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعيّة من خمس ملكاتٍ على الأقل . و هي الملكة اللّغوية و الملكة المنطقيّة و الملكة المعرفيّة و الملكة الإدراكيّة و الملكة الاجتماعيّة»³ .
- و قد عرّف "أحمد المتوكل" جملة هذه الملكات التي تشكل الكفاءة التّداولية أو ما عرف عنده بمصطلح القدرة التواصلية على النّحو الآتي:⁴

1- محمد محمد يونس علي ، وصف اللغة العربية دلاليا ، ص 127

2- أحمد المتوكل ، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط ، 1993، ص 8

3-المرجع نفسه ، ص 9 ، 10، 11،

4- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص 17-18.

*- **الملكة اللغوية** : يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج و يؤول إنتاجًا و تأويلًا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدًا ، و معقدة جدًا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

*- **الملكة المنطقية** : بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودًا بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال يحكمها المنطق الاستنباطي و المنطق الاجتماعي.

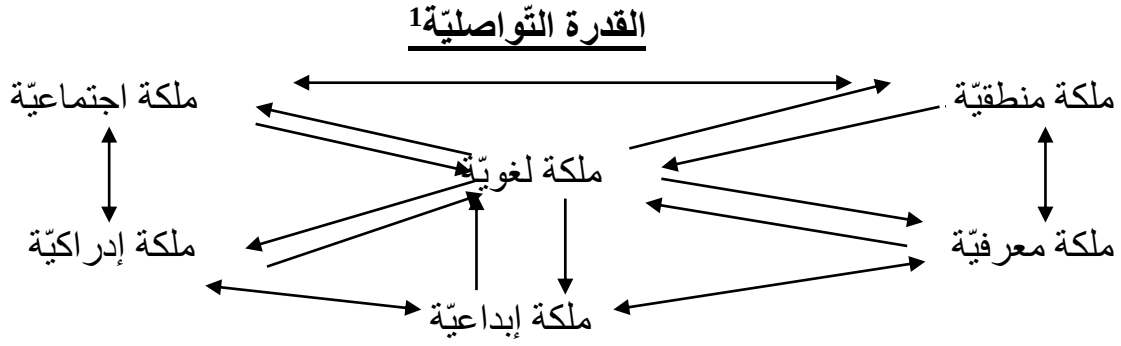
*- **الملكة المعرفية** : يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيدًا من المعارف المنظمة و يستطيع أن يشقّ معارف من العبارات اللغوية , كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب و أن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

*- **الملكة الإدراكية** : يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه ، و أن يشقّ من ذلك الإدراك معارف ، و أن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية و تأويلها.

*- **الملكة الاجتماعية** : لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقول فحسب بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

حيث تعمل هذه الملكات متحدة من أجل خطاب صحيح التراكيب موافق للسياق، يمكن المرسل من التعبير عن قصده و يساعد المرسل إليه في عملية الفهم " التأويل الصحيح " .

و لتوضيح عمل الملكات نقترح المخطط الآتي :



و عليه يمكننا القول أنّ الكفاءة التّداولية هي الوعاء الذي تنصهر فيه مختلف الكفاءات بما فيها الكفاءة اللغوية ، بالرغم من أنّها الأساس ففيها تتبلور جميع المعطيات لغويّة كانت أو سياقيّة، حيث تصف الأطر اللغوية الإمكانات لكل من المرسل ، و المرسل إليه في لغة ما، فيما تضع قوانين التّواصل الأطر العامّة لما يستحسن فعله « و تتعامل الاستراتيجيات مع عملية اختيار أفضل الوسائل تأثيراً في السلوكيات التّواصلية التبادلية »² .

على أنّ كنه الخطاب لا يقتصر على تبادل أو نقل المعلومات فحسب ، بل إنّ يتعدى ذلك إلى التّحقيق الفعلي للحدث الكلامي فالتلفظ بالخطاب هو في الأساس إنجاز لأفعال لغوية .

و لأنّ كفيّة انجازه لا تتجلى إلّا من خلال سياق الاستعمال ، فإن الدّراسة التّداولية تغدو أنسب وسيلة للكشف عن مختلف المراحل التي يجتازها هذا الخطاب وصولاً إلى صورته النهائية، فالخطاب أيّاً كان نوعه لا بدّ من أنّه وليد ثلاثة مراحل هي:³

1- إدراك السياق بكل أبعاده المؤثرة في عملية التّواصل.

2 - ضبط و تحديد العلاقة بين السياق و العلامة المستعملة بغية وضع استراتيجيات ملائمة .

1- أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية و النمطية دار الأمان الرباط، ط/ 1 ، 2003، ص25 .

2- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 59

3- المرجع نفسه، ص:36

3- التلّفظ بالخطاب .

ترتكز المرحلة الأولى على إعمال الفكر الذي تستثيره جملة من الأسئلة السياقية، التي تفعل مختلف قوالب الملكة التداولية بما فيها القالب الاجتماعي ، المعرفي ، والإدراكي ، و تنحصر الأسئلة المثارة إجمالاً في الأدوات الاستفهامية : من، ماذا ، متى ، أين ، كيف و هي أسئلة تلقائية تدفع المرسل إلى تبني أنسب الآليات " الاستراتيجيات " حيث يرتدّ السؤال "بمن" إلى المرسل كذات منتجة للخطاب ، و إلى المرسل إليه كمتلق له وفق صيغتين تداوليتين هما " من أنا " و " من هو "، و ذلك بغية تحديد العلاقة بينه و بين المرسل إليه ، و معرفة درجة التقارب ، أو التباعد بينهما ، و عند أيّ مستوى يقف المرسل لتجسيد هذه العلاقة في الخطاب و هكذا يستمدّ السؤال ، عن أطراف الخطاب مشروعيتّه من أهميّة الإجابات بوصفها المعين على معرفة أنسب الاستراتيجيات الخطابية ماذا: و هو من الأسئلة التي تسهم الإجابة عنها في بلورة الخطاب ، و يراد به الاستفسار عن الغاية، الهدف المنشود من إنتاج الخطاب : هل هو السيطرة ، أم الإقناع أم الردع ؟ . و أيّاً كان الهدف فإنّ تحديده سلفاً أمرٌ ضروري بوصفه الموجه الذي يؤطر عمل المرسل في خطابه.

- متى: يلعب السؤال بمتى دوراً في تفضيل إستراتيجية على أخرى، و هو سؤال عن الزمن الذي ينتج فيه المرسل خطابه ، زمنٌ يتسم بالحركيّة، و التّطور الذي يجعله يتجاوز لحظة التلّفظ ، فتطوره و عدم ثباته مما يؤثر على عمليّة التّخطيط و الإنتاج .

- أين: و من ضمن الأسئلة التي تفرض على المرسل الإجابة عنها لحظة التلّفظ بالخطاب السؤال عن مكان إنتاجه، ذلك أن المكان عنصر سياقي يفرض شكلاً خطابياً معيناً - على اعتبار أنّ المرسل إليه يختلف من مكان إلى آخر- فإن نسبة نجاح بعض الأفعال اللّغوية الموجهة قصداً لساكني الحضر مثلاً، تختلف عنها لو وجهت لغيرهم من ساكني البادية ، و ذلك لاختلاف الخصائص النفسيّة ، و الثقافيّة ، و اللّغويّة التي تفرضها البيئة، " المحيط " .

- **كيف:** تعدّ الإجابة عن الأسئلة الآتية الذكر عاملاً أساسياً يخدم الإجابة عن السؤال الأهم ألا وهو الاستفسار عن كيفية بناء الخطاب، حيث تتبلور الإجابة عنه من خلال انتقاء العلامة اللغوية، ثم انتقاء الإستراتيجية التي تمثل بها العلاقة، بمعنى إعطاء المظهر الشكلي للخطاب الذي يتقلب بين صورتين مباشرة " صريحة " و غير مباشرة " تلميحية"¹.

II. معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب :

يتأسس الخطاب على جملة من المسلّمات البديهيّة التي يختار المرسل وفقها استراتيجيات خطابه , و هي على النحو الآتي:

- 1- **مسئمة الحوارية :** و مقتضى هذه المسئمة أنّ لا كلام مفيد إلّا بين اثنين لكل منهما مقامان هما مقام المتكلم و مقام المستمع².
- 2- **مسئمة قصديّة الخطاب :** و التي تقول أن المرسل لا يتلفّظ بخطابه إلا لقصد ما و لهدف يسعى لتحقيقه .
- 3 - **المسئمة التي تقول أنّ دلالة الخطاب الرئيسة على قصد المخاطب هي الدلالة المباشرة.**

4- **المسئمة التي تقول أن اللغة الطبيعيّة هي علامة الخطاب الرئيسة.**

يختار المرسل استراتيجيات خطابه تبعاً لهذه المسلّمات حيث تستقلّ كل منها في تشكيل بنية الخطاب ، و قد تؤثر مسئمة في أخرى مما يؤدي إلى إنتاج إستراتيجية خطابيّة معينة .

فتعمل هذه المسلّمات بكيفية تجعل منها معايير لتضيف الاستراتيجيات الخطابية حيث يستوجب على المرسل أخذها بعين الاعتبار و تُعرض هذه المعايير كالآتي³:

1. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 64-65-66
 2. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2 2000 ، ص 19 .
 3. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 87

- معيار العلاقة التّخاطبيّة : و هو معيار اجتماعي يرتكز على علاقة القرب ، أو البعد بين طرفي الخطاب .

- معيار شكل الخطاب : و هو معيار لغوي يختص بدلاله الخطاب على قصد المرسل سواء كانت دلالة مباشرة، أو غير مباشرة .

- معيار هدف الخطاب : ويتمحور حول الغاية التي سيق الخطاب لتحقيقها .

و تكمن أهميّة هذه المعايير في تأصيلها للعلاقة بين استراتيجيات الخطاب ، و معطيات السّياق التّواصلية و كذا التّفاعل بين المرسل و المرسل إليه، و علاقة المرسل بخطابه بغية الكشف عن الآليات التي يحويها الخطاب بدرجات متفاوتة تمليها الظروف السّياقية ، و حاجة المرسل إلى توظيف البعض منها دون الآخر.

1 معيار العلاقة بين طرفي الخطاب :

يشير د طه عبد الرحمن إلى أنّ :«..... حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة بألفاظ معينة بقدر ما هي الدّخول في علاقة مع الغيرفإذا انطوى الكلام على علاقة لفظيّة فينبغي أن تكون تابعة للعلاقة التّخاطبية»¹ .

بمعنى أن لا قائمة للكلام دون علاقة تخاطبيّة يبنى على أساسها. فهي علاقة أصليّة تربط المرسل بالمرسل إليه ،ذلك أنّها عنصر من عناصر السّياق المؤثرة في تشكيل بنية الخطاب، من خلال تبني المرسل لاستراتيجيات معينة.

و تعتبر المعرفة المشتركة إحدى نتائج العلاقة التّخاطبية التي تسهم في بناء الافتراضات المسبقة للمرسل فعلى أساس من المعرفة المشتركة ،و الافتراضات المسبقة ينتقي المرسل آلياته الخطابية .

و يسعى المرسل إلى إيجاد العلاقة بينه ، و بين المرسل إليه ما لم تكن موجودة سلفا فيغدو الهدف الرّئيس لخطابه، و عندها يبرز دور اللّغة التّفاعلي، ذلك أنّ « القيم

1- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان المركز الثقافي العربي ،دار البيضاء، ط1 1998، ص 97 .

الدلالية للخطاب هي مدخل ممكن و هام لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية لأن التعامل مع اللغة هو تعامل مع مضامينها¹

و تنبني العلاقة المسبقة بين طرفي الخطاب على محورين هما:²

أ- محور العلاقة الأفقية : تتأسس العلاقة الأفقية على جملة الخصائص الآتية :

* خصائص الدين (مسلم – مسيحي) .

* خصائص الجنس (ذكر – أنثى) .

* خصائص السن (صغار – كبار – شيوخ) .

* خصائص المهنة (أستاذ – طلاب) .

* الخصائص العرقية (عربي – صيني) .

* خصيصة الجنسية (سعودي – سوري – خليجي) .

* خصائص الحالة الاجتماعية (حالة المعيشة: أعزب- متزوج) .

و تنضوي العلاقات العاطفية تحت هذا الصنف فتكون مثلاً علاقة قرب أو بعد، ود أو صد

ب- محور العلاقة العمودية: تتجسد العلاقة العمودية في درجات سلمية للناس

داخل المجتمع حيث يتموقع كل طرف من أطراف الخطاب في إحدى درجاته فالمرسل

و كذا المرسل إليه بحاجة إلى معرفة مرتبة الآخر، سواء أكانت مرتبة اجتماعية ،

وظيفية متقاربة أو متباعدة بحيث يتكامل المحوران الأفقي ، و العمودي في بناء

الاستراتيجيات التخاطبية، فوجود العلاقة الأفقية بين الطرفين لا يناقض انتماءها إلى

علاقة سلمية تراتبية و تجسّد «اللغة بعضاً من أنواع العلاقة العمودية في مستواها

التركيبى كما في أساليب الأمر و أساليب النهي، و كذلك في مستواها الصوتي باستعمال

درجات التنغيم الصاعدة عند التلّفظ بالخطاب، و بهذا فقد توسم هذه الأساليب التركيبية

¹- ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، ص 88

²- المرجع نفسه، ص: 89

بسمّة خاصة تسمّى السّمة الأصل، إذ يمثل تركيب اللّغة بل يطابق علاقة البعد بين طرفي الخطاب¹.

تعددت الدّراسات التي سعت إلى الكشف عن دور العلاقة التّخاطبية في بناء الخطاب قديما و حديثا، فكان أن حددت بعض الدّراسات الحديثة جملة من القواعد سمّتها " قواعد التّخاطب لضبط التلفظ بالخطاب"، تبعا لما تستوجبه العلاقة بين المرسل و المرسل إليه.

2- قواعد التّخاطب :

تتفاضل الاستراتيجيات لدى المرسل وفقا لما تقتضيه طبيعة العلاقة بينه و بين المرسل إليه ، و تمثل ظاهرة التّأدّب في الخطاب إحدى الظواهر التي يراعيها المرسل عند التّلفظ بخطابه بنسب متفاوتة ، ذلك أنّ « الملفوظات المؤدّبة ترمز للعلاقة بين المرسل و بيننا بوصفنا مرسلا إليه ، و بالتحديد قد نتوقع من شخص لا نعرفه جيدا ، أن يقول لنا

- هل يمكنني أن استعير كتابك ؟

في حين قد يصوغها شخص آخر و ليكن الأخ الأكبر بطريقة مباشرة مثل قوله: أعطني الكتاب ؟

فإذا لم نفطن إلى نوع علاقتنا بهؤلاء الأشخاص الذين خاطبونا بهذه الطرق فإنّ الاستراتيجيات التي وظّفوها سوف تزعجنا ، لأن الاستراتيجيات تجسد طبيعة علاقتنا كما يرونها².

و قد تباينت الدّراسات حول ظاهرة التّأدّب ، حيث منحتها لأكوف – lycov دورا معقولا في بناء الخطاب ، فيما جعلها ليتش أساس التلفظ ، ليحاول كل من براون و لفنسون brown et levinson منحها سمة الكليّة، ليمثل مبدأ التّعاون بول جرايس Paul Grace نقطة تقاطع بين جميع تلك الدّراسات .

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص: 90

²-، المرجع نفسه ص91.

أ- مبدأ التعاون :

يتأسس مبدأ التعاون عند جرایس على صيغة أساس هي " ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه " ¹ و تنفرع عنه جملة من القواعد التي تمكّن المرسل من تبليغ قصده بطريقة تضمن قدرة المرسل إليه على فهمه و تأويله، بغية إنجاح المحاوره ، و تقتضي فرضية جرایس أن " المخاطب يستند على هذا التعاون للقيام باستدلالات غير برهانية ، إن سلوكات المتكلم في التواصل إذا كانت متعاونة ، فهي كذلك لسبب أساس هو أنها نتيجة سلوك عقلاني " ² و يبنى هذا المبدأ على أربع مبادئ Maxime ³:

1- مبدأ الكم – quantité :

اجعل مشاركتك في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقصان .

2- مبدأ الكيف - qualité :

لا تقل إلا ما تأكدت من صحته ، و لا تتلفظ بما لا تملك دليلا عليه .

3- مبدأ المناسبة - relevance :

على المساهم في الخطاب أن يجعل كلامه ذا علاقة بموضوع الحوار.

4- مبدأ الطريقة – manière :

على المشارك أن يجعل كلامه واضحا و محدّدا فيتجنّب اللبس ، و يتحرّى الإيجاز و الترتيب .

لقد انصبّ اهتمام جرایس من خلال هذه المبادئ على محاولة تفسير ظاهرة الاستلزام الحواريّ ، و ضرورة مراعاة قواعد التعاون لمعرفته ، في حين أغفل صياغة قواعد تؤطر لكيفية التعامل الأخلاقي بين طرفي الخطاب.

1- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 238

2- نور الدين جعيط تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث الأردن ط1/ ، 2012 ، ص 76

3- محمود أحمد نحلة، أفق جديدة في البحث اللغوي، ص:34

وبهذا فإنّ مبدأ التّعاون يقف عند حدود المعنى الحرفي دون مجاوزته إلى معان أخرى قد تخضع لاعتبارات سياقية من قبيل التّعامل الأخلاقي، و مراعاة أقدار المتخاطبين ، و التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى خرق هذا المبدأ باستعمال لغة التّأدّب، و بلورتها في استراتيجيات خطابية مختلفة. ذلك أن العلاقة الاجتماعية تحدد الكثير مما يقال و قدرا كبيرا مما يوصل فالتفاعل اللغوي هو في الأساس تفاعل اجتماعي.

ب- مبدأ التّأدّب:

أسست روبن لاكوف لهذا المبدأ في مقالها (منطق التّأدّب) حين دعت إلى ضرورة «اعتبار المحتوى التّداولي للفعل الكلامي و ذلك عند الحكم على قبول الجملة تماما ، كما كان ينظر إلى أهمية المستوى التركيبي عامة و كما ينظر حاليا إلى أهمية المستوى الدلالي»¹، ذلك أن الوقوف عند حدود الشّكل اللّغوي دونما اهتمام بسياق التّواصل بما يتضمّنه من افتراضات منطقية ، و تداولية لا يفضي إلى تفسير متكامل لبعض التّراكيب اللّغوية .

وهذا ما تبرزه تلك الخطابات القائمة على أساس العلاقة بين المتخاطبين ، و التي قد تتخذ أشكالا لغوية تنساق لطبيعة هذه العلاقة ، و هذا ما يبيّنه المثال الآتي :

"من فضلك أغلق الباب" , فهذا يعني أن المرسل في درجة مساوية أو أدنى درجة من المرسل إليه ، و لا تربط بينهما علاقة حميمية فإنّ لفظ (من فضلك) قد يعني في هذا المقام " مادمت لم أستطع إجبارك على إغلاق الباب فإنني أطلب ذلك مساعدة منك " .

بينما لو كان المرسل أعلى درجة من المرسل إليه ، و بحكم الاستعمال العرفي فإن لفظ (من فضلك) تعني حقيقة ما معناه " لأبدو مهذبا فإنني أطلب منك فعل ذلك بالرّغم من أنّي

1- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص240.

أملك السّلطة لدفعك لذلك"، و الفرق يبدو واضحا بين حالتي المرسل إليه فباستطاعته رفض الطلب في السياق الأول , فيما يستطيع رفضه دون مبرر كاف في السياق الثاني لذلك وضعت " لاكوف " قاعدتين متلازمتين سمّتهما "قواعد الكفاءة التّداولية"¹ و ذلك بغية توسيع مبادئ اللّغة الكلّية ،من خلال إدراج هذين القاعدتين التّداوليتين للحكم على جودة الخطاب من عدمه .

و قد صاغتها كالآتي:²

*كن واضحا .

*كن مؤدّبا .

و قد فرّعت لاكوف ثلاثة قواعد عن هذا المبدأ سمّتها " قواعد تهذيب الخطاب " حيث يتلفظ المرسل بخطابه وفقا لها ،و هي:³

*- قاعدة التّعفف و هي: تجنّب فرض نفسك على المرسل إليه ، بمعنى كن متحفظا لا تتدخل في شؤون الآخرين.

*- قاعدة التّخيير و هي : لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه ،و دع خياراته مفتوحة .

*- قاعدة التّودّد: تودّد للمرسل إليه ، أي كن صديقا.

و حسب لاكوف فإنّ لمبدأ التّعاون علاقة بمبدأ التّادّب و ذلك من ناحيتين :

ناحية اتفاق : حيث تمثل قاعدة التّعفف ميزة الاتفاق ، و ذلك حين ينتج المرسل خطابه بصورة رسميّة يبتعد فيها عن الفضول ، و إحراج المرسل إليه ، هذا ما يؤدّي إلى إدراج مبدأ التّعاون تحت قاعدة التّعفف .

¹- ينظر ، المرجع نفسه ، ص 240 .

²- ينظر ، المرجع نفسه ، ص 241 .

³- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص241.

ناحية اختلاف: ويحدث ذلك عند إنتاج الخطاب تبعاً لما تقتضيه قاعدتي التخيير، و التّودّد مما قد يؤدي إلى خرق مبدأ التّعاون ، و هنا تكمن ناحية الاختلاف .

ب- مبدأ الوجه: يعد الوجه رمزا دالا على صاحبه أثناء التّلفظ بالخطاب لذا فقد أسس كل من (بروان و ليسفون) في عملهما الموسوم بـ " الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التّأدّب " بعض القواعد الكليّة بغية ضبط ظاهرة التّأدّب بين المرسل ، و المرسل إليه ويمكن صوغ هذا كما يلي: " لتصن وجه غيرك " .

و قد بني هذا المبدأ على عاملين ¹:

- قيمة الوجه الاجتماعية .

- نسبة تهديد الوجه .

1- قيمة الوجه الاجتماعيّة : من علامات التّعاون، و الاحترام بين المرسل و المرسل إليه أن يصون كل منهما وجه الآخر و يعبر الوجه هاهنا عن رغبات الإنسان الأساسيّة، و يتفرّع هذا المبدأ إلى قسمين ² :

أ- **الوجه الدافع :** رغبة الإنسان في عدم اعتراض الآخرين على أفعاله.

ج- **الوجه الجالب:** رغبة كل واحد منهما في أن تكون إرادته محترمة.

2- نسبة تهديد الوجه : لضمان الاحترام المتبادل بين المتخاطبين ، صنّف الباحثان جملة من الأفعال التي تهدد الوجه خاصة ما تعارض منها مع إرادته نذكر من ضمنها:

الأفعال التي تنم عن الأطماع كتعبيرات الحسد ، و العواطف السّالبة ، وكذا عدم الإكثارات لمشاعر الآخر ، كتعبيرات الاستهجان ، النقد ، والسّخرية.

ج- مبدأ التّأدّب الأقصى : لإقالة عشرة مبدأ التّعاون الذي انبنى على أسس لغوية تقف عند الربط بين قصد المرسل ، و المعنى الدّلالي للخطاب. صاغ " ليتش Leech " مبدءاً مكملًا قائماً على قواعد تداوليّة اجتماعية ، و نفسيّة يتجاوز تنظيم العلاقات إلى تأسيس

¹- المرجع نفسه، ص243.

²- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص246.

الصدقات فيُشكل بذلك أساساً لمبدأ التعاون ، ألا و هو مبدأ التآدب الأقصى الذي يهدف إلى المحافظة على أواصر التواصل بين أفراد المجتمع .

و قد صنّف " ليتش " الأفعال اللّغوية تبعاً لوظيفتها الإنجازية و علاقتها بالهدف الرئيسي من الخطاب القائم على " بناء العلاقات الاجتماعية و المحافظة عليها " . من خلال استحضار مبدأ التآدب أثناء أدائها لوظيفتها الإنجازية حيث وزعها على أربع درجات سليمة هي :¹

1- **أفعال التنافس (compétitive):** و هي الأفعال التي يستحضر فيها المرسل مبدأ التآدب لتحقيق الهدف الإنجازي من خلال استعمال بعض الأدوات اللّغوية التي تخفف من حدة الأمر ، أو السؤال مثلاً ، وذلك باستخدام عبارات من قبيل : (من فضلك) (لو سمحت) .

2- **أفعال المناسبات (convivial):** هي الأفعال التي يتوسل فيها المرسل مبدأ التآدب كأساس و باعث لإنجازها بمعنى تطابق الهدفان الإنجازي و الاجتماعي ، مثل الدعوة و الشكر .

3- **أفعال التعاون (collaborative):** هي الأفعال التي تغيب فيها علاقة الهدف الاجتماعي (مبتدأ التآدب) بالوظيفة الإنجازية ، بمعنى أنّها الأفعال التي لا تتأثر أهدافها الإنجازية باستحضار الأهداف الاجتماعية مثل التبليغ ، التعليمات .

4- **أفعال التعارض (conflictive):** و هي الأفعال التي تتطلب وظيفتها الإنجازية عدم استحضار مبدأ التآدب لما في ذلك من تعارض و قصد المرسل فيخرجه إلى أغراض أخرى كالتّهم و الاستخفاف ، أو السخرية كالتّهديد مثلاً ، فلا يقال للمرسل مثلاً: من فضلك أرجو أن تسمح لي بضربك .

1- ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 111 .

و قد تؤدّي المحافظة على الهدف الأساسي لمبدأ التّأدّب الأقصى إلى خرق مبدأ التّعاون الدّاعي إلى ضرورة التّعبير المباشر عن القصد لتسهيل عملية التّواصل، و هذا ما يوضّحه المثال الآتي:¹

"وجد أحد الساكنين سيارة جاره أمام باب بيته" فقال له السّاكّن : أعان الله سكان هذا الحي فالشوارع ضيقة و المواقف نادرة.

الجار: أرجو ألا يضيق صدرك بنا و سأبحث لموقف عن سيارتي.

السّاكّن: لا تحركها في الوقت الحالي فأنا لا أقصد ذلك.

الجار: حتى لو قصدت فالحق معك.

فالملاحظ أن السّاكّن كان مؤدبا في خطابه مع جاره من خلال استعمال إستراتيجية غير مباشرة للدّلالة على طلبه بإبعاد السّيارة باعتبار التّأدّب هو أساس تفعيل مبدأ التعاون بينهما و مراعاة لأثر الجوار و الصّحة التي رجحت مبدأ التّأدّب ملتصقا لجاره السبب الذي دفع جاره لإيقاف سيارته أمام بيته بقوله : ضيق الشوارع و ندرت المواقف. وقوله : " لا تحركها في الوقت الحالي ...".

د- مبدأ التّصديق و اعتبار الصدق و الإخلاص: ينبع هذا المبدأ التّداولي من عمق التّراث العربي الإسلامي وقد اتخذ صوراً مختلفة منها " مطابقة القول للفعل" و " تصديق العمل للكلام"، حيث يصاغ هذا المبدأ كما يلي:

- لا تقل قولاً لا يصدقه فعلك.

و يتأسس هذا المبدأ على عنصرين :« أحدهما " نقل القول " الذي يتعلّق بما أسمىناه بالجانب التّبليغي من المخاطبة، و الثاني تطبيق القول الذي يتعلّق بما أسمىناه بالجانب التّهديبي منها»²

1 - قواعد التّواصل المتفرعة عن مبدأ التّصديق : يتفرع عن مبدأ التّصديق جملة من

¹- ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 110

²طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص 249.

القواعد التي جُمعت و فُصّلت عند الماوردي في "كتابه أدب الدنيا و الدين" هي :

«- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه ، إمّا في اجتلاب نفع أو دفع ضررٍ .

- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه , و يتوخى به إصابة فرصته .

- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته .

- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم»¹

و في هذا السياق يؤكد د طه عبد الرحمن على أنّ هذه القواعد جامعة لمبدأ التعاون و ما يتفرّع عنه من قواعد اشتهرت عند المحدثين بتنظيم الجانب التبليغي باستثناء قاعدة الكيف " قاعدة الصدق " .

حيث تنزل القاعدة الأولى منزلة مبدأ التعاون، إذ تشترط تحديد هدف معين للمخاطبة كما يشترط هذا المبدأ .

و أما القاعدة الثانية فتقوم مقام قاعدة العلاقة ، حيث تقضي بأن يكون لكل مقام مقال يناسبه .

فيما تنزل القاعدة الثالثة منزلة قاعدة الكم، إذ أنّها تفرض الاكتفاء بالضروري من الخبر .

و تقوم القاعدة الرابعة مقام قاعدة الجهة حيث تشترط مراعاة صحة المعاني ، و فصاحة الألفاظ ، كما تشترط هذه القاعدة إتباع أساليب واضحة .

2- قواعد التعامل المتفرعة عن مبدأ التصديق : يتفرّع مبدأ التصديق في جانبه التهديبي إلى " جملة من المبادئ التي استقرأها " د . طه عبد الرحمن " من التراث العربي الإسلامي ، و صاغها على مقتضى قواعد التخاطب ، بحيث يتفرّع عن كل مبدأ قاعدتان هي :²

¹ الماوردي ، أدب الدنيا و الدين ، تحقيق د محمد الصباح ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986 ، ص275 .

² - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص250 .

أ- قاعدة القصد :

- لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

ب- قاعدة الصدق :

- لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك .

ج- قاعدة الإخلاص:

لتكن في توددك لغيرك متجرداً عن أغراضك .

و يشير د طه عبد الرحمن إلى أنّ قواعد التعامل المتفرعة عن مبدأ التصديق تتضمن ما أقرته قواعد التأدب، و قواعد التواجه مع الاحتراز من الوقوع فيما وقعت فيه هذه المبادئ من قصور .

إنّ في عرض مختلف هذه المبادئ ما بين عربيّة ، و غربيّة لدليل على مدى أهمية التّأطير لعمليّة التّخاطب وفق ما تقتضيه العلاقة بين طرفيها (المرسل و المرسل إليه) على اعتبار أنّهما مناط قيامها.

و ذلك بضبط أقوال المتخاطبين بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية التّواصلية أو المسماة بقواعد التّبليغ، و محاولة ضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد طرق استقامتها التّعاملية "الأخلاقية" ، و تبقى نسبة حضور هذه القواعد لحظة التّخاطب رهينة درجة القرب أو البعد بين المتخاطبين .

فإذا افترضنا أنّ العلاقة بين المرسل ، و المرسل هي علاقة رسمية، و درجة القرب بينهما هيّنة فإنّ جملة القواعد التي تفرض نفسها بقوة هاهنا ، هي قواعد "مبدأ التعاون" و ما عرف "بمبدأ التصديق" في التراث العربي، فيميل المتخاطبين تبعاً لذلك إلى تحريّ المباشرة و التقيّد بما يفرضه موضوع الحديث ، على اعتبار أنّ هّمهما هاهنا لا ينصبّ على بناء علاقة حميميّة ، أو المحافظة عليها بقدر اهتمامهما بالجانب التّبليغي .

بينما لو افترضنا أنّ العلاقة التي تربط المرسل بالمرسل إليه هي علاقة حميميّة فإنّ جملة القواعد التي تفرض نفسها هاهنا ، هي تلك القواعد التي يجمعها "مبدأ التأدب" ، أو

ما عرف عند د طه عبد الرحمن "بقواعد التعامل" ، ذلك أنّ اهتمام المتخاطبين بالمحافظة على العلاقة أو محاولة إقامتها يدفعهما إلى اللامباشرة في الحديث ، ليكون مجال التعبير عن الذات هاهنا أرحب من مجال آخر .

3- معيار هدف الخطاب :

يعدّ الهدف من بين العناصر السياقية المؤثرة في اختيار الاستراتيجيات الخطابية ، و هو ما نسعى إلى تحقيقه من خلال أفعالنا ، أو هو « القوة الدافعة التي تقف خلف التواصل الإنساني و بالتّالي فالهدف يؤثر في إنتاج الملفوظات كما يؤثر في تأويلها، و تساعد الأهداف على تحديد علاقات الأفعال بالملفوظة فنلتفظ بالتّعبيرات التي نعتقد أنّها ذات علاقة بالهدف الذي نريد»¹ .

فلا يكون الخطاب خطاباً إلاّ إذا حوى هدفاً "غرضاً" معيناً يقوم بدور " الموجّه " نحو انتقاء استراتيجيات خطابية تكفل تحقيقه بصورة متكاملة واضحة وفقاً لبعض المبادئ كمبدأ التعاون لدى جريس ، و مبدأ التّأدب عند لاكوف . و يتجسّد هدف الخطاب عبر مستويين :

أ- المستوى الكلي : يتجلى هذا المستوى في فعل التّلفظ بالخطاب إنّّه « الهدف الكامن في صلب الخطاب اللّغوي بأصواته أبنيته و مفرداته »² ، و الخطوة الأساسية التي تقود المرسل إلى تحقيق العديد من الأهداف (الجزئية) ، هذا ما يضيف عليه صبغة الكلية و يجعله مرجعاً لتصنيف الاستراتيجيات الخطابية.

فإذا سعى المرسل مثلاً إلى الإصلاح استخدم آليات لغوية تترجم غايته المتمثلة في إقناع الطرفين بضرورة الصّحّ ، عبر إستراتيجية تسمى " إستراتيجية الإقناع " ، كما قد يوظف المرسل الإستراتيجية نفسها في توجيه المجتمع الدولي نحو الأخذ بقانون البنوك

¹- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص149.

²- المرجع نفسه، ص150.

الإسلامية للخروج من الأزمة الاقتصادية الرأهنة ، فالإقناع هدف كلي أسس لتحقيق أهداف مختلفة اجتماعية ، و اقتصادية .

ب- **مستوى الهدف النفعي** : إنه «الهدف الفعلي ، و الأثر العيني الناتج عن فعل التلّفظ بالخطاب»¹ ، وهو مستوى غير لغوي يقع خارج الخطاب ، و هو ما يرادف الفعل التأثيري عند سيرل ، كتحقيق الأهداف التعليمية المتمثلة في تحسين قدرات الطلاب و الأهداف السياسية كتحسين العلاقات و تقويتها بين الدول.....الخ.

على أنّ "الهدف النفعي" نسبيّ التحقيق لا قدرة للمرسل على إحداثه بخلاف الهدف الكلي الناتج عن إرادة المرسل المتجسّدة في (فعل التلّفظ) ، فالتاجر مثلاً يستطيع أن يتلفظ بخطابٍ يُشيد فيه بجودة سلعته بغية إقناع الزبون بشرائها ، فقد يبتاع الزبون تلك السلعة و قد لا يفعل ، فالمرسل هاهنا لا يملك أن يحمل متلقيه عنوة على تحقيق ما يصبو إليه .

1- **أهمية الهدف في بناء الخطاب** : أولت الدراسات اللغوية خاصة الوظيفة منها الهدف أهمية بالغة ، ذلك أنّ ما تنجزه اللغة من وظائف إنّما هي تجلي لتلك الأهداف ، ذلك أنّه من أهم العناصر السياقية التي تسهم في اختيار الاستراتيجيات الخطابية ، و التأسيس لها و ما جملة الاستراتيجيات تلك إلاّ سبيل لتحقيقها . هذا ما أعرب عنه " فان ديك" حين عرّف الإستراتيجية بقوله « إنها التّصور عن أفضل السبل الفعلية لتحقيق الهدف»²

أ- **أهمية الهدف في الدرس اللغوي العربي**: لا يخلو الدرس التراثي العربي نحوًا و صرفًا ، و بلاغة من أثر الاهتمام بالهدف كأساس لبناء الخطاب بدءا بتعريف بن جني للغة بأنّها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»³ ، و عليه فاللغة في عرف بن جني هي وسيلة الإنسان للوصول إلى تحقيق أغراضه "أهدافه".

¹- المرجع السابق، ص151.

²- ينظر المرجع نفسه ص132.

³- ابن جني ، الخصائص تحقيق محمد علي النّجار دار الكتاب العربي، بيروت، د ت ، ج1، ص33.

و قد اعتبر الهدف عند النّحة الغاية التّواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب و قصده منه، فكانت مراعاة الغرض من الكلام لدى أغلبهم « قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النّحوية للكلمة و بيان دورها في التّحليل النّحوي للجملة... و هي المعاني التي تعارف عليها المعاصرون باسم القصدية »¹

و يصرّ السيوطي هاهنا على ضرورة الأخذ بهذا المبدأ التّداولي "القصدية" حين صرح بأنّ «صناعة النّحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني و قد تكون مخالفة لها إذا فهم السّامع المراد ، فيقع الإسناد في اللفظ إلى الشيء ، و هو في المعنى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم ، و كانت الفائدة في كلا الحالتين واحدة »².

و تبعا لذلك راح النّحاة يقسّمون الكلام إلى ستة عشر قسماً فهو « إما أمر أو نهي، أو خبر، أو استخبار أو طلب، أو جحود أو تمنّ، أو إغلاظ أو تلهف أو اختبار، أو قسم أو شبيهه، أو مجارة أو دعاء، أو تعجب أو استثناء... »³

كما يتجلّى اهتمام النّحاة بهدف الخطاب في حديثهم عن عوامل حذف الفاعل و إحلال المفعول به محله ، باعتبارها نوعاً من الأغراض التي يجسدها الخطاب في مستواه الصّرفي ، و التّركيبي فقد « يُترك الفاعل لغرض لفظي أو معنوي كالعلم به... أو الجهل به كسرّق المتاع، أو تعظيمه فيصان اسمه عن أن يقتترن باسم المفعول ... أو تحقيره... أو خوف منه ، أو خوف عليه فيُسَرّ ذكره ، أو قصد إبهامه... و للنّاس في ذكر الأفعال المتعدية و إسقاط المفعول به أغراض »⁴.

ويضيف عبد القاهر الجرجاني موضّحاً الغرض من حذف المفعول به قائلاً : « و إذ عرفت هذه الجملة ، فاعلم أن أغراض النّاس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية ، فهم

1- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول ، ص33.

2- جلال الدين السيوطي ، الإشباه و النظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة 1406،

1985، ج3، ص173.

3- جلال الدين السيوطي ، همع الهوامع في النحو، تحقيق محمد عبد الله مجمع للغة العربية، دمشق 1986، ج1،

ص47.

4- جلال الدين السيوطي ، الإشباه و النظائر ، ص518.

يذكرونها تارة و مرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرّضوا لذكر المفعولين ...و مثال ذلك قول الناس : فلان يحل و يعقد و يأمر و ينهى ...المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه على الإطلاق ، و على الجملة»¹.

و تبعا لذلك وظف الجرجاني الغرض أحيانا لبيان خطأ أولئك الذين يخطئون في فهم الخطاب بسبب إهمال " الغرض " منه ، و عدم الالتفات إليه ، من ذلك اشتراطه معرفة غرض المتكلم و قصده في تحديد بعض الوظائف النحوية لاسيما المسند و المسند إليه في الكثير من الشواهد العربية . منها قول أبي تمام :

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه و أرى الجنى اشتارته أيدٍ عواسل²

إذ يقضي التحليل البنيوي بتساوي لفظي لعاب الأفاعي ، و لعابه في الوظيفة الإسنادية بمعنى أن الأمر متروك للقارئ أو المحلل النحوي فأيهما شاء جعله مبتدأ " مسند إليه " و أيهما شاء جعله خبرا "مسند"

فيبين عبد القاهر خطأ هذا التحليل اعتمادا على غرض المتكلم وقصده إذ أن :

«الغرض أن يشبه مداده بأرى الجنى على معنى أنه إذا كتب في العطايا ، و الصلات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها , و أدخل السرور و اللذة عليها ، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبرا »³ و أما أن ينعكس فإن ذلك لا يجوز لأنه لم يكن مرادا في غرض أبي تمام .

ب- أثر هدف الخطاب في بناء الأفعال الكلامية: تأسست نظرية الفعل على قاعدة مفادها أن جوهر العملية التواصلية لا يقتصر على تبادل أو نقل المعلومات فحسب , بل إنه كفيل بتحقيق فعلي للحدث ، بمعنى أنك إذا نطقت بجملة من قبيل " زوجتك ابنتي " فإنك لا

¹- الجرجاني ، دلائل الاعجاز،تح رشيد رضا و تقديم علي أبو زقية ، دار موفم للنشر و التوزيع ، 1991، ص154.

²- الجرجاني دلائل الاعجاز، ص336 .

³- المرجع نفسه ، ص337 .

تنشئ قولاً فقط بل تؤدي فعلاً ، فعلاً تحكمه القواعد ، والأعراف و توجهه الأهداف . و من ثم فالفعل الكلامي هو « الملفوظ المتحقق من قبل متكلم محدد في سياق محدد و الذي لا تكون اللغة معه مجرد أداة تواصلية بل فعلاً اجتماعياً أو سلوكاً فردياً أو مؤسساتياً »¹ لقد أسس أوستن لهذه النظرية المعاصرة و تناولها بعده عدد من الدارسين ، و قد كان هدف الخطاب من بين المباحث التي حظيت باهتمامهم ، و يتجسد ذلك في تقسيماتهم للأفعال الكلامية . مع اختلاف في العوامل المؤثر فيها ، سواء أكانت الأهداف النفعيّة التي تقع خارج حدود الخطاب ، أم الأهداف الكلية التي تقع في صلبه ، حيث لاحظ أوستن أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاث مستويات :

- **فعل التلفظ (الكلام – القول) l acte locutoire** : و يقصد به « إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم و ذات دلالة »² بمعنى أنه فعل يتحقق بمجرد التلفظ بأصوات لغوية ذات تركيب نحوي سليم يحيل إلى مراجع معروفة، ينتج عنه معنى معين وبهذا فهو أساس الأصناف (الأفعال الأخرى) فالتلفظ بالفعل الكلامي يقود إلى تحقيق

الفعل لإنجازي Acte illocutoire : و هو أساس هذه النظرية إنه : « العمل الذي يتحقق بقولنا شيئاً ما »³ .

و قد صنف أوستن تحت هذا الصنف خمسة أفعال يتحقق المرسل هدفه بمجرد التلفظ بها و هي كالآتي :⁴

- **أفعال الأحكام (أفعال القرارات التشريعية) verdictives :**

1- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص 83.

2- محمد أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 68.

3- آن روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم ، ص 32 .

4- المرجع السابق، ص 69.

و تهدف إلى إصدار الأحكام من طرف حكم أو حكيم (كالقاضي أو حكم المباراة) وليست هذه الأحكام نهائية أو نافذة ، و قد تكون (أحكاما) تفسيرية وظنية في صورة رأي مثل : يقدر – يعين – يحلل.

1-أفعال القرارات (أفعال الممارسات التشريعية) executives :

و تهدف إلى إصدار أحكام فاصلة و هي ممارسات تختصّ بها السلطة التشريعية و القانونية كإصدار حكم تجنيّد أو تعيين...

2-أفعال التّعهد (الأفعال الإلزامية) commissives :

يهدف المرسل من خلالها إلى إلزام نفسه بفعل شيء ما مثل الوعد ، الضمان ، التّعهد .

3-أفعال السّلك behabitives :

و هي أفعال يتوسلها المرسل بهدف التّعبير أو إبداء سلوك معين . كالشّكر و الاحترام و التّحية ، و الرجاء .

4-أفعال الإيضاح (التفسيرية) expositives :

و الهدف منها توضيح وجهة نظر أو بيان رأي أو ذكر حجة كإثبات ، و الإنكار و الاستفهام ، و التشكيك .

و لا يقتصر أثر هدف الخطاب على هذا النوع من الأفعال بل إنّه يتعداها ليشمل الصّنف الثّالث منها ألا و هو " الفعل التّأثيري *acte perlocutoire* " أو ما سماه أوستين بـلازم فعل الكلام ، و يحدث ذلك عندما يسعى المرسل إلى التّأثير بفعله على سلوك أو مشاعر المرسل إليه ، كإقناعه ، أو تشجيعه ... ، فالتّلازم بين هذه الأصناف الثّلاث لا يقف عند هذا الحد ، بل إنّه: «و لكي تنجز فعل الكلام ، و بالتّالي قوّة فعل الكلام ، لابدّ أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال . فأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة ، حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب و أفكاره أو تصرفاته ، كما يستلزم ذلك لوازم و نتائج قريبة تؤثر على المتكلم و غيره من الأشخاص الآخرين، و قد يقع أن نتعمّد إحداث هذه الآثار. و النّتائج، و اللّوازم عن قصد و نية أو غرض ما ، و من ثمّ

يجوز أن نتحدث، و نحن نأخذ في اعتبارنا اجتماع كل تلك الأمور، أنّ المتكلم قد أنجز شيئا ما أو فعلا ما ... و إنجاز فعل من هذا النوع ، يمكن أن نسميه بإنجاز ما ترتب عن فعل الكلام ما لزم عنه، و هو بالضبط مصطلحنا "لازم فعل الكلام" ¹.

و عليه فإن المرسل يتوصل من خلال الفعل الإنجازي - و الذي يركز أساسا على فعل التلّفظ - إلى تحقيق فعل آخر، هو الفعل التأثيري ، فقد يتوصل مثلا من خلال فعل الإخبار إلى بعث السرور في قلب المرسل إليه .

لم يكن سيرل مقتنعا بما ورثه عن أستاذه أوستين من تصنيف للأفعال الكلامية ذلك أن تصنيفها كان قائما على ما تقتضيه معانيها المعجمية لا على الأفعال ذاتها ، هذا ما جعله ينتقد هذا المنهج بشدة ، موضحا أن منهج أوستين لم يكن واضح المعالم متماسكا .

مبيناً أنّ: « نقطة الضعف الجوهرية في هذا التصنيف أنّه لا يقوم على مبدأ أو مجموعة من المبادئ المنسجمة إذا استثنينا " الوعديات " التي استخدم فيها أوستين مبدأ واضحا هو غرضها الإنجازي كقاعدة محددة لعلاقة خطابية واضحة » ²

لذلك قام سيرل بتقديم تصنيف جديد للأفعال الكلامية كبديل لتصنيف أوستين القائم على عدد من المعايير، أو الأسس بلغت اثنتي عشر معيارا ، كان أولها الاختلاف في الغرض الإنجازي من الفعل اللّغوي، فالغرض أو الهدف الإنجازي للأمر مثلا ، هو محاولة التأثير في المخاطب لفعل شيء ما ، في حين أنّ الهدف الإنجازي للوعد هو إلزام المتكلم نفسه للقيام بشيء ما ، و قد أطلق مصطلح "الهدف" من أيّ صنف من الإنجازات على الغرض الإنجازي، و هو: « جزء من القوة الإنجازية، ولكنه ليس مطابقا لها ، و بهذا فإن الهدف الإنجازي للطلب هو ذاته الهدف الإنجازي للأمر، كلاهما يحاول أن يجعل المرسل إليه يقوم بفعل شيء ما و لكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك

1- أوستين ، نظرية أفعال الكلام ، ترجمة عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق، 1991 م ص 121 ، 122 .

2- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص 86.

اختلافاً بينا ، و بوجه عام ، يمكن القول: إن القوة الإنجازية هي نتيجة لعدد من العناصر في حين يكون الهدف الإنجازي واحداً فقط ، و لذلك فإنني أعتقد أنه الأكثر أهمية ¹ و بناءاً على معيار "الهدف" ، و معايير أخرى بني سيرل تصنيفه للأفعال اللغوية تضمنت خمس أصناف يحقق المرسل من خلالها غرضاً (هدف) محدداً و هي كالآتي: ²

1- الأفعال التقريرية (التأكيدية) assertives:

و الهدف منها هو تقدير المرسل أنّ شيئاً ما هو واقعة حقيقية، و تعهده كذلك بصدق قضية ما: أكد ، أقسم ، أنكر.

2- الأفعال التوجيهية Directives:

و هدفها توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما محاولاً دفعه إلى ذلك بطرق تتراوح بين اللين و الإغراء و النصيح و الشدة .

3- الأفعال الإلزامية commissives:

و الهدف منها التزام المرسل بنفسه بفعل شيء ما في المستقبل، و هي مبنية على شرط الإخلاص ، مثل : أعد ، و التزم ، و أتعهد .

4- الأفعال التعبيرية التعبيرات expressives:

و الهدف منها التعبير عن المشاعر و العواطف بهدف حيال الواقع ، كالشكر، و الحب و الاحترام.

5- الأفعال التصريحية (الإيقاعيات) Déclarative :

و الهدف منها جعل محتوى الخطاب يطابق العالم ، و العالم يطابق الخطاب و من أمثلها: أعرب.قرر...

¹- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 157
²- ينظر، محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 78-79-80- و ينظر أيضاً كولنج: الموسوعة اللغوية، ج / 3 ، ص189.

و بالرغم من أهمية هدف الخطاب لدى سيرل فقد أكد في الأخير أنّ: «اعتماده كمفهوم معنوي يحد من الأشياء التي نفعّلها بالّلغة، فتتراوح ما بين تعبير عن المشاعر و العواطف و محاولة التأثير على الآخر لفعل شيء ما ، و الأخبار عن هيئة الأشياء ، و غالبا ما نفعّل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفظ واحد»¹ .

و قد حاول ليتس إعادة بناء نظرية الأفعال الكلامية بناء على علاقة الهدف الاجتماعي من حيث توطيد العلاقات الاجتماعية ، و المحافظة عليها و هذا بتفعيل مبدأ التأدّب ، و درجة حضوره كمعيار و للتّصنيف ، فأحصى تبعا لذلك أربعة أفعال هي:²

- 1- أفعال التّنافس: و فيها يتنافس الهدفان.
- 2- أفعال المراسم: و فيها يتطابق الهدفان.
- 3- أفعال التّعاون: و فيها لا توجد علاقة لأحدهما بالآخر.
- 4- أفعال التّعارض: و فيها يتعارض الهدفان.

يتّضح مما سبق أنّ الهدف عنصر سياقي ذو أهميّة بالغة ، على اعتبار أنّه الباعث على التّلفظ بالخطاب ، حيث ينحو المرسل صوب تحقيقه بالاعتماد على الاستراتيجية المناسبة ، التي تكفل وضوحه من خلال التّلفظ وفقا لتلك المبادئ التي نص عليها الباحثون، مثل شروط الماوردي ، ومبدأ التّعاون عند غرايس ، وقاعدة التّعفف عند لاكوف ، وبهذا يتاح للمرسل بلوغ هدفه بأكثر من إستراتيجية خطابية فقد يبلغه باستعمال إستراتيجية التضامن ، وقد يتاح له ذلك باستعمال إستراتيجية التّوجيه .

و من جهة أخرى فإنّ الأفعال الكلاميّة المنجزة في الخطاب تعتبر أهدافا للخطاب نفسه، إذ يستطيع المرسل إنجازها بشكل مباشر ، أو بشكل غير مباشر ، ليصبح الهدف معيارا من معايير تصنيف الأفعال الكلاميّة إلى أفعال مباشرة ، وأفعال غير مباشرة .

¹- ينظر ، كولنج ، الموسوعة اللغوية، ص 193 -194.

²- ينظر ، عبد الهادي بن طاهر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 159.

4- معيار شكل الخطاب : يتجسّد معنى الخطاب في شكل لغوي يتوسله المرسل لتبليغ قصده إلى المرسل إليه ، ذلك أن لكل معنى شكل لغوي يدل عليه وفق مواضع اللّغة ، كما وأنّ لكل شكل لغوي أدواته الخاصة التي تجسّده ، ومهما اختلفت السّياقات فلن يكون المرسل إلا أحد اثنين: إما مخبر أو طالب .

و قد أشار السكاكي إلى هذا بقوله: « و السّابق في كلام العرب شيان الخبر و الطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة ... و ما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل »¹.

و عليه فالمرسل يجسّد معنى خطابه من خلال إستراتيجيتين لغويتين هما: إما إجراء كلامه على الأصل ، بأن يكون ظاهر الخطاب دالاً على قصد المتكلم دلالة صريحة ، أو أن يعدل عن هذا الأصل فيدل كلامه على القصد دلالة تلميحية، و هذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: « إنّ الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، و ذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت : خرج زيد و بالانطلاق عن عمرو فقلت : عمرو منطلق و على هذا القياس . و ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، و لكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، و مدار هذا الأمر على الكناية ، و الاستعارة ، و التّمثيل ... ألا ترى أنّك إذا قلت هو كثير رماد القدر ... إنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ و لكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال بمعنى ثاني هو غرضك »²

¹- السكاكي ، مفتاح العلوم، ص 163 .

²- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 252 .

III. العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجيات الخطابية :

يعدّ الخطاب فعلاً لغوياً تؤسس له جملة من الظروف ، و العوامل التي توجه المرسل إلى انتخاب استراتيجيات تتلائم وإياها . فتسهم بذلك جملة هذه الظروف و العوامل في عمليتي البناء و التأويل، نذكر من أهمها المقاصد و السّلطة .

1- **عامل المقاصد :** يعبر المرسل عن قصده في الخطاب لغة ، فتصبح اللّغة بذلك محدّداً محيلاً و مؤولاً لمعنى المرسل في الخطاب ذلك أن «... اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام»¹ ، فلا يستقيم الكلام كفعل يمثل كباقي الأفعال الإنسانية شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعي إلا إذا بُنيَ على قصدٍ معين .

اهتم فلاسفة نظرية الاستعمال في المعنى امثال "فتجنشتاين -أوستن - جرايس - سترأوسون -سيرل" بمفهوم القصدية في فهم كلام المتكلم ، وتحليل العبارات اللغوية مؤكدين على ضرورة "التراجع عن دراسة اللغة كبنية وعن دراستها كتراث من أجل اختزالها إلى الأفعال القصدية ؛فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معيّن ؛ أي أنّه يقصد شيئاً بكلامه ؛ و حينما يتعرف القارئ ، و السامع على مراد المتكلم يكون قد توصل إلى فهم لغته ... وتظهر القيمة النفسية للغة في فعل القصد"²

فالقصد محور رئيس في تحديد ماهية الحدث اللساني إلى جانب العلم بالمواضعة بعد أن غيبته الدراسات البنيوية و التفكيكية -إذ لا سبيل الى " فهم اللغة ؛ اذا نحن لم نفهم الخطاب ؛ ولا يمكننا فهم الخطاب إذا لم نأخذ بعين الاعتبار مقصد التواصل"³ ذلك أنه - القصد - أحد"الخصائص القارة الملازمة للسلوك البشري " والذي يعد عاملاً حاسماً في تقديم درجة شرعية تأويل معين

¹ ابن خلدون ، المقدمة دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 2008 ، ص 598.
² حكيم بناني ؛ الظهرانية و فلسفة اللغة تطوّر مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب أفريقيا الشرق بيروت لبنان 2003 ص 28
³ يحي رمضان القراءة في الخطاب الاصولي الاستراتيجية و الاجراء عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط 2007 ، ص 143.

أ- بين القصد و القصدية :

يتقاطع مصطلح القصد مع القصدية التي تعني : " قدرة العقل على توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها ، وهي خاصية مميزة للعقل يتجه من خلالها إلى الأشياء في العالم الخارجي ويتعلق بها . وتكون الحالات العقلية قصدية لأنها تكون حول شيء ما أو موجه نحو شيء ؛ أو تمثل شيئاً ما "1

أما القصدية عند سورل فهي " صفة للحالات العقلية ، و الحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي و أحواله أو الإشارة إليها "2

يقوم هذا التعريف على فكرتين جوهريتين هما :

1- توجه العقل إلى موضوعات أو حالات خارجية .

2 وجود علاقة اتجاه بين العقل و الأشياء .

و تشمل القصدية " حالات الاعتقاد و الخوف و الأمل و الحب و الكراهية و البغض و الميل و النفور و شك و التعجب و الابتهاج و العجب و الحزن و القلق و الغرور و الندم و الأسى و الأسف و الشعور بالإنثم و الفرح و الغضب و الارتباك و القبول و الصفع و الخصومة و النزوع و التوقع الإعجاب و الازدراء و الاحترام و السخط و القصد و التمني و الرغبة و التصور و التخيل و الشهوة و الاحتقار و الحقد و الرعب "3

فالقصدية إذن "هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن ان يتوجه بها العقل أو يتعلق نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم"4

نستنتج أن القصد صورة من صور القصدية المتعددة يقول سيرل " القصد بالمعنى العادي هو مجرد صورة واحدة من القضية بالإضافة إلى الاعتقاد و الرغبة "1

1 ينظر خليفة الميساوي القصدية في الخطاب السجالي ، ضمن كتاب التداوليات و تحليل الخطاب بحوث محكمة اشراف و تقديم حافظ اسماعيل علوي و منتصر أمين عبد الرحيم دار كنوز المعرفة 2013 ص 295

2 جون سيرل ، القصدية بحث في فلسفة العقل ترجمة أحمد الأنصاري ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 2009 ص 21

3 ينظر خليفة الميساوي القصدية في الخطاب السجالي ، ص 295

4 جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع " الفلسفة في العالم الواقعي " ، تر سعيد الغانمي منشورات الاختلاف الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون المركز الثقافي العربي المغرب ط1 2006 ص 128

بمعنى أنك إذا قصدت الوضوء لإقامة الصلاة قد مثلت هذا الفعل لنفسك ؛ أي قصدت حالة تمثيلية .

فضّل "سيرل" مصطلح "التمثيل" عن مصطلح "القصدية" ، وقسم القصدية إلى : باطنية و مشتقة ، والمقصود بالتمثيلات كما صرح "سيرل" - أن الكائنات البشرية تملك " مجموعة متنوعة من الطرق المترابطة لتقريب ملامح العالم وتمثيلها لذواتها وتتضمن هذه الطرق الإدراك الحسي و التفكير و اللغة والاعتقادات و الرغبات بالإضافة إلى الصور والخرائط و الرسوم البيانية ونحو ذلك² ، وسوف أسمى هذه الطرق بشكل عام "التمثيلات"، وملح التمثيلات المحددة هكذا هو أنّها جميعا ذات قصدية ، قصدية باطنية ، كما هو الحال في الاعتقادات و الإدراكات الحسية ، وقصدية مشتقة كما هو الحال في الخرائط و الجمل"³.

وقد قسم القصدية إلى نوعين :

1 - قصدية باطنية (الأصلية) : كما هو الحال في الاعتقادات و الادراكات الحسية .

2- قصدية مشتقة : كما هو الحال في قصدية اللغة التي تعتمد على مجموع مستخدميها المالكين للمعنى نفسه الذي تملكه هذه اللغة .

فالعقول وحدها هي التي تملك قصدية باطنية (أصلية) دون باقي الحالات كاللغة الخرائط الرسوم البيانية التي تملك قصدية مشتقة لأنها من غير عقل . حيث يعتبر سيرل أن التمثيل العقلي هو الصورة الأساسية للتمثيلات ، ومنه يشتق التمثل اللغوي فالأصوات و العلامات تحيل إلى الأشياء و الحوادث لأن العقل يفرض عليها قصدية يقول في ذلك "

¹صلاح اسماعيل ، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل دار قباء الحديثة القاهرة ط2007 ص 153

² المرجع نفسه ص 411

³ المرجع نفسه ص 44

المعنى اللغوي صورة حقيقية من القصدية ، ولكنه ليس قصدية باطنية و إنما قصدية مشتقة من القصدية الباطنية لمستعملي اللغة ¹

صرح سيرل في كتابه " القصدية " أنه عمد إلى تحليل القصدية عن طريق ربطها بأفعال الكلام ، حيث بحث عن الشروط الضرورية ، و الكافية لأداء أفعال الكلام و نطق الجملة ولقد طَبَّقَ هذا المنهج على دراسته للقصدية إذ لم يكن السؤال في هذه الدراسة عن «الشروط الضرورية و الكافية لأداء العقل ، و إنما كان السؤال عن الشروط الضرورية و الكافية لكي تستوفي الحالة القصدية وهذه هي شروط الاستيفاء»²

أكد سيرل أن للحالات القصدية أنواعا متباينة ، ولكل حالة مضمون قصدي ، وقد تشترك الحالات القصدية في المضمون القصدي نفسه. بالرغم من اختلافها في النمط النفسي فالجمل من قبيل :

-أعتقد أنك ستنجح هذا العام .

-أرغب أن تنجح هذا العام .

-أمل أن تنجح هذا العام .

وردت هذه الجمل في أشكال سيكولوجية مختلفة " الرغبة. الاعتقاد. الأمل " ولكنها تتشارك المضمون القصدي نفسه هو (النجاح هذا العام) هذا ما يسمى في نظرية أفعال الكلام المحتوى القصدي ، و القوة المتضمنة في الفعل .

بحيث ترتبط هذه الحالات القصدية ،و المضمون القصدي بالواقع عبر ما اصطلح على تسميته في نظرية أفعال الكلام بالتوجه التناسبي أو (اتجاه المطابقة) إذ تمثل العبارات الخبرية ضمن هذا المنظور الواقع مستقل ، فبقدر ما تنجح أو تخفق في تمثيله يقال إنها (توصف بكونها صادقة أو كاذبة) و بذلك فهي تملك اتجاه مطابقة من العقل إلى العالم .

¹ - صلاح اسماعيل فلسفة العقل ص 230

² -المرجع نفسه ص 46

أمّا الأفعال التوجيهية كالمطالب و الوعود و الأوامر فإنّها تهدف إلى إحداث تغيير في العالم كي يتطابق مع محتواها. فتوصف بالإنجاز (التحقق ، النجاح) إذ ما طابق العالم مضمونها القضوي والعكس إذ لم يحدث ذلك، فهي بذلك تمتلك اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات و العبارات .

- أمّا الأفعال التعبيرية كالتهنئة و الشكر و التعزية التي لا تهدف بطبيعتها إلى تقرير مضمون قضوي ولا إلى تغيير واقع ما فتملك اتجاه مطابقة فارغ ، لأن هدفها لا هو تقرير المضمون القضوي ولا تغيير العالم بجعله يضاهي المضمون القضوي .

لاحظ سيرل في خضم دراسته (للقصدية) أنّ شرط الصدق ينطبق على بعض الحالات القصدية فقط (كالاقتادات) الأمر الذي اضطرّه إلى إيجاد شروط أشمل فجاء بفكرة شروط الاستيفاء لغطي هذا القصور حيث اعتبرها مفتاحاً للقصدية يقول في ذلك : «إنّ هذه الحالات القصدية من قبيل الاقتادات و الرغبات لها شروط استيفاء ، وهذا المصطلح يشمل شروط الصدق بالنسبة للاقتادات ، وشروط الإنجاز بالنسبة للرغبات ، وشروط التحقيق بالنسبة للمقاصد ... و امتلاك شروط الاستيفاء هو ملمح عام لمجموعة كبيرة جدّاً من حالات قصدية ذات المضمون القضوي ، وشروط الصدق هي حالة خاصة من شروط الاستيفاء . »¹

نجد في هذه النقطة تماثلاً بين بنية أفعال الكلام القصدية (قصدية مشتقة) و بين الحالات القصدية (قصدية باطنية أصلية) فأفعال الكلام تستوفي شروطها أو لا تكون كذلك اعتماداً على مضمونها القضوي في موافقته للعالم أو عدم موافقته له «فتكون الأساليب الإخبارية مستوفاة عندما يكون الشيء المقرر صادق ، و يكون الأمر مستوفياً عندما يتحقق ، وكذلك الوعد مستوفياً إذا تم الوفاء به و هكذا ... وفي الحالات القصدية كذلك تستوفي الاقتادات عندما يكون المعتقد فيه صادقا ، وتستوفي المقاصد عندما يتحقق

¹ - صلاح اسماعيل ، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل ص 226.

المقصود و تستوفي الرغبات عندما تنجز ...»¹ إلا أنّ هناك حالات قصدية ليس لها مضامين قضوية تامة ، و بالتالي فهي لا تملك شروط استيفاء كالكره مثلاً أو الحب أو الإعجاب ... كما أنّ هناك حالات أخرى لها مضامين قضوية غير أنّها لا تملك اتجاه مطابقة كالسعادة و الندم و الخجل ، حيث حاول سيرل تكييف هذه الحالات عن طريق « النظر إلى تأليفها، فهي تتألف جزئياً من حالات قصدية أخرى ذات مضمون قضوي تام و تملك شروط استيفاء ولها اتجاه مطابقة ، و تنحصر أساساً في الاعتقادات و الرغبات .. و بالتالي تخضع هذه الحالات أيضاً لقانون شروط الاستيفاء »²

فهي بذلك حالات قصدية مركبة تقتضي التحليل إلى حالات قصدية ذات بنيات صغرى لها اتجاه مطابقة محدد .

فسر سيرل قصدية الأفعال الكلامية ، أو قصدية المعنى انطلاقاً من القصدية العقلية مؤكداً أنّ قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثّل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية ، يقول سيرل في تفسيره للمعنى : " إليك المفتاح لفهم المعنى : المعنى صورة من القصدية المشتقة ، والقصدية الأصلية أو الباطنية لتفكير المتكلم تنتقل إلى الكلمات و الجمل و العلامات و هلم جرا"³ ، و من غير هذه القصدية فإن ما نسمعه لا يعدو أن يكون مجرد لغو، أو موجات صوتية ، أو حبراً على ورق لا عبرة منه ، ولذلك عدّ القصد عاملاً أساسياً في استعمال اللغة و تأويلها .

¹ - صلاح اسماعيل فلسفة العقل ، ص 227

² - المرجع نفسه ص 228

³ جون سيرل العقل و اللغة و المجتمع " الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة سعيد الغانمي منشورات الاختلاف ط 2006/ص 207

ب-جدلية القصد و الموضوعة في اللغة :

إذا كان تحديد الإنسان لا يكتمل إلا باللغة إذ هو الحيوان الناطق " فالنفس الناطقة هي الإنسان من حيث الحقيقة " ¹ ليكون الحدث اللساني بذلك جوهر الإنسانية في الإنسان، "فمن كان في المنطق أعلى رتبة كان بالإنسانية أولى" ².

فإذا كان جوهر الإنسان قائم باللغة فإن جوهر اللغة يرتكز على الموضوعة أو ما يسميه تمام حسان بالعرف الاجتماعي إذ بفضلها تصبح اللغة تلك «المؤسسة الدلالية المغنية عن حضور الأشياء و المسميات ... من الحدث عما لا يظهر للحس من مسميات مجردات .» ³ «إذ لو لم يتواضع عليها أفراد المجموعة المنتسبة إليها لم يصح لها أن تكون أدلة تفهم بها الأغراض و يقع بها التخاطب» ⁴

فالموضوعة إذا هي علّة وجود اللغة و « دعامة الانتظام البلاغي في الكيان اللغوي ، و بانعدامها يرتفع العقد الجماعي بين الأفراد والمجموعة اللسانية الواحدة . » ⁵

إنّ الموضوعة قانون نسبي يحركه القصد الذي يعتبر حبل الوصل بين اللغة و القصد إذ لا يستقيم التخاطب بمختلف أركانه إلا إذا احتكم لهذا المعيار ، الأمر الذي أكدّه عبد الجبار بقوله «إنّ المكلم لغيره إنما يحصل مكلما له بأن يقصده بالكلام دون غيره و يكون أمرا له متى قصده بالكلام و أراد منه الأمور به » ⁶ وبذلك يبسط القصد مساحته على الطرف الآخر (متلقي الخطاب) كما يتدخل باعتباره قانونا داخليا في طلب الموضوعة – في تحديد نوعية أجناس الخطاب من خبر أو نهي أو أمر ... ما حدا بصاحب المستصفي أدراج الخبر ضمن أصناف الكلام القائم بالنفس مقررا أنّ العبارات ليست إلا أصواتا تعيد رواية ما تكنه الضمائر (ما هو قائم بالنفس) متخذًا من القصد معيارا للتمييز بينهما (العبارات و

¹ - الشهرستاني، نهاية الاقدام في علم الكلام تحقيق ألفريد جيوم ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة مصر ط1/2009ص 313

² - القيرواني العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ج1 ص 242 .

³ - عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني ص 130.

⁴ - المرجع نفسه الصفحة نفسها .

⁵ - المرجع نفسه ص 141 .

⁶ - ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها

حديث النفس) قائلا «هذا ليس خبرا لذاته بل يصير خبرا بقصد القاصد إلى التعبير عما في النفس»¹

يعتبر الدكتور طه عبد الرحمان أنّ « الأصل في الكلام القصد »² فالمتكلم لا يخاطب غيره إلا إذا كان لخطابه قصدا معينا .

و يشير الدكتور محمد محمد بونس علي في سياق حديثه عن الدلالة باللفظ عند القرافي بعد استعراض قوله «هي استعمال اللفظ في موضوعه و هو الحقيقة أو في غير موضوعه وهو المجاز»³.

إلا أنّ الأهمية البراغمية لهذا التعريف تكمن في كونها «تستلزم التفريق بين ما تعنيه الكلمات نفسها ، وما نعينه نحن بها وبكونها تجعل من المتكلم مؤلفا للرسالة إلى حد أنّ صوغ الكلام محكوم بالعناصر غير اللغوية التي يراعيها ولا سيما مراده»⁴ فقصد المتكلم هو الذي يحدد ما يسمّيه دي سوسير بالعلاقات الاستدلالية، و الائتلافية في أي خطاب .

وقد اعتبر القصد عند علماء الأصول قاعدة لتحليل الخطاب القرآني حتّى كان الفقه في تعريفه غير الاصطلاحي عندهم يعني " المعرفة بقصد المتكلم "سعيًا منهم إلى الكشف عن المقاصد التي يجسدها الخطاب القرآني وقد تأسست حول هذا المسعى ما يسمّى بفكرة " مقاصد الشريعة " في علم الأصول ، ويمكن أن يلخص جوهر هذه الفكر بالقول : «إنّ المرادفات الفعلية التي تتجسد في النص الربّاني توجهها مقاصد أوسع ، و أكثر تجديداً، و أصولية كما يفهم من الماتردية و الحنابلة ، و المعتزلة وغيرهم ، و خلافاً للأشاعرة ،

1- الغزالي المستصفى في علم الأصول -ج1- ص 85

2- طه عبد الرحمان ،التكوثر العقلي - ص 103 .

3- بنظر محمد محمد بونس علم التخاطب الإسلامي - ص 82 .

4- المرجع نفسه - الصفحة نفسها .

ترى هذه المذاهب أنّ مصالح البشر معتبرة من لدنه - عزّ وجلّ - في أفعاله و أحكامه و أنّ الغاية من هذه المقاصد يمكن معرفتها¹

لا يستقيم بناء الكلام إلّا إذا طابق نسق المواضعة ، ولكنه لا يفيد ما يفيدّه إلّا إذا احتكم إلى معيار القصد ، غير أنّه لا يتأتّى للقصد التأثير في الكلام ما لم يمتثل لسنن المواضعة وفي مفترق هذه العلاقة الجدلية يقرر صاحب سر الفصاحة في حديثه عن الكلام «وهو بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به و استعماله فيما قرّره المواضعة ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها لأنّ فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمر قصدناها ، و فائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور و تأثر في كونه أمراً له ، فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكّين و تقويم الآلات و القصد يجري مجرى استعمال الآلات بحسب ذلك الاعتداد²

فالقصد إذا حقل متعدد المشارب تتجاذبه عناصر مختلفة، تنتزل جميعها منزله مادة القصد وموضوعه في الوقت نفسه إذ هو : «قصد للمواضعة من حيث هي مبدأ وقانون شامل للظاهرة اللغوية إطلاقاً ، وهو قصد لمواضعة مخصوصة بوصفها مجموعة من السنن التي تتشكل بها اللّغة المعنية في ذلك المقام المحدد ، وهو قصد للمخاطبة باعتبار أنّ جميع سنن المواضعة في خطاب إبلاغي إنما يتخذ لنفسه غاية هي تكريسه للمحاوره ، وهو قصد للفائدة حيث أنّ علة الحدث الإبلاغي و غايته لا يمتثلان إلّا في إيصال شحنة دلالية لتحقيق عملية الاخبار بين طرفي الحوار ، وهو قصد للمقبل بما أنّ المتكلم لا يبيّ خبره إلّا وهو مرسل إيّاه لمن يتّجه به إليه سواء انحصر عدداً أم اتّسع أم استعطى عن الحصر....»³

يتعلّق القصد باعتباره محرك قانون المواضعة بمفهومين يتشاركان الحقل الدلالي نفسه ألا و هما مفهوم الاعتقاد و مفهوم الإرادة اللذان ينصبان في بوتقة مبدأ النية ، إذ يعتبران

¹ - بنظر محمد محمد بونس علم التخاطب الإسلامي - ص 78 .

² - ابن سنان الخفاجي سر الفصاحة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1982 - ص 43 .

³ - عبد السلام المسدي ، التفكير اللّساني - ص 147 .

بمثابة الشروط الفرعية التي يجب أن يتوفر عليها معيار القصد ، وقد حل صاحب سرّ الفصاحة العلاقة القائمة بين القصد و فكرتي الإرادة و الاعتقاد منوهاً أنّ الفعل الكلامي لا ينجز إلّا إذا تعاضدت كلّ الطاقات النفسية و القدرات الفكرية للإنسان بهدف بلوغ الكلام تمامه يقول :«إنّ المتكلّم من وقع الكلام ، الذي بيّنا حقيقته بحسب أحواله من قصده و إرادته و اعتقاده»¹.

يتبين مما سبق أنّ سلامة الحدث الكلامي رهين بتوفر شرطي القصد و الموضوعة معا يقول عبد الجبار: «المفيد و المعبر لا بدّ من أن يقصد ما وضع له و إلّا لم يكن مفيداً له ، فلا بدّ من الأمرين (القصد و الموضوعة) لأنّ الموضوعة لو عدمت لم يؤثر هذا القصد بانفراده ولو وجدت و عدم القصد لم يكن هذا القول عموماً من قائله و إذا حصل وقعت الفائدة باللفظة على ما ذكرناه»².

فلا كلام بقصد دون موضوعة ولا موضوعة دون قصد ، إذ بهما يكتسب الكلام شرعيته باعتباراه دليلاً يتنزل في صلب جهاز التواصل الإخباري (من جهة) ثمّ يتنزل من جهة أخرى في بوتقة البراهين المنطقية .

و ينسحب مبدأ القصد و الموضوعة على اللّغة في علاقتها الاستدلالية ، مثلما ينسحب عليها في علاقاتها التركيبية .

¹- ابن سنان الخفاجي سر الفصاحة ص 34*

²- ينظر عبد السلام المسدي م كتاب التفكير اللّساني - ص 151 .

ج- القصد بمفهوم الإرادة :

يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ذلك « أنما الأعمال بالنيات و الأمور بمقاصدها »¹ فتغدو حينها الأفعال تابعة لمقاصد المتكلم الباطنية وليست تابعة لشكلها الظاهري فحسب فيكون بذلك الحكم على الفعل تبعاً لإرادة الفاعل ذلك أنها « تصدر عن العقل ، و الإرادة إن لم تختار الفعل بسبب ما إلا أنها تختاره لعلّة ، أي أن الفعل لا ينتج عن العلة الفعلية بل يتجه إلى العلة الغائية »²، بمعنى أنّ الفاعل " المرسل " يقوم بفعل التلّفظ بالخطاب بناء على نية معينة بغية تحقيق هدف محدد مسبقاً .

فالخطاب إذن فعل واعٍ مؤسس له . و من ثم كانت الإرادة في عرف المعتزلة مناط التّكليف على أساس منها يترتّب الثّواب، أو العقاب إذ يعدّون الإرادة « الفعل الإنساني الذي تترتب عليه مسؤولية الإنسان عن فعله ، و من ثم استحقاقه للثّواب أو العقاب »³ كما تعتبر الإرادة ، أو القدرة ، و استطاعة القيام بالفعل ، و الاختيار عند المعتزلة علامة فارقة مُيّزَ بها الإنسان عن سائر الخلق من الجمادات ، و النباتات و جملة الحيوانات . و ذلك ما أشار إليه الرّازي عند تفسيره لقوله تعالى : (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ)⁴ ، حيث اعتبر صفة فصل الخطاب من الصفات التي أعطاه الله تعالى لداود ، إنها علامة من علامات حصول قدرة الإدراك و الشعور لدى الإنسان حيث بيّن أنّ « النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي مَرَاتِبِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ التَّرْتِيبُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ قَادِرًا عَلَى ضَبْطِ الْمَعْنَى ، وَ التَّعْبِيرِ

¹- ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دت ، ج 3 ، ص 52
²- حسن زينة ، العقل عند المعتزلة (تصور العقل عند القاضي عبد الجبار) ، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، ط1
 1987 ص 94

³ ناصر حامد أبو زيد ، الإتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية الماز في القرآن الكريم عند المعتزلة
 المركز الثقافي العربي ط 4 1998 ص 51
⁴سورة ص، الآية 20

عنه إلى أقصى الغايات ، و كل من كانت هذه القدرة في حقّه أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقّه أعظم ، و كل من كانت تلك القدرة في حقّه أقل ، كانت تلك الآثار أضعف ... لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، و يحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء و ينفصل كل مقام عن مقام ¹ و بهذا تتضح أهميّة الفروق الفردية التي تتفاوت من مرسل إلى آخر، و دورها الأساسي في بناء الخطاب و تأويله .

و منه فإن كينونة الخطاب قائمة أساسا على توفر الإرادة ، فإذا انتفتت الإرادة انتفى معها كون المرسل " متكلما حقا" و بالتالي لم يؤخذ بكلامه ذلك أنّه « لا بدّ للمتكلّم لحظة التلفظ بالخطاب من إرادتين : إرادة التكلّم باللفظ اختياراً و إرادة موجبه و مقتضاه» ² .

فالتلفظ إذن لا يقف عند إحداث الأصوات وفقّ الأعراف اللغوية، فلا يمكن الحكم على التلفظ إلاّ بوجود القصد ، فعلى المرسل أن يحيل بالملفوظ إلى معنى معين، و هو ما أشار إليه ابن القيم الجوزية عند حديثه عن الحكم على العقود « المتكلّم بصيغ العقود إمّا أن يكون قاصدا للتكلّم بها أولا يكون قاصدا، فإن لم يقصد التكلّم بها كالمكره و النائم و المجنون و السكران و المغلوب على عقله لم يترتب عليها شيء ... و إن كان قاصدا للتكلّم بها فإما أن يكون عالما بغايتها متصورا لها أو لا يدري معانيها البتّة بل هي عنده كأصواتٍ ينقُ بها فإن لم يكن عالما بمعناها، و لا متصورا لها لم تترتب أحكامها أيضا، ولا نزاع بين أئمة المسلمين في ذلك » ³ .

و عليه فإنّ الهازل في خطابه ، أو المكره على إحداثه هو من يصدر أصواتا دون إرادة ما تدل عليه ، فيكون عندها هذا الخطاب لغوا لا يؤخذ به ، إذ لا يكفي التلفظ به مجردا من إرادة معناه .

¹ - محمد فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1403-1983، ج26،

ص187، 188

² - ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعتين عن ربّ العالمين ، ج3، ص62

³ المرجع نفسه ، ص133

فيكون بذلك القصد بمفهوم الإرادة معياراً لا يُستغنى عنه في الحكم على الخطاب . ذلك أنه اللبنة الأولى و نقطة الانطلاق لأيّ عملية تواصلية حيث يتلفظ المرسل بخطابه لغرض ما يبتعد عادة عن الهباء و العبثية. فهو بمثابة محرك التفاعل بين المتخاطبين و يظهر مثل هذا المفهوم فيما يُعرَفُ **بالقصدية** لدى علماء النفس الظاهراتيين ، و التداوليين و فلاسفة اللغة .

فأمّا عن هؤلاء الفلاسفة فيمكن أن يصنفوا إلى تيارين : ¹

أ- **أوستين و مدرسته** : تشير هذه المدرسة إلى وجود أنواع من المقاصد هي :

- 1- مقصد يتجلى في المعتقدات و الرغبات لدى المتكلم .
- 2- مقصد يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم .
- 3- مقصد يعكس هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جواباً ملائماً .

ثم أعطى مثالا توضيحياً حول هذه الأنواع كقولنا لأحد الناس اقرأ فالفعل الكلامي اقرأ يعني: ²

- *- مقصد أولي: يتجلى في رغبة سماع القراءة
- *- مقصد ثانوي: المأمور (المتلقي يعترف برغبة المرسل في سماع القراءة).
- *- مقصد ثلاثي: يريد المرسل (الأمر) أن ينتج عنه تلبية – غالباً – أو الرفض قليلاً .

ب – سيرل و مدرسته : انطلق سيرل من أن كل عمل ناتج عن سبب راجع إلى عامل (agent) فقسم تبعاً لذلك المقصدية إلى : ³

- 1- القصد الذي وراءه وعي .

¹ محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ط2 1986 – ص163 .

² المرجع نفسه ، ص164.

³ - ينظر المرجع نفسه ، ص 165

2- القصدية التي تجمع بين الوعي و اللاوعي أي بالحالات العقلية مثل الاعتقاد و الخوف و التمني ، و الرغبة و الحبو مع ذلك هناك حالات ليست وراءها أي مقصدية مثل النرفة و الاكتئاب .

يتمخض عن مفهوم القصد بمعنى الإرادة عملية الفهم و الإفهام ذلك أنّ الخطاب عملية تتم بين المرسل و المتلقي لذا فماهية القصد «كامنة في كونه يبني على قصدين أحدهما يتعلّق بالتوجه إلى الغير ، و الثاني يتصل بإفهام هذا الغير ، أما القصد الأول فمقتضاه أنّ المنطوق له لا يكون كلاماً حقاً حتّى تحصل من الناطق إرادة توجيهية إلى غيره ، وما لم تحصل منه هذه الإرادة فلا يمكن أن يعدّ متكّلاً حقاً ، أمّا القصد الثاني فلا يكون المنطوق به كلاماً حقاً حتّى تحصل من الناطق إرادة افهام الغير وما لم تحصل منه هذه الإرادة ، فلا يمكن أن يعدّ متكّلاً حقاً حتّى لو صادف ما تلفظ به فهما ممن التقطه ، لأنّ المتلفظ لا يكون مسمعا حقاً حتّى يكون قد أفهم ما فهم»¹ و منه فإنّ كيونة الكلام قائمة على تحصيله للقصد الذي يتمثّل في قصد التوجه بالمنطوق إلى الغير و كذا قصد إفهامه معنى ما بهذا المنطوق ،حيث يمثل قصد الإفهام الغاية الجوهرية التي يبني عليها قصد توجيه المنطوق إلى الغير، فإذا ما تفحصنا مخطط جاكسون فإننا نجده قد ركز «تركيزاً كبيراً على مهمة " الإفهام " التي يضطلع بها المتكلم أو الباث كما يسمونه ، و مهمة الفهم التي يقوم بها المتلقي»²

تصبح القصدية أداة وظيفية موجهة نحو إفهام المخاطب ، و اعتماد المتلقي أساساً في تحقيق الإفهامية من خلال ما يحمله النص من رموز ، و إichاءات و دلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم " فالمعنى هو حصلة للتفاعل بين بنية العمل الأدبي و فعل الفهم"³ فالمتلقي إذن شريك المتكلم في إنتاج المعنى و الاستدلال على مقاصد المتكلم عن طريق

¹- ينظر طه عبد الرحمن التكوثر - ص 214-215 .

²- محمود عباس عبدالواحد ، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي دراسة مقارنة ص - 132.

³- بشرى موسى صالح نظرية التلقي صول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط: 01. ، 2001 - ص 24 .

تحرّي أنظمة النص التركيبية و الإيقاعية للنفّاذ في دلالات النص (الخطاب) الفكرية و إحياءاته النفسية ، وهو ما نجده عند صاحب الصناعتين ، الذي ربط مسألة إفهام القصد بأقدار المتلقّين ، لذلك دعا المرسل إلى مراعاة هذا الأمر قائلاً : «إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس ، فيخاطب السوقي بكلام السوق ، و البدوي بكلام البدوي ولا يتجاوز به عمّا يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام و تعدم منفعة الخطاب»¹ ، فأقدار المتلقّين سلطة تفرض على المرسل بلورة قصد وفق أسلوب يتلاءم و إياها فلا يخرج عندها الخطاب عن كونه وليد قصد صيغ وفقاً لسلطة معيّنة ، ومنه نلاحظ «أنّ العسكري أراد أن يبيّن أنّ إجراءات اللغة تختلف من حال إلى آخر ، ومنه تبرز أهمية اللسانيات التداولية الكفيلة بمتابعة تحولات اللغة في الخطاب»²

يتطلّب تحقيق مقصد الإفهام من المتكلّم جملة من الآليات صاغها العسكري كما يلي : «و الفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، و يسكن إلى المألوف و يصغي إلى الصواب و يهرب من المحال ، و ينقبض عن الوخم ، و يتأخر عن الجافي الغليظ ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلّا الفهم المضطرب الفاسدة .»³ يحوي القول ضوابط الإفهام الآتية :

إذا كان على الكاتب (المخاطب) استحضار المستمع لخطة نسج الخطاب ، فإنّ على المستمع معرفة الانتماء الفكري و المعرفي للمتكلّم و سيرته الذاتية ذلك أنّ المؤلّف على حد تعبير شليرماخر هو «بالأساس خلاق معنى لأنّه خلاق لغة و إنّ الكاتب هو معا ، ودون فصل ، ابن لغته و عصره ، ولكن أيضا ابن فنّه»⁴ ، لذلك وجب أن «نعرف الإنسان حتّى نفهم الخطاب ، فالخطاب غرض للفهم ولكي نفهمه علينا أن نعمل على

¹- العسكري ، الصناعتين - ص 35 .

²- صلاح فضل بلاغة الخطاب و علم النص ص 124 .

³- العسكري ، الصناعتين - ص 63 .

⁴- سلوى شرفي، تحليل الخطاب مركز النشر الجامعي منوبة تونس 2010 - ص 35 .

مستويين ، مستوى الفهم داخل اللغة و مستوى الفهم ضمن من يتكلم وليس التأويل فنّا إلّا بسبب هذا الفهم المزدوج»¹

لا يبلغ الفهم تمامه إذن إلّا إذا استطعنا الدخول في طريقة تفكير المتكلم ويتأتّى لنا هذا من خلال معرفتنا لعاداته الكلامية (أسلوب خاص في الحديث) التي تفترض سلفا معرفة بالمواضعة العامة – إضافة إلى الإلمام بحديثات السياق ، و التخاطب كالظروف الاجتماعية و الثقافية ، و الزمان و المكان ذلك أنّ «المعرفة اللغوية وحدها لا تكفي في فهم المقولات اللغوية و تأويلها ، وأنّ المتلقي دائما في حاجة إلى الوقوف على ملابسات القولة ، والأحوال التي قيلت فيها ، لكي يبلغ مراد المتكلم من كلامه»²

إنّ نجاح أي عملية تواصلية حقيقية مبني على فهم المتلقي لمقاصد الباث و لا نقصد ههنا "بوصف الحقيقة " إلّا استحضار المتكلم للمتلقى لخطّة نسج الخطاب «فالقائل يتخيل أو يتمثّل دائما المقول له، بل إنّ التواصل لا يتحقق إلّا على أساس هذه التمثلات المتبادلة بين الذات القائلة ، أو مقولا لها ، يقول الروائي تولستوي في هذا الصدد : «أنا أعرف من تجربتي في الكتابة أنّ تواتر النص الذي أكتبه و نوعيته يتوقفان على التصور القبلي للقارئ الذي أكتب له»³ . يقتضي كلّ تواصل إذا تعرّفا متبادلا بين الذات القائلة .

وقد صاغ غرايس معادلة الفهم و الإفهام ضمن ما يسمّى عنده بمبدأ التعاون و مقتضاه أنّ المتكلمين يتعاونون في تسهيل عملية التخاطب معتبرا أنّ « مبادئ المحادثة المتفرّعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية»⁴

د - **القصد بمفهوم المعنى :** اللغة دليل القصد ، و محيلٌ عليه لا يمكن أن يتجسّد إلّا بها ذلك أنّ «الله وضع الألفاظ بين عباده تعريفا و دلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئا عرّفه بمراده، و ما في نفسه بلفظه ، ورتّب على تلك الإرادات و

1- المرجع نفسه - ص 34 .

2- التعريفات للشريف الجرجاني تحقيق محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة - ص 83 .

3- بنظر سلوى شرفي تحليل الخطاب - ص 37 .

4- المرجع نفسه الصفحة نفسها 37 .

المقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ ، و لم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول و لا على مجرد الألفاظ»¹ ، يلاحظ من خلال القول أن ابن القيم قد استخدم دلالة اللفظ ، و القصد بالمفهوم نفسه ألا و هو المعنى .

و قد اعتبر الشاطبي أن المقاصد هي المعاني نفسها بقوله : « يكون الاعتناء بالمعاني المبنوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، إنما أصلحت الألفاظ من أجلها . و هذا الأصل معلوم عند أهل العربية . فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى، و المعنى هو المقصود »² .

و تتفاوت المعاني من حيث علاقة القصد بدلالة الخطاب الحرفية ، هذا ما فصله ابن قيم الجوزية بقوله : « الألفاظ بالنسبة إلى مقاصد المتكلمين و نياتهم و إراداتهم لمعانيها ثلاثة أقسام :

1- أن تظهر مطابقة القصد للفظ ، و للظهور مراتب تنتهي إلى اليقين و القطع بمراد المتكلم بحسب الكلام في نفسه ، و ما يقترن به من القرائن الحالية و اللفظية و حال المتكلم به و غير ذلك .

2- ما يظهر بأن المتكلم لم يرد معناه ، و قد ينتهي هذا الظهور إلى حدّ اليقين ، بحيث لا يشك السامع فيه ، و هذا القسم نوعان ، أحدهما : لا يكون مريدا لمقتضاه ، و لا لغيره كالمكره و النائم و المجنون ، و الثاني أن يكون مريدا لمعنى يخالفه كالمعرض...»³ .

3 - ما هو ظاهر في معناه ، و يحتمل إرادة المتكلم له و يحتمل إرادته غيره ، و لا دلالة على واحد من الأمرين ، و اللفظ دال على المعنى الموضوع له ، و قد أتى به اختيارا .

تلك هي أقسام الألفاظ بالنسبة إلى إرادة معانيها ، و مقاصد المتكلم بها ، و لا سبيل إلى الكشف عنها إلا بإدراكها من خلال البناء اللغوي للنص ، ذلك أنه كيان لا تنظم ألفاظه

¹ - ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج/3، ص117

² الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة تحقيق عبد الله دراز: دار المعرفة، بيروت 1994 ، ج/2، ص 396 .

³ ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين عن رب العالمين ج/3 ، ص 119-120

إلا على أساس انتظام معانيها في نفس القائل ، فيسدل المرسل إليه بما ظهر من لغة الخطاب على ما خفي من قصدٍ في باطنه .

و من هذا المنطلق مثل القصد أساس البحث البلاغي فكان المركز في بيان الجاحظ و معاني السّكاكي هو الأحوال و المقاصد ، و كذلك كانت نظرية النّظم عند الجرجاني ، فهو من أكثر العلماء الذين ردّدوا مصطلح القصد ، بل كان محور نظريته بوصفه سبب العدول عن التّركيب الأصل لبيان قصد المرسل بالاستجابة للسياق تداوليا ، و قد أوما الجرجاني في مواضع عديدة إلى أنّ القصد هو المعنى، و ذلك عند دراسته لبعض آليات الإستراتيجية التّلميحية كالكناية ، و المجاز متوسلا بذلك المعنى الظّاهر للخطاب " المعنى اللّغوي " بغية الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلّم ذلك أنّه يرى أنّ المزيّة في النّظم تكون بحسب المعاني و الأغراض التي تؤمّ فيقول : «و إذ قد عرفت أنّ مدار أمر النّظم على معاني النّحو، و على الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق ، و الوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، و نهايةً لا تجد لها ازديادا بعدها ، ثمّ اعلم أن المزيّة ليست بواجبة لها في أنفسها ، و من حيث هي على الإطلاق و لكن تعرض بسبب المعاني ، و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، و استعمال بعضها مع بعض »¹ .

فالنّظم لا يقف عند المعنى الظّاهر للخطاب، بل يتجاوزه إلى المعنى الخفي ، و يبين عبد القاهر الجرجاني عند حديثه عن آلية التقديم ، و التأخير أن مدار العدول عن النّظام اللّغوي الأساس في ترتيب الألفاظ هو القصد ، ذلك أن المرسل ينتخب من نظام اللّغة ما يلائم قصده ، ليصبح بذلك المعنى الظّاهر جسرا يعبر من خلاله إلى المعنى غير الظّاهر . و يستطيع المرسل أن يعبر عن مقاصد في أي مستوى من مستويات اللغة و منها المستوى الصوتي، كالتنغيم مثلا ، ذلك أن « السّمات التّنغيمية تمثّل مصدرا مهما

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 99 .

للمعارف ، و المقاصد التي يوليها المرسل عناية في الخطاب»¹ و لا يخلوا المستوى الصرفي من مقصدية المرسل، فاستخدامه لصيغة الفعل الماضي مرفقا بتنغيم خاص في مثل قول المرسل: "رضيت" قد يحمل معنى الاستفهام كما قد يحمل معنى التّعجب .

يجعل الدكتور تمام حسّان (القصد) فرعاً ثالثاً من فروع المعنى ، فالمعنى عنده إمّا أن يكون وظيفة أو اطلاقاً أو مقصوداً فالمقصود في عرفه هو " المعنى الاجتماعي المراد من المنطوق " . بحيث تختلف العلاقة بين المقصود ، و المنطوق عن العلاقة بين الكلمة و مدلولها على اعتبار أنّ " العلاقة بين الكلمة و مدلولها علاقة اعتبارية " و يسري هذا التحديد على كل المعاني الواردة في المعجم على حين نجد العلاقة بين المنطوق و بين المقصود به علاقة اجتماعية " يكون المعنى فيها أكثر تحديداً و دقّة من الأولى "2 يطلق الدكتور تمام حسّان على هذه العلاقة اسم الدلالة ، بحيث تكون دلالة الكلمة على المدلول دلالة عرفية ويكون المدلول بهذا هو المراد من الاطلاق .

و قد انبنت نظرية جرایس على العناية بالقصد ، و ذلك عند تأسيسه للمبدأ العام الذي يمكّن المتخاطبين من التفاعل في ظروف مناسبة ألا و هو مبدأ التعاون ، بحيث يخرج المرسل قصده - أو ما عرف عند جرایس و غيره معنى المتكلم - و فقاً لما يقتضيه و أي خرق لقاعدة من قواعده يؤدي إلى اغتراب معنى المرسل عن الدلالة الحرفية للخطاب و من هذا المنطلق كان القصد بمفهوم المعنى أساساً لقيام الإستراتيجية التلميحية حيث ينجز المرسل أفعالا لغوية عديدة في سياقات مختلفة بالرغم من تبنّيه لشكل لغوي واحد ، الأمر الذي دفع بعضهم إلى تعريف التداولية بأنها « دراسة الطرق التي تتجلى بها المقاصد في الخطاب»³ .

هـ. أهمية المقاصد : تكتسي المقاصد أهمية بالغة في شتّى الدّراسات، لغويةً كانت أو غير لغوية ذلك أنّها مناط قيام العملية التّواصلية باستقامتها و تفسد بفسادها « فلا وجود لأيّ

¹ - كولنج ، الموسوعة اللغوية، ص 189 .

² - تمام حسّان مقالات في اللغة و الأدب ، عالم الكتب القاهرة مصر ط 1 ، 2006 - ج 1 - ص 236

³ محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 12 .

تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل¹ ، كما أنّها الوازع الذي أوجَدَ العلامة اللغوية فميلاد العلاقة بين الدال و المدلول لم يكن إلا لقصد و غاية أراد المرسل الإفصاح عنها.

و يضطلع القصد بدور هام في تصنيف العلامات اللغوية إلى : علامات ذات دلالة طبيعية لا يدخل القصد في تحديدها كدلالة الدخان على النار ، و هي ما يطلق عليها سيرل مصطلح " المعنى الطبيعي " ، و علامات ذات دلالة مقصودة أو ما سمّاها (سيرل) بـ«المعنى غير الطبيعي» و هي علامات أو رموز لا يحدّد معناها إلا بالقصد لذلك يذهب أنصار سمياء التواصل إلى أنّ العلامة تتكون من وحدة ثلاثية الدال، المدلول، و القصد² ، و ما الخطاب إلاّ علامة لغوية تنطوي على قصد معين .

يُنظر بذلك إلى القصد على أنّه قاعدة لتأسيس الخطاب و معرفة معانيه من منطلق « أن لا كلام إلا مع وجود القصد»³، و هو ما سمي بالإرادة الباطنية ، فابن القيم الجوزية يجعل من المقاصد قاعدة شرعية ، و منطلقاً للتفريق بين الحلال و الحرام بقوله :«قاعدة التشريع التي لا يجوز هدمها ،أنّ المقاصد و الاعتقادات معتبرة في التصرفات و العبارات كما هي معتبرة في التقربات و العبادات فالقصد ، و النية ، و الاعتقادات تجعل الشيء حلالاً أو حراماً و صحيحاً ، أو فاسداً ، و طاعة أو معصية»⁴.

و ما الإستراتيجيات الخطابية إلاّ سبيل لتجسيد القصد باللغة . فتستحيل اللغة مرآة تعكس شريف المقاصد من عدمها « فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل»⁵ .

كما يعد القصد فيصلاً في صلاحية العلامة التواصلية من عدمها فلا يعتدّ بالعلامات سواء كانت لغوية أو غير لغوية إلاّ إذا بُنيت على قصد معيّن ، و هذا ما أقره سيرل مؤكداً على أنّ « هناك فرقاً جوهرياً و هو أنّه يجب أن يفترض أن إنتاج المرسل كان وفقاً نوع

1- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 183

2- عبد الله إبراهيم، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2 -1996 ص84

3- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص103

4- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين، ص 96 .

5- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية – الشريعة التونسية للتوزيع، نوس 1998 ، ص145

معين من المقاصد . لِيُمْكِن اعتبار الصّوت أو العلامة المدونة على الورقة اتصالاً لغوياً ، أي رسالة لأن اعتبارها ظاهرة طبيعية مثل الرياح ، يخرجها من صنف الاتصال اللّغوي»¹

و من ثم كان اللفظ شكلاً سوريا مفرغاً لا تعلق عليه أهمية كبيرة من حيث البيان لأنّ «الصوت و الخط و العقود ليس بينها فرق من جهة كونها علامات عفوية رشحتها العادة، كما يفهم المجنون فيه ، و الكلب اسمه و كما يفهم الصبي الزجر و الإغراء»² . و قد يعتمد المرسل أحياناً إلى توظيف القصد لتفكيك العلاقة بين الدال و المدلول ليُحيل بالدال على غير ما وضع له أصالة ، و هو ما يسمى بالعلاقة المجازية فيحيل مثلاً : بالورد " الدال " على الخد " المدلول " .

و بالليل على سواد الشعر .

و بالنهار على الوجه .

فيؤسس بذلك لما يُسمى بالمواضعة الجديد.

2- عامل السلطة :

تكاد تجمع جلّ المعاجم و الموسوعات على أنّ السلطة اسم مشتق من سلّط ، كقولك «سلطه الله فتسلط عليهم و السلاطة هي القهر » فالسلطة لغة على حد تعريف المعجم الفلسفي لجميل صليبا هي «القدرة و القوّة على الشيء ، و السلطان الذي يكون للإنسان على غيره وجمع السلطة سلطات ، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية و السلطات التربوية و السلطات القضائية وغيرها»³ و غير بعيد عن الحدود الدلالية المرسومة للسلطة في مدونة المعاجم اللغوية يبني الحدّ الاصطلاحي لها إذ في عرف ج. بتي : «القدرة على التأثير في الأشخاص و مجريات

¹- ينظر ، عبد الهادي بن ظافر السهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 187

²- الجاحظ البيان: و التبين، ج 1 ، ص 71.

³- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي - ص 670.

الأحداث باللجوء إلى مجموعة من الوسائل تتراوح بين الإقناع و الإكراه ¹، فحقيقة السلطة تبنى على: أمر صادر عن قوة ، إما قوة مادية أو معنوية .

السلطة واقعة اجتماعية: لا نستطيع أن نتخيل مجتمعا دون سلطة أو سلطة دون مجتمع. إنَّ السلطة عموما سياسية أو غير سياسية لا تقوم إلّا في جماعة وعلى ذلك " فإنّ ظاهرة السلطة عموما هي ظاهرة اجتماعية فليست السلطة السياسية وحدها هي التي تتمتع بخاصيته الاجتماعية و إنّما يشاركها في ذلك السلطات القائمة في التجمعات الإنسانية الأخرى... يقصد بالسلطة غير السياسية أو بالسلطة الاجتماعية التوصل من خلال علاقات تقام مع الآخرين أو الظفر بطاعتهم ، ومصادر هذه السلطة الاجتماعية متعددة كالثراء المادي و المركز الاجتماعي الذي يحتلّه شخص ما و الذي يكون ناتجا عن شغله لوظيفة حكومية ، وقد يكون مصدر السلطة أيضا هو العلم و الثقافة أو الفن فكبار العلماء و الخبراء و الفنانين يتمتعون بسلطة يمكنهم بواسطتها أن يؤثّروا على سلوك الآخرين » ²

فالسلطة إذن سلطات تبسط نفوذها على مساحة المجتمع كاملة فكما نجدتها في قمة الدولة في الحكم السياسي (عند شيخ القبيلة أو الملك أو الرئيس) فإننا نجدتها في المستويات الأقل عند الوزراء ، وكذا الولاة و القضاة ، و رجال الدين و الفن ، و الأب و الأم على أنّ السلطة في سعيها إلى التأثير على سلوك الناس و توجيهه نحو الأهداف و الغايات التي يحددها من له القدرة على فرض إرادته التي لا تقتصر على استعمال القسر فحسب إذ باستطاعتها تأمين الخضوع عن طريق الحظوة أو المكانة الاجتماعية و حتى السلوك الراقي ، لتضمن استمرارها ، و تجدد دورها في المجتمع ، و بالتالي يمكننا القول أنّ السلطة سلطات أو على حد تعبير بارت إنّها متعددة مثل الشياطين ، إنّها يمكن أن تقول على نفسها: «اسمي كثرة كثيرة ، في كلّ مكان ، و في جميع الجهات جهة الرؤساء و الأجهزة كبيرها وصغيرها ، و صوب الجماعات المقهورة أو القاهرة ، هناك في كلّ مكان

¹- جورج بلانرييه الانثروبولوجيا السياسية - ص 37.

²- عبد الله ناصف السلطة و السياسة - ص 8- 9 .

أصوات مشروعة تعي لنفسها الصلاحية لتسمع خطاب كل سلطة و أعني خطاب الغطرسة ، ها نحن نرى أنّ السلطة حضارة في أكثر الآليات التي تتحكم في التبادل الاجتماعي رهافة في الدولة ، وعند الطبقات و الجماعات ولكن أيضا في أشكال الموضة و الآراء الشائعة ، و المهرجانات و الألعاب و المحافل الرياضية و الأخبار¹

ينسف بارت إذن صومعة السلّطة الواحدة المنحصرة في السياسة لتتنشّط لديه باسطة سطوتها حتى على الفن ، تماما مثلما تصوّر ها ميشال فوكو ، حيث لم يعد ممكنا تناولها في ثنائية الدولة ، و المجتمع هذه الثنائية التضليلية التشويهية ذلك أنّها تمتدّ في حقيقتها من «سلطة الموروث الجيني الصيغي ، إلى سلطة الوعي ثمّ سلطة المجتمع ... من الأسرة إلى الدولة و شبكة العلائق السلطانية الوسيلية - أو الغائية أحيانا - الممتدة بين خلاياها الحسيّة و المتعالية معا»²

إنّ تفشّي السلطة في خلايا المجتمع هو ما يُسمى عند بالانديه بخاصية " اللّبس " «حيث القران بين القوّة و الضعف ، بين العنف و المهادنة وفي نفس الآن الذي تسعى فيه السلطة لزيادة هيمنتها و توطيد استمرارها فإنّها تعمل على تحقيق الأهداف و المصالح الجماعية ، فللسلطة سمة التآرجح و التراوح بين طبيعتها النرجسيّة ، وبين ما يؤمن هذه النرجسية و يناقضها في نفس الآن ، أي الغيرة القائمة في الأهداف الجماعية»³ ف « طغاة الفراعنة الذين تركوا لنا الأهرامات كشاهد على إنسانية صارفة هم أنفسهم الذين وضعوا مقاييس النيل و شقوا النزع و استصلحوا الأراضي الزراعية للفلاحين»⁴

تتسم السلطة إضافة إلى خاصية اللبس بالمحافظة و اللاتساق و القداسة ، فحين تدعوا السلطة إلى احترام القواعد لتضمن الاستقرار ، و لتتقي كلّ أشكال الفوضى الممكنة إنّما

¹ - رولان بارت ، درس السيمولوجيا ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء ط3-

² - بنظر ميشال فوكو ، المعرفة و السلطة- ص 49 .

³ - المرجع نفسه ص 48 .

⁴ - عبد الله ناصف السلطة و السياسة ضمن هامش 2 - ص 79 .

تقوم لتحافظ على حالات اجتماعية معينة ، يتدخل في تحديدها « الجنس و العمر و الموقع الاجتماعي و الاختصاص و الصفات الشخصية »¹

إنّ الحفاظ على هرمية معينة يولد ما يدعوه بلاندييه باللاتساق ، و اللاتكافؤ في العلاقات الاجتماعية ، حيث تسود الهيمنة و التبعية ، الأمر الذي يولّد بدوره ما يسمى بالقداسة لدى الفرد الذي يتولّى السلطة .

تتجسّد الأسس الشرعية لسيطرة للسلطة باعتبارها كائنا في المجتمع وبه حسب ماكس فيبر و جان وليام لابييار في ثلاث نماذج هي :

أ – نموذج تقليدي يستند إلى نفوذ «الأمس الأزلي»² و تتمثل في سلطة الأعراف أمّا ما يسمّيه جان وليام لابييار بالسلطة المباشرة حيث يخضع كافة أفراد الجماعة للأعراف فلا «أحد يأمر لكن الجميع يطيعون»³ معتبرين أي مخالفة للقواعد المقدمة جريمة تعرّض مرتكبيها لعواقب تجلب الموت و غضب الآلهة و نقمة السلف .

ب – نموذج السلطة اللدنية القائمة على الاعتقاد الانفعالي في قرارات شخص استثنائي بسبب قداسته أو بطولته أو ميزاته المثالية⁴ : و هو ما يسميه جان وليام لابييار بالسلطة المجسّدة حيث تعتبر السلطة كملكية أو كمتاع ، وهي ميزة من ميزات مالكيها فالسلطة بهذا المعنى هي المسافة الفاصلة بين البطل و الناس لكنّها المسافة الجسر ... فبقدر ما ينعزل مالك السلطة بحكم التميز ، و التفرد يكون مجبرا على أن يكون قريبا من الآخرين حتى يلتحموا به و يجدوا أنفسهم فيه .⁵

1- بلاندييه ، الانثروبولوجيا السياسية – ص 39 .

2- ماكس فيبر رجل العلم ورجل السياسة (ترجمة نادر ذكري) دار الحقيقة للطباعة و النشر بيروت ط 1982 – ص 48-47 .

3- بنظر ميشال فوكو المعرفة و السلطة . ص – 45 .

4- ماكس فيبر رجل السياسة ورجل العلم – ص 48 – 47 .

5- ميشال فوكو – المعرفة و السلطة ص 45 .

ج - السلطة القانونية المستمدة من الاعتراف بمعقولية التشريعات و القوانين¹ أو ما يسمّيه لابييار بالسلطة المؤسسة حيث تتحول السلطة إلى (شخص معنوي) يعبر عن الخير المشترك أو المصلحة العامة فالسلطة المؤسسة في جوهرها سلطة قانون حيث تتكيف الأصول التشريعية مع ضرورات الحياة الجماعية²

إنّ شرعية العلاقة بن الأمر و المأمور التي بحث عنها ماكس فيبر ن هي ما تسعى اليه كلّ سلطة ، بمعنى أنّها تسعى إلى كسب الاعتراف بها لا بمعرفتها و التعرف عليها فحسب ، و إنّما أيضا بتجسيدها ، و ممارستها بتوازنها و اختلالها ، بمرونتها و صلابتها في صلب العلاقة الاجتماعية ، الأمر الذي يجعلنا نفهم السلطة لا كقوة مفروضة على الجماعة من خارج الجماعة ، و إنّما كمجموع علاقات متفاعلة تصنعها جميع الأطراف الأمرة و المأمورة معا . كما أنّها ليست مجردّ عنف قائم ، على المنع و الإرغام إذ «لا يشكّل العنف الجوهر الذي به تكون السلطة وبدونه لا يتأتّى لها أن تمارس ولو كانت كذلك ما استطاعت أن تتجسّد كفعل في الأفعال ولو أدركناها كمجرّد هيمنة متأتية من فوق ما استطعنا فعلا كشف عملها و توزّعها في أجسام الأفراد و المكان»³

فالسلطة ليست حدا صرفا ومنعا كلّيا ، و عنفا دائما ولو كانت كذلك لم يكن ممكنا قبولها ، و الخضوع طوعية إليها . فهي إذن «أساس الحياة في المجتمع لأنّها نمط من الفعل و الممارسة يمارس على أفعال و ممارسات أخرى»⁴.

أ- جدلية العلاقة بين السلطة و الخطاب :

إنّ السؤال المطروح بالحاح حول مسألة العلاقة بين السلطة و الخطاب هو : هل ينطوي الخطاب على سلطة ذاتية ، أم أنّه يستمدّها من شيء خارج عنه كالسلطة الدينية أو السياسية و غيرها ،

¹ - ماكس فيبر رجل العلم و رجل السياسة . ص 47-48

² - ج - وليام لابييار - السلطة و السياسة ترجمة اناس حنا منشورات - عويدات - بيروت - ط 3 / 1983 - ص 18-49 .

³ - ميشال فوكو ، المعرفة و السلطة ص- 53.

⁴ - محمد علي الكبسي ، ميشال فوكو دراسة ، دار الفرق للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 2 / 2008 ، ص 57 .

حاول ميشال فوكو في كتبه الثلاث «أركيولوجيا المعرفة» «نظام الخطاب» و «إرادة المعرفة» اثبات السلطة الذاتية للخطاب يقول مؤكدا في «إرادة المعرفة» «ففي الخطاب بالذات يحدث أن تتمفصل السلطة و المعرفة ، ولهذا السبب عينه ، ينبغي ان نتصور الخطاب كمجموعة أجزاء غير متصلة وظيفتها التكتيكية غير متماثلة أو ثابتة ، بصورة أدق يجب أن لا نتخيل عالما لخطاب مقسما بين الخطاب المقبول و الخطاب المرفوض بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة ، الخطاب ينقل السلطة و ينتجها يقويها ولكنه أيضا يلغمها يفجرها ، يجعلها هزيلة يسمح بالغائها .»¹ يشكّل الخطاب عند فوكو سلطة في ذاته قادرة على مناهضة ، و إقصاء أو خلق السلطة كما أنه ليس مقسما لديه إلى خطاب مقبول أو مرفوض، بل إنّ المعرفة و السلطة تتمفصل في الخطاب ، كما أنّه يجب النظر إليه كمجموعة عناصر تعمل في استراتيجيات مختلفة ، إنّ ما يكشف السلطة الذاتية للخطاب هو ذلك التخوف : «اتّجاه ما يشكّله الخطاب في حقيقته المادية كشيء منطوق أو مكتوب ، التخوف اتجاه هذا الوجود العابر المتّجه إلى الإمحاء دون شكّ ...التخوّف من أن نحسّ بأنّ تحت هذه الحركة ، التي هي مع ذلك حركة يومية و رمادية ، سلطا أو أخطارا لا نتصورها جيدا ، التخوّف من توقع وجود صراعات و انتصارات و جروح و عبوديّات عبر الكثير من الكلمات»² إنّ خطورة الخطاب الذي كثيرا ما يختلس منّا حقائق لم نقصد تسريبها البتة يجعل منه مجالا مراقبا عند فوكو عبر ما يسمّيه بإجراءات المراقبة³ التي تتقاطع مشكّلة سياجا يتعدّل باستمرار للحد من سطوة الخطاب ، وما يثيره من أخطار ، و مخاوف بالرغم من أنّ «الخطاب في ظاهره شيء بسيط ، لكن أشكال المنع التي تلحقه ، تكشف باكرا و بسرعة عن ارتباطه بالرغبة و السلطة»⁴ ، فلا يعدّ الخطاب جسدا حاملا للرغبة فقط بل

¹- ينظر الزواوي بغورة ، بين اللّغة و الخطاب و المجتمع مجلة انسانيات 17-18 ماي - ديسمبر 2002 ص 43

²-ميشال فوكو ، نظام الخطاب - ص 3-4 .

³- للتوسع اكثر في اشكال المراقبة ينظر كتاب نظام الخطاب لميشال فوكو

⁴- ميشال فوكو ، نظام الخطاب - ص 5 .

أضحى موضوعا للرغبة ، كما أنه ليس مجرد ترجمان للصراعات ، و أنظمة السيطرة بل إنه ما نصارع من أجله ، وما نصارع به أيضا ، كما أنه السلطة التي نسعى لامتلاكها . هكذا تتحول الممارسة الفوكوية من توصيف الخطاب إلى تصوير آليات السلطة من خلال تصوير حركة الخطاب ، و عالمه و استراتيجياته ، و تعقده و انزياحه ، حيث يجب القبول بالعبة المعقدة ، و غير الثابتة عندما يصبح الخطاب أداة ، و نتيجة للسلطة في نفس الوقت كما يكون عائقا و ما يصطدم به يكون نقطة مقاومة و انطلاقا لاستراتيجية معارضة فالخطاب يتحرك و ينتج السلطة « من هنا ينبغي أن يفهم الخطاب من حيث إنه إعلان عن زوال السلطة المشخصة التي فهمها أفلاطون على أنها الفيلسوف و فهمها هوبز على أنها الفيتاثون و فهمها ميكافيلي على أنها الأمير يجب فك ميكانيزماتها من خلال استراتيجية محايثة لعلاقات القوى »¹

و عليه فمرجعية الخطاب عند فوكو «لا تعود إلى الذات ، أو المؤسسة ، أو إلى الصدق المنطقي أو إلى قواعد البناء النحوي ، و إنما إلى الممارسة ، الممارسة الخطابية، و غير الخطابية على أن لا نفهم العلاقة بين الممارسات على أساس السبب و النتيجة ، و إنما على أساس العلاقة التبادلية »² مؤسسا بذلك مفهوما جديدا للخطاب لا يقوم على أصول منطقيّة ، بل يتشكّل (أساسا) من وحدات يطلق عليها اسم المنطوقات بحيث تشكّل هذه المنطوقات - منظومات منطوقة - بدورها ما سُمي بالتشكيلات الخطابية هذه التشكيلات تكون دائما في حقل خطابي معين ، و تحكمها قوانين التكوين و التحويل ، ل يختلف بذلك الخطاب عن الجملة ، و القضية كما يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللّغة ، و التّحليل المنطقي ذلك أنّ «تحليل الخطاب يعتمد على الوصف الأركيولوجي و التّحليل

¹ - محمد علي الكبسي ، ميشيل فوكو ، ص 57

² - الزواوي بغورة الخطاب و السلطة (بين اللّغة و الخطاب و المجتمع) - ص 44 - 45

الجينيالوجي ، من أجل الكشف عن ندرة و خارجيّة ، و تراكم و قبليّة الخطابات أو بتعبير دقيق يقوم على التحليل التاريخي للخطابات»¹

إنّ هذا الطّرح الذي يميل إلى جعل الخطاب سلطة في ذاته يقابله طرح يجعل من سلطة الخطاب سلطة تعسّفية تابعة لسلطات خارجيّة. و هو ما يؤكده توين فان دايك في كتابه الخطاب و السلطة حيث يرى أن«السلطة لا تظهر في الخطاب أو عبر الخطاب فحسب ، لكنها قوة اجتماعية تكون وراء الخطاب أيضا ، عندئذ نجد أن العلاقة بين الخطاب و السلطة وثيقة جدا ، فالخطاب مظهر مباشر لسلطة طبقة أو فئة أو جماعة أو مؤسسة ما»² بحيث يتمتع أصحاب النفوذ و السلطة بسيطرة واسعة تمكنهم من اختيار نوع الخطاب و أساليبه و مناسباته فهم « يسيطرون على الحوارات الرسمية مع المرؤوسين ، واجتماعات الرؤساء ، و إصدار الأوامر أو القوانين و كتابة أنواع التقارير و الكتب و التعليمات ، و القصص أو شتى خطابات وسائل الاعلام ، فهم ليسوا المتحدثين الفاعلين في معظم المواقف فحسب ، بل قد يأخذون أيضا زمام المبادرة في الجدالات أو اللقاءات الحية...ويتحكمون في نبرة أو أسلوب النص أو الحديث ، وموضوعاته .»³

ليكون صاحب السلطة تبعاً لرأي فان دايك هو الشخص الذي يستطيع أن يقول ،أو يكتب عن شيء ما لمتلق ما في مقام ما ،و لديه كل الصلاحيات لاختيار نوع الخطاب و أنماطه المختلفة و كذا وسائل إنتاجه ، و كلما ضعفت سلطة المتحدث ضعفت قدرته على النفاذ إلى الأشكال المختلفة للنص أو الحديث فليس «لدى الضعفاء و من ليس لهم سلطة، شيء يقولونه ، و لا أحد يتحدثون معه ، و يجب عليهم الصمت عندما يتحدث أصحاب النفوذ و السلطة كما هو الحال بالنسبة إلى الأطفال و ، السجناء و المتهمين و حتى النساء ..»⁴

¹- الزواوي بغورة ، بين اللّغة و الخطاب و المجتمع- ص 44 .

²- توين فان دايك الخطاب و السلطة ترجمة غيداء العلي ، المركز القومي للترجمة القاهرة مصر ط1 2014 ، ص

³- توين فان ديك ، الخطاب و السلطة ، ص 85

⁴- المرجع نفسه ، ص 84

فالخطاب إذن يُفَعِّل السلطة و يضيف عليها الشرعية ، و يحافظ عليها خاصة إذا اتخذ الطابع الإقناعي ، ذلك أن التأثير على العقول خاضع لسيطرة النخب الرمزية لا الاقتصادية ، وذلك عن طريق الهيمنة على أنواع النصوص و الأحاديث العامة وموضوعاتها ، و حججها و أسلوبها، و بلاغتها «فالسلطة الرمزية* لا يستهان بها ، حتى إن كانت تمارس ضمن مجموعة من القيود ¹» .

يقول بيار بورديو في هذا السياق :«ليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكولة لمن فوض إليه أمر التكلّم و النطق بلسان جهة معيّنة ، و الذي لا تكون كلماته على أكثر تقدير إلا شهادة من بين شهادات أخرى على ضمان التفويض الذي وكّل للمتكلّمو أقصى ما تفعله اللغة هو أنّها تمثل هذه السلّطة و تظهرها و ترمز إليها ²» فسلطة الكلمات ليست أكثر من سلطة مفوضة لنا ... و أنّ مادة خطاباتهم (الكلمات) ليست أكثر من شهادة من بين شهادات أخرى لضمان التوكيل ،فليس هناك إذن لدى بورديو سلطة للخطاب هناك فقط خطاب السلطة ، و أي محاولة لاستخراج ما يشكل فعالية الخطاب من الخطاب يعتبر خطأ وهو ما وقع فيه أوستين ومن بعده هابرماس .

إنّ هذا التحديد برأي الدكتور زواوي بغورة «يتفق و يختلف في نفس الوقت مع فوكو فإذا كان فوكو يعتبر أنّ للخطاب سلطته الخاصة وذلك من منطلق فلسفي وجودي...فإنّه لا يفصل الخطاب عن السلطة و المجتمع معا...و إذا كان فوكو يقرّ بأهمية تحديد أوستين للملفوظ أو المنطوق ، فإنّه يختلف معه في طريقة التحليل ، تلك الطريقة التي تجد مجال تحققها في التاريخ و في ربطها للملفوظ بالسلطة مع مفهوم جديد وخاص لهاوبذلك يتفق مع تحليل بورديو الذي يلجّ على الطابع الاجتماعي للخطاب وعلى ارتباطه بالمؤسسة و بالسلطة الرمزية...ولكنّ تحليل الخطاب عند بورديو لا يمكن أن يكون تحليلًا

¹- المرجع نفسه ، ص 89

* - يقصد بالسلطة الرمزية : سلطة المنظومات الرمزية المتمثلة في "الفن و الدين و اللغة العلم "و هي سلطات فكرية أيديولوجية لا مرنية ينظر في هذا الشأن بيير بورديو ، الرمز و السلطة

²- بيير بورديو الرّمز و السلطة ترجمة عبد السلام بنعيد العال دار توبقال ط3 2007 - ص 58 .

لذاته أي لذات الخطاب و المجتمع»¹ ، الكلمات التي تشكّل فحوى الخطاب – برأي بورديو – لا يمكن استخلاص معناها إلا إذا تمّ ربطها بالشروط الاجتماعية لإنتاجها .

يستخلص بورديو من نتائج تحليلاته أنّ «جميع المجهودات التي بذلت لتري في المنطق اللغوي ، الذي يتحكم في مختلف الاشكال الاستدلالية و البلاغية و الأسلوبية ، بسبب الفعالية الرمزية لتلك الأشكال ، لا بدّ و أن تبوء بالفشل مادامت لا تقيم علاقة بين خصائص الخطاب و صفات من يلقيه و سمات المؤسسة التي تسند إليه أمر الالقاء»² فدرس كدرس الأستاذ أو خطبة الواعظ مثلاً لا يكون ذا فعالية إلا إذا أعترف به كخطاب نفوذ و سلطة ، هذا الاعتراف الذي لا يتمّ إلا بشروط خاصة تقوم بتحديد الاستعمال المشروع : «فالخطاب ينبغي أن يصدر عن الشخص الذي سمح له بأن يلقيه ، أي عن هذا الذي الذي عرف و اعترف له بأنّه أهل لأن ينتج فئة معيّنة من الخطابات و أنّه كفء جدير بذلك (كالأستاذ و الشاعر...) كما ينبغي أن يلقيه في مقام مشروع ، أي أمام المتلقي الشرعي ...و أخيراً ينبغي للخطاب أن يتّخذ الصورة الشرعية القانونية أي أن يخضع لقوانين النحو و الصرف»³ إنّ هذه الشروط ليست بعيدة عما أرساه فوكو من الإجراءات الخارجية و الداخلية و الوظيفية⁴

ب- مصادر السلطة: بما أنّ المرسل هو العنصر الرئيسي في الخطاب فإن طبيعة العلاقة بينه وبين السلطة لا تخرج عن أحد الأمرين «إما مالك لها مسبقاً قبل التّلفظ بالخطاب أو أنّه لا يمتلكها و لكنه يسعى إلى إيجادها بالخطاب»⁵ إنّ السّعي إلى إيجاد السلطة بالخطاب هو ما يُسهم في توسيع مفهومها التقليدي المنحصر في السلطة القبلية السابقة عن الخطاب.

1- الزواوي بغورة بين اللغة و الخطاب و المجتمع – ص 52.

2- بيير بورديو الرمز و السلطة – ص 60 .

3- المرجع نفسه – ص 60 .

4- بنظر نظام الخطاب ميشال فوكو لتوسع أكثر

5 عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ص 223

و بما أنّ السّلطة اختلالاً في موازين القوى بين طرفين أحدهما يعلو مستوى التّوازن في اتجاه ما بينما ، والآخر دونه في الاتجاه نفسه ، حيث تكمن أسباب اختلال التّوازن في «قدرة الإنسان اللّغوية ذاتها ، ووضعه الاجتماعي قياساً على الآخرين ، و القيود التي يفرضها الموضوع»² فإن السّلطة لم تعد تتمحور حول المرسل فحسب بل تعدته إلى كل عنصر سياقي يشكل "قيداً" . سلطة تحكم مسبقاً إنتاج الخطاب و تؤطر عملية انتخاب الإستراتيجيات كاللغة و المجتمع ، و المرسل إليه ، و المكان ، و الزمان.

¹سلطة اللّغة : للمرسل سلطة على ما حوله ، تخوّله إنتاج الخطاب بأيّ شكل أراد ، و مع ذلك فهو مضطر للخضوع إلى سلطات العناصر السياقية الأخرى ، و من أبرزها اللّغة فبالرغم من أنّه يستطيع أن يستعمل أدوات كثيرة لتبليغ قصده كلغة الألوان مثلاً ، إلّا أنّ كثيراً من الأفعال الكلامية لا يمكن أن تنجز إلا باللّغة ، كونها الأداة الرئيسة التي تؤوّل و تفسّر باقي العلامات السيميائية الأخرى ، فهو مضطر لاستخدامها بحيث ينصاع في هذا الاستخدام إلى ما يتطلبه نظامها الصّوتي و التركيبي و الدّلالي ، و المعجمي لحظة إنتاجه للخطاب .

فاللغة «سلطة تشريعية اللسان قانونها ... أنا مرغم دوماً على الاختيار بين صيغة التذكير، و التأنيث و ليس بإمكانني على الإطلاق أن أحيد عنهما معا ، أو أجمع بينهما ، ثم إنني مرغم على تحديد علاقتي بالآخر إمّا باستعمال ضمير المخاطب بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع أنتم ، و ليس بإمكانني أن أترك المجال لمبادرة العاطفة و المجتمع ، و هكذا فإن اللّغة بطبيعتها بنيتها تنطوي على علاقة استلاب قاهرة . ليس النطق أو الخطاب بالأحرى تبليغاً كما يقال عادةً، إنّهُ إخضاع ، فاللّغة توجيهية و إخضاع معّمان»¹ حيث « لا شيء يدرك إلا من خلال اللغة إذا لا شيء يدرك خارج سلطة اللغة ، و لكن الجديد الأجد هواستسلام حقلين عملاقين لسلطتها : حقل العلوم الحاسوبية و حقل العلوم

¹ارولان بارت ، درس السيمولوجيا ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء ط3 1993ص 12

السياسية ، رغم أن هذا التسليم قد تم اذعاناً للاعتراف بسلطان الألة اللغوية ، و لكن العاقل لا يمكنه أن يقر لموضوع العلم بالسلطة ثم ينكر على علم الموضوع سلطته ، فالجميع على علم اليوم بقوة سلاح اللغة بل جبروت توظيف الانسان لها ، و على يقين بتحكمها المطلق في التواصل و المعرفة ، و ليس بوسع الجميع إلا التسليم و لو على وجه المصادرة بسلطة العلم اللغوي لأن موضوعه اللغة»¹

فاللغة سلطة تفوق سلطة الجاه و النفوذ ، و قد تأكد ذلك من خلال ما أوردته مؤلفات النقد العربي عن أولئك الذين امتلكوا سلاح اللغة فأرهبوا بها ذوي السلطان ، و لعل الذي يهب اللغة هذه السلطة هو قدرتها على التأثير في المتلقي، و تغيير قناعاته فقد أورد الجاحظ في البيان و التبیین خبراً مروياً عن مالك بن دينار يؤكد فيه أنه كلما سمع الحجاج يتكلم عن أهل العراق حسب أن هؤلاء ظلموه و بغوا عليه لشدة فصاحته ، بل إن اللغة قد تعمل على تزييف الحقائق و جعلها أقرب للسفسطة ، فقد أشار الجاحظ في هذا إلى خبر غيلان بن خرشة الضبي الذي مر مع عبد الله بن عامر بنهر شيق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر فراح غيلان يؤكد القول بذكر محاسنه ثم مر في يوم آخر بالنهر ذاته مع زياد فقال هذا الاخير : ما أضر هذا النهر فذكر غيلان من القول ما يثبت به ذلك و قد علق أبو عثمان على الخبر بقوله " فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب " ² و هكذا فإن سلطة اللغة تنبع من قدرتها على تغيير القيم و القناعات

فقد يضطر المرسل لأغراض تداولية إلى العدول عما أقرته أنظمة اللغة، إلا أن هذا العدول لا يكون إلا في حدود ما تسمح به اللغة نفسها حتى يكون الخطاب مفهوماً واضح المقاصد لدى المرسل إليه و إلا كان مجرد " لغو " .

¹ - عبد السلام المسدي ، السياسة و سلطة اللغة ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، ط1 / 2007 ، ص 19 .

² الجاحظ البيان و التبیین ، ج1 ص 395

2- سلطة المرسل : أو ما يُسمى بـ« قوة المرسل حيث ينجح الأخير في التأثير و تغيير اتجاهات و سلوك الأفراد لما له من قوّة في ضبط أموره و قدرته على التدقيق و التّحصيل»¹

تتجلى قوة المرسل في صور عديدة منها التأثير على الآخر ، و القدرة على تغيير وجوهات النّظر عبر أهمّ وسيط هو اللّغة التي تخضع بدورها لسلطته، و ذلك لحظة تطويعها لمقاصده باستخدام معارفه ، و مهاراته ، فيختار من مخزونها ما يلائم غرضه، و قد تخوله مهاراته التّلاعب على أنظمتها فيعدل عنها إلى ما يخدم سلطته .

و يستمدّ المرسل سلطته من علاقة القربى العمودية كعلاقة الأب بابنه ، و العلاقات الاجتماعية، و المهنية كعلاقة الطبيب بمريضه ، و علاقة الحاكم بالمحكومين ، و غيرها من العلاقات التي تؤهل المرسل إصدار أفعاله اللّغوية ، و مثل ذلك « المتكلم الذي يصدر أمرا إداريا رسميا من موقع سلطة معينة هذا المتكلم يفعل شيئا غير الذي يفعله المتكلم الذي يصدر طلبا عاديا فالفولان يهدفان إلى غرض واحد (أو قوة إنجازية واحدة) لكن الأمر الإداري الرّسمي يحقق غرضه من موقع لا تتوفر للمتكلم العادي . و يكون ملزما إذا و انتته الظروف الإنجازية الملائمة ومن أهمها :

- السّطة التي تخوّله إصدار أمر بهذا القانون

استناده الفعلي إلى تلك السلطة وطبقا لشروطها ...»²

و ذلك من قبيل " رُفعت الجلسة " .

حيث استخدم المرسل " القاضي " في سياق معلوم فعلا ماضيا مبّنيا للمجهول، فلم يُحل به إلى ذاته المتلفظة ، ذلك أنّ المتكلم موجود في عملية التّلفظ نفسها على أساس أن قيمة الملفوظ كعمل هي في سلطة المتلفظ فالمرسل إليه يدرك جيدا ذات المرسل ، و أحقيته

¹ ينظر محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير عالم الكتب ، القاهرة ط 2 2000 ، ص 98

² ينظر مسعود صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول ، ص 91.

المستمدة من كونه قاضيا في التلفظ بخطاب لا يستوجب السؤال عن قائله ، بالقدر الذي يستوجب تنفيذه و الانصياع لمقتضاه .

3- **سلطة المرسل إليه** : يتسع مفهوم السلطة إذا ما شمل المرسل إليه ، و ذلك عندما يفرض سلطته على المرسل لحظة بناء خطابه خاصة إذا ما كان يفوقه درجة في سلم العلاقات الاجتماعية أو المهنية«فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، و لا الملوك بكلام السوقة ، و يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة»¹

و قد تنشأ سلطة المرسل إليه على المرسل دون وجود أي علاقة تراتبية بينهما ، و ذلك عندما يعتمد المرسل إلى اختيار استراتيجيات خطابية تمكنه من تبليغ قصده، و تضمن وضوحه لديه، مما يدل على استحضاره إياه «فانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراداً بتكوين مضمون الكلام بل ما إن يشرع المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطب دلالاته ، لأن هذه الدلالات الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعنى على المفردات في المعجم ، و إنما تنشأ و تتكاثر و تتقلب ، و تتعرف من خلال العلاقة التخاطبية...»²

إذ ينبغي للمتكلم أن يناسب بين كلامه و حال المخاطبين به ، فيأتي وفق عقولهم و اعتبار طبقاتهم في الفهم و الثقافة حتى يصيب الكلام هدفه فلا « يُمكن أن يشرف المعنى لآته من معاني الخاصة ، أو يتّضع لآته من معاني العامة . و إنما مدار الشرف على الصواب ، و إحراز المنفعة مع مواقفه الحال و ما يجب لكل مقام من مقال »³ . فتنعكس بذلك طبيعة المتلقي على خصائص الخطاب إذ أن المتكلم لا يجوز له حسب العسكري تدقيق المعاني و تنقيح الألفاظ و تهذيبها ، إلا إذا كان المرسل إليه ممن بلغ درجة الحكيم أو الفيلسوف ، فأضحى قادرا على استيعاب أشد الألفاظ تصفية و المعاني تدقيقا

¹ الجاحظ ، البيان ج 1 ، ص 92.

² د طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص 50.

³ الجاحظ ، البيان و التبين ، ج 1 ، ص 136.

4- سلطة المجتمع : تتمثل سلطة المجتمع على المرسل فيما يفرضه من استعمالات لبعض ألفاظ اللغة خاصة ما تعلق منها بالممارسات الشخصية ، و العبارات التي تخدم الحياء ، و كل ما فيه شدة وقع على نفس المتلقي كأن يقول فلان : « كيت و كيت إبهاماً على بعض من يسمع أو لشناعة المعبر عنه كهنّ في الفرج ، أو الفعل القبيح كوطئت وفعلت عن جامعت و الغائط للحدث»¹

فلا يمكن إذن للمرسل أن يقول كلّ شيء ، أو أن يتحدث في أي موضوع بفعل القيود الاجتماعية ، و الأخلاقية فيضطر حينها للتّحايّل عليها مستعملاً ما ينوب عنها من الخطابات التّلميحية التي تمتثل إلى أخلاقيات المجتمع ، و هو ما تنسبه لا كوف إلى ظاهرة "التأديب"² و ذلك مثل :

استعمال المرسل للفظ (انتقل إلى رحمة الله) بدلا من مات ، و (التّخلص من الحمل) بدلا من الإجهاض ، و ذوى الاحتياجات الخاصة بدلا من معوق.

هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ « الكلام و الكتابة جميعا نشاط اجتماعي و تختلف أنواع الخطابات باختلاف المؤسّسات و الممارسات الاجتماعية التي تتشكّل فيها هذه الخطابات.....»³ .

فالمجتمع إذن هو مصدر العلاقة بين أطرافه (المتلقي /المتلقي) كما أن له علاقة مباشرة مع الفرد واللغة أيضا فبين الفرد والجماعة علاقة ثنائية الاتجاه، وإن كان تأثير لغة الجماعة في الفرد أقوى من تأثيره في لغة جماعته باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة.

ج- السّطة في الخطاب : يعد امتلاك المرسل للسّطة سبيلا إلى نجاحه في انجاز الأفعال الكلامية ، كالتأثير على المتلقي ذلك أنّ أيّ أداء كلامي دونما سلطة سيكون مآله الفشل فغير القاضي لو تلفظ بخطاب "فتحت الجلسة" لم يُنجر شيئا من خلال ملفوظة ، ذلك أنّ المتكلم لم يتوفر على السلطة التي تخول له أن يتفوه بالكلمات التي ينطق بها .

¹ ابن الحاجب : الكافية في النحو . دار الكتب العالمية تحقيق ، هادي حمودي ، علم الكتب ، 1985 ج2-ص93.

² طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان ، ص 240.

³ ديان مكدونيل ، مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة عز الدين إسماعيل المكتبة الأكاديمية ، ط1 2001 ، ص67.

و قد اضطلعت السلطة بدور المعيار في تصنيف سيرل للأفعال الانجازية فكانت نواة قيام فئة الأفعال المتعلقة بالممارسات التشريعية ، و التي « تتعلق بممارسة السلطة و القانون و النفوذ و أمثلة ذلك التعيين في المناصب و الانتخابات »¹.

و تترجم علاقات القرب و البعد بين المرسل و المرسل إليه عبر إستراتيجيتين هما الإستراتيجية التوجيهية ، و الإستراتيجية التضامنية حيث « يربط كثير من الباحثين بين استعمال إحداها من جهة ، و بين توفر السلطة عند المرسل من جهة أخرى »² فكلما ارتفعت درجة المرسل في سلم العلاقات الاجتماعية ، و بعدت عن المرسل إليه كانت سلطته أقوى بحيث ينعكس أثرها على اختيار الآليات الخطابية التي تجسد تلك العلاقة فيخوله امتلاكها استعمال الإستراتيجية التوجيهية التي تحفظ مركزه ، و هيئته فيكون خطابه ذا لغة صارمة لا تقبل إلا التنفيذ ، و الانصياع ذلك أن المرسل إليه لا يمتلك سلطة تخوله الاعتراض " كعلاقة المدير بالموظف "

و قد يغفل المرسل البعدَ بينه و بين المرسل إليه بغية التقرب منه مما يؤدي إلى خلق علاقات اجتماعية حميمية من خلال استعمال الإستراتيجية التضامنية ، و ذلك بالتودد إليه و السؤال عن حاله ، و تقديم المساعدة ...

كما تتيح السلطة للمرسل الخيار بين الأشكال الخطابية التي تعرب عن قصده في ستعمل الإستراتيجية المباشرة إذا كان ذا مرتبة عالية ، و قد يحيد عنها إلى توسل الإستراتيجية التلميحية تقيداً منه بمبدأ التآدب و حفظاً لماء وجه المرسل إليه .

د- **السلطة بالخطاب** : ينطوي ظاهر كل خطاب و باطنه على أنا المرسل ، سواء أمتلك السلطة أم لم يملكها فانعدامها لا يعني حرمانه منها فقد يتيح له التلّفظ بالخطاب ذلك فالسلطة لم تعد تكمن في أنا المرسل بقدر ما تكمن في إنتاج الأنا للخطاب ، فيستحيل عندها الخطاب ميدانياً لإبراز السلطة و خلقها ، و المحافظة على استمراريتها « فالخطاب

¹ مسعود صحراوي ، الأفعال المنضمية في القول ، 79.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 22.

معرفة و قوة منتجة و مهيمنة في وقت واحد ، و أنّ القوة الحقيقية تتم ممارستها
 خلال الخطاب و أنّ هذه القوة تحدث آثاراً حقيقية»¹، يتجسد ذلك من خلالها توسله آليات
 و أدوات لغوية من قبيل:²

آلية تغييب المرجع : و ذلك بأن يتلفظ المرسل بخطابه مستعملاً ألفاظاً نكرة " مطلقة " غير محددة المرجع ، بحيث يتوقف عليه تحديد مراجعها كقوله جئكم من المكان الفلاني " بنبا عظيم " إذ تشير كلمة نبأ هنا إلى مرجع غير محدد مطلق الدلالة ، الأمر الذي يجعل المرسل إليه يتطلع إلى نوع هذا النبأ ، و يزيده شغفا لمعرفة وصفة إياه بالعظيم و بهذا امتلك المرسل سلطة على المرسل إليه من خلال الاستئثار بأحقية حقه في تحديد المرجع المقصود بحيث يظل تفسير الخطاب رهن رغبته و هكذا تظل السلطة بيده و يبقى المتلقي مشدوداً إليه فيضفي بذلك أهمية على نفسه لم يكن يمتلكها قبل فعل التلفظ .

آلية حذف المرجع أو إرجاؤه : كأن نقول في المثال الآتي : اسمعوا، أو اعلموا بحيث يتوصل المرسل من خلاله إلى تأسيس سلطة في جعل المرسل إليه يتطلع إلى معرفة المحذوف من الخطاب ، و كلما امتدّ انتظاره لمعرفة المجهول كلما امتدت سلطة المرسل، و غيرها من الآليات التي تستثير اهتمام المتلقي.

¹ اديان مكدونيل ، مقدمة في نظريات الخطاب ، ص 60.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 244.

الفصل الثاني

البنى الأسلوبية في خطاب البشير الإبراهيمي

- I. المستوى الصوتي في خطاب البشير الإبراهيمي
- II. المستوى التركيبي في خطاب البشير الإبراهيمي
- III. المستوى الدلالي في خطاب البشير الإبراهيمي

I. المستوى الصوتي في خطاب البشير الإبراهيمي :

ترتكز أولى خطوات التحليل الأسلوبي على الصوت ، ذلك أنه أساس بناء معنى الكلمة وتميزها عن غيرها ، فهو " آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ، و به يوجد التأليف ، و لن تكون إلا بظهور الصوت " ¹ ، فالقوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تتأتى من معناها وحده ، بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضا ² ، فالمعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطا لا يقبل التفرقة ³ ، لتكون بذلك أصوات الكلمة وسيلة توصيل تثير معنى إدراكيا لدى المتلقي فالتشكيل الصوتي عنصر " له خطره في رسم الصورة وإبرازها وخلق عوامل التأثير لها" ⁴. فدراسة المستوى الصوتي قائمة على تحولات البنى الصوتية وأشكالها و تواليها .

عمد البشير الإبراهيمي إلى نسج خطاباته وفق نظام صوتي سماته التواؤم ، والغاية منه الإثارة الجمالية التي يعضدها الفكر بغية بناء نهج حجاجي الهدف منه إقناع المتلقي ، ذلك أن للجانب الصوتي أثره الخاص لما يبعثه من ارتياح في النفس " فأمر الصوت عجيب و انصرافه في الوجود أعجب" ⁵. وعليه فإن المجال الصوتي يتحدد ضمن الدراسة الأسلوبية في نوعين :

1. انطباعية الصوت التي يكون الهدف منها التأثير على المتلقي .
2. تعبيرية الصورة التي تكون مهمتها الربط بين الرمز و مدلوله ⁶.

¹ الجاحظ البيان و التبیین، ج 3 ص 77 .

² تشيتشرون ، الأفكار و الأسلوب ص 45 .

³ أبر كرومبي قواعد النقد الأدبي تح محمد عوض محمد دار الشؤون الثقافية العامة ط 2 1986 ص 39

⁴ ينظر ساجدة عبد الكريم ، اثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة اسلوبية صوتية محله جامعة تكريت للعلوم الإنسانية مج 17 عدد 3 آذار 2010 ص 290.

⁵ عبد الحسين العمري محنة المثقف دراسة نصوص عبد الله بن المقفع أسلوبيا دار تموز - دمشق ط 1 - 2012 ص 40

⁶ ماهر مهدي هلال الأسلوبية بين النظرية و التطبيق آفاق عربية كانون الأول 1992 ص 70 نقلا عن عبد الحسين العمري محنة المثقف ص 40 .

من هذا المنطلق عمدت في بحثي هذا إلى رصد البنى الصوتية ومدى تلاؤمها و دلالتها على المعنى، في الخطابات التوجيهية عند البشير الإبراهيمي . ذلك أن دراسة المستوى الصوتي تعتمد على كينونة الصوت دالا ومدلولا .

يتجلى التلاؤم الصوتي في خطابات الإبراهيمي "التوجيهية بوسائل عدة نذكر منها :

1- جمالية التكرار في خطاب البشير الإبراهيمي :

جاء في معاجم اللغة وقواميسها أن مادة كرر بمعنى "كر" عليه أي عطف عليه الحديث إذا رددته عليه والكر الرجوع إلى الشيء *¹

غير بعيد عن حدود التعريف اللغوي يتأسس التعريف الأدبي للتكرار إذ أنه " تناوب الألفاظ و إعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره و الناثر في نثره " ².

فالغاية من التكرار الإفهام و الإيضاح ، إضافة إلى الانحراف بدلالة ما تكرر إلى معان أخرى يقتضيها السياق ، فالكلام لا يدل فقط بهوية أصواته وكذا نمط التراكيب التي انتظمت فيها الأصوات ، إنما تدل إلى جانب ذلك بطريقة النسق الأدائي الذي تُلفظ بحسبه . إضافة إلى تلك القيمة الجمالية التي يضيفها التكرار على الخطاب فا " القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات للتكرار لا تفارق القيمة الفكرية أو الشعورية المعبر عنها " ³. فكما أن " عودة النقرة على الوتر تُحدث التجاوب مع سابقتها فتأنس الأذن بازدواجها وتآلفها ، فإن عودت الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس . لو لم يكن لعودته مزية

¹ عبد الحسين العمري محنة المثقف ص41.*

² ماهر مهدي هلال جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة بغداد ص239

³ ينظر ساجدة عبد الكريم ، اثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة اسلوبية صوتية ص297

أخرى تعود إلى معناه ، فإذا كان مما يزيد المعنى شيئاً أفاد مع الجرس الظاهر جرساً خفياً لا تدركه الأذن ، وإنما يدركه العقل و الوجدان وراء صورته "1.

ويمكن تقسيم التكرار إلى ما يلي :

التكرار الجزئي : ويقصد به ترداد بعض الكلمات في الجمل ، أو بعض الحروف في الكلمات مما يخلق نسقاً موسيقياً في النص ترتاح له النفس ، وتطرب له الأذن وتستثير به الأفهام ، ومن أمثلة التكرار الجزئي للكلمات (الألفاظ) قول البشير الإبراهيمي : "يا أبناءنا إن الحياة قسمان : حياة علمية ، وحياة عملية ، وإن الثانية منهما تنبني على الأولى قوة وضعفاً وإنتاجاً وعمقاً ، وإنكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم ، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له ، ووقفتم عليه الوقت كله ، إن العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهره السهاد ، وصرف إليه أعنة الاجتهاد "2.

يبدو أن انبناء الفقرة قد ارتكز على أربع مفردات ، كانت رابطة المنظومة الجمالية ألا وهي (الحياة ، العلم ، العمل ، القوة) ، حيث ولد تكرار هذه المفردات مجالاً صوتياً لا تناشز فيه، فإذا كانت القافية المرتكز الصوتي الأبرز في الشعر ، فإن ظاهرة تكرار المفردات تعد في النثر مرتكزاً صوتياً يضيء الفجوات التي تمكن المتلقي من النفاذ إلى كنه النص .

يشير النص السابق إلى أن الحياة علم وعمل، وأن انبناء الأول يؤسس لانبناء الثاني، فهذا من جنس ذاك قوة وضعفاً ، ولا تتأتى قوة العلم إلا بانقطاع المرء له، فالسبيل الأول للحياة هو العلم ، ولم تتردد المفردتان بهذا الشكل إلا لأنهما القاعدة الأساس في تحصيل العلم ، فلا علم دون اجتهاد ولا عمل دون علم ، ولا حياة من دون علم وعمل .

¹ عز الدين علي السيد ، التكرير بين المثير و التأثير ، عالم الكتب بيروت لبنان ط 2 1986 ص 14

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الامام محمد البشير الابراهيمى جمع تقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي ، تونس ط 1997/1 ج 3 ص 203

إنّ انتشار مفردات " الحياة ، العلم ، العمل ، قوة " على مساحة النص بهذه الطريقة بناء ماهر ومصدر قوة ، فقد أدى تكرارها إلى تواشج النص بطريقة جعلته مستساغاً ومقنعاً ، بحيث شكلت الألفاظ المتكررة جزءاً من خطاب حجابي ، اعتمد بنية المنطوق مع بنية المفهوم في خلق صورة متكاملة عن أركان الحياة تدّعن لها الأذهان ، وتطرب لسماعها الأذان، ليضفي هذا التشاكل الصوتي الإيقاعي الحاصل بين الألفاظ بعداً تجاوز مجرد الإيقاع الصوتي إلى الاقناع الفكري .

تكررت ظاهرة "ترداد المفردات" عند البشير الإبراهيمي كثيراً، باعتبارها ظاهرة أسلوبية توفر طاقات تعبيرية تكشف عن مقاصده ، وتوضح رؤيته لأوضاع العالم من حوله فهو يقول : " وأنتم - في وضعكم العلمي - أبناء مدارس ، وجودها في زمن ، وروحها في زمان ، فهي من يقظتها في حلم ، وهي مع جدة الزمان في قدم ، وهي لا تعطي من الحياة إلا صورها الميتة ، وهياكلها العظيمة ، وألوانها الحائلة ، هذه المدارس التي بنيت بإرشاد القرآن ، فأصبحت وهي أبعد شيء عن القرآن ، وهدى القرآن ، وخلق القرآن ، بل يبعد من يقول: إنها أبحت معاول لهدم القرآن ، لأنها لم تخدم القرآن ، بهذه العلوم التي قالوا : إنها خادمة للقرآن ، فلم تترك النفوس التي جاء القرآن لتزكيتها ، ولم تهيئها لسعادة الدنيا ، ولا لسعادة الآخرة ، ولم ترفع العقل من درجة الحجر إلى درجة الاستقلال في التعقل ، ولم تصحح موازينه في إدراك الحياة وفقه أسرارها ، وليت شعري : هل صحت دراسة المنطلق في هذه المدارس- بهذه الطريقة اللفظية العقيمة – إدراكات العقول ومقاييسها ، كما صحت إدراكات المعاصرين لماضي الأمم الأخرى؟ وهل طببت هذه المدارس لأخلاق أبنائها الذين أذوا زهرات أعمارهم فيها ؟ وهل أفاضت البيان في قرائحهم وألسنتهم وأقلامهم؟"¹.

تكمّن موسيقية النص هاهنا في مفرداته المعبرة الدالة على المعنى ، فقد توافر على ثلاث مفردات (المدارس ، الزمان ، القرآن) لتكون مرتكزات تنفتح من خلالهما الفكرة المتمحورة حول الحالة السيئة التي كان عليها التعليم الديني ، و العربي في أوائل هذا

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ، ص 267 .

العهد ، فالمدارس التي تعتبر منابر العلم ومصدر إحياء النفوس ، وتزكيتها قد أسست على مناهج منافية لروح العصر الذي بنيت فيه ، فلم يخرج نباتها إلا غثا لا يرجى منه النفع ، وقد بعدت الشقة بينهما وبين هدي القرآن الذي أسست لأجل خدمته ، وبعث مبادئه في جيل أحواله الظروف الاستعمارية ربما هادمة ، فكانت معاول لهدم تلك المبادئ ، فلم تزك النفس ولم تهئ لها أسباب السعادة ، ولم تسمُ بالعقل إلى درجة الإبداع ، ليشكل توالي المفردات و ترددها وسلّة "تحقق توازنا موسيقيا فيصبح النغم أكثر قدرة على استثارة المتلقي والتأثير في نفسه"¹.

إنّ المفردات المتكررة قد خضعت في توزيعها على ساحة النص لقوانين فرضتها طبيعة الخطاب الحجاجي الذي يهدف إلى الإقناع ، والإمتاع ، وآية ذلك أن تكررت كلمة القرآن 8مرات ، وتكررت كلمة المدارس 4 مرات ، فيما ترددت كلمة الزمان 3 مرات ، وما ذلك إلا إلحاح من البشير الإبراهيمي على أنّ القرآن دستور العلم والأخلاق ، فكل مدرسة لم تؤسس مناهجها على هديه ، و وفق مقتضيات العصر (الزمان) ليست إلا جسدا دون روح

كما أن توالي النفي. في قوله - فلم تزك النفوس التي جاء القرآن لتزكيتها ، ولم تهئها لسعادة الدنيا ، ولا لسعادة الآخرة ، ولم ترفع العقل من درجة الحجر إلى درجة الاستقلال في التعقل ، ولم تصح موازينه في إدراك الحياة وفقه أسرارها - إصرار ، وتأكيد منه على أنّ ما ادعته جل المدارس الدينية آنذاك من " كونها آليات وقواعد ينطلق منها إحياء ثوابت القرآن " ، إنّما هو ادعاء باطل ينافي واقعها ليتجاوز بذلك التكرار مجرد الإيقاع ، والإمتاع إلى استجلاء فكرة وترجمة موقف ، فحواء ثورة واستهجان لحال مدارس التعليم الديني .

¹ - ينظر عن محمد مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي المعاصر منشأة المعارف الإسكندرية ، ط1 1987 ص173

إنّ تكرار لفظتي القرآن والزمان على التوالي وهما تمثّلان وزنا صوتيا واحدا قد أضفى مجالا موسيقيا متناغما "مثل عملية تحول بالصوت إلى دال مدرك حسب المقتضيات بحيث يجعل من الصوت صدى للمعنى"¹.

يتكرر الاستفهام بشكل ملحوظ في خطابات البشير الإبراهيمي التوجيهية ، لما له من أهمية في تفعيل الحوار وفتح فضاء الدلالة لدى المتلقي ، و استدراجه إلى متابعة الخطاب ، قراءة أو استماعا ، حتى نهايته فيتقد ذهنه بحثا عن عناصر الغياب و نواقص التركيب ، فتكرار الاستفهام يتيح إمكانية قرائية متجددة .

من بين المواضع التي تكرر فيها الاستفهام نذكر قوله : " ولكن ما قولكم – يرحمكم الله – إذا اعترض أبنائكم وهم في طريقهم إلى العلم لصوص يحاولون أن يقطعوا عنهم طريقه، أتسكتون وتقعّدون عن نجدتهم ؟ وتتركونهم للصوص يعبثون بهم ، فتضيع أموالكم و أموالكم ، وتخيّب نياتكم ومقاصدكم ؟ أم تهبون سراعا إلى استخلاصهم من أيدي اللصوص ؟ . الدين و العقل والعادة ، كل هؤلاء يفرض عليكم أن تصونوا أبنائكم وتحفظوهم من هؤلاء اللصوص "².

يوجه البشير الإبراهيمي أسئلة متتالية لأولياء الطلبة المبتعثين إلى تونس ، بغية تنبيههم وتحذيرهم ، و التأكيد على ضرورة مصاحبتهم لأبنائهم في مسيرتهم الفكرية وتوعيتهم بخطر لصوص العقول الذين هم أفنك من لصوص الأموال والذين أفسدوا عقول أبنائهم في غفلة منهم ، وصدوهم عن سبيل العلم ، وشغلهم بالحزبية حتى أصبحوا جلاس مقاهي لا رواد ، مساجد وقرأاء جرائد لا قراء كتب، منشغلين بالنقاشات الحزبية عن المذكرات العلمية فجعلوهم شيئا بعد أن وحد العلم أفئدتهم ، وأفكارهم فكان الاستفهام المتتالي هاهنا هزة توقظ الفكر الغافل ، وتوجهه، لتخرج هذه الأسئلة عن مقتضى الظاهر

¹ - عبد الحسين العمري محنة المثقف ص43.

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ص316. ج3

" إذ لم يكن القصد منها طلب معرفة شيء لم يكن معروفا من قبل إنما الهدف كان تقرير حقائق وتأكيد أمور على جهة التقرير والتقرير " ¹.

وها هو ذا مقال عادت "لعتها لميس" ينضح أسئلة متتالية ساقها ، الكاتب تقريراً و توبيخاً للسذج من الجزائريين الغافلين عن نوايا الاستعمار ، الذي يسعى تحت غطاء الديمقراطية المزيفة إلى طمس معالم الهوية الجزائرية من خلال التصدي لمعلمي الدين و اللغة العربية فيقول : " وحسب الاستعمار (ديمقراطية) أن يحاكم معلمي العربية و الإسلام ، ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الإجرام ، في محكمة واحدة ، وسجن واحد ، وظرف واحد ، وقد يكون يوم جمعة في الغالب ، أليس هذا احتراماً للإسلام ، ومن مصلحته كما يقول العاصمي ؟ أليس هذه هي الديمقراطية ؟ فما لكم تكذبون؟ " ². ذيل إبراهيمي مجموعة أسئلة التقريرية التشريعية بسؤال ملؤه الحسرة على حال المسلمين الغافلين و" قد اختار الكاتب الأسلوب الذي يستعمله القرآن في تقرير الذين لا يفقهون و لا يعقلون ، فيبقيون في ضلالهم يعمهون . (فما لكم تكذبون) " ³.

ويمضي الكاتب في تبصير الجزائريين بأدلة منطقية عمادها تفعيل العقل و تنويره عن طريق السؤال فيقول " أليس معنى مقاومة التعليم نشر الأمية وتكاثر الأميين؟ لا يقتضي المنطلق إلا هذا ، ولا يفعل الاستعمار إلا هذا ، لأنّ له مذهباً في المحافظة على الأمية لئلا تزول " ⁴. إن توالي الاستفهام وسيلة ناجعة لاستجلاء الحقائق عن طريق التفاعل مع المستمع بطريقة عقلية استنباطية تهدف إلى إقناعه وقد استخدمه الكاتب للتنفيس عن "الكمد الذي يملأ قلبه ، ويكون مركباً مهما يركبه ليعبر عن المكامن التي تسكن داخله . مما يراه تعسفا وظلماً يرتكب في حق بعض الناس ، فلا يجد في التعبير المباشر القدرة على تحقيق ذلك، بل يرى الجدوى في

¹- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي منور الأذهان و فارس البيان منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2009 ص102.

²- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص345

³- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ص104.

⁴- محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص345

التعبير غير المباشر بواسطة السخرية" ¹. سخرية راقية هادفة تسعى إلى استدراج العقول نحو إيجاد الحلول و تغيير الواقع .

تكرار التركيب : تعتبر الجملة أساسا لتكوين النص لا يمكن فصلها عنه و معرفة دلالتها إلا من خلالها ذلك أنّ النص " مكون من تراكييب و كلمات مما يعني أنّه جملة من نوع راق أو قلّ جمل و كبيرة مكونة من أخوات لها صغار ، و عليه يكون النص وحدة معنوية لا وحدة شكلية وحسب " ² .

يعد تكرار التركيب أو العبارة سمة أسلوبية بارزة اتكأ عليها الكاتب في بناء خطاباته ، لما لهذه الأداة من طاقات تعبيرية هائلة ، تسهم بشكل فعال في إثراء المعنى و إنجاز لصوتية المفردة اللغوية بوصفها رمزا دالا بالحاكاة ، وعلى مستوى التركيب المتسم بالتردد الصوتي المولد للإيقاع و المشحون بطاقة السياق الدلالية المولدة للإيحاء " ³. فتحفز المتلقي على المتابعة من خلال إمكانية التعدد الدلالي الذي يفرضه التكرار .

من نماذج التكرار العبارة "الجملة " التركيب قول البشير الابراهيمي : " لا حق لكم على الوطن ، بل الحق كله للوطن عليكم ، وإن أوكّد حقوقه عليكم أن تحققوا بالعلم ومطالبه ، وتعمروا بالعلم جوانبه ، وتنثروا بالعلم غياهبه.

" أعيدكم بالله وبشرف العلم و بأمانة الوطن أن تنفقوا دقيقة من أوقاتكم -بعد قوام الدين و الحياة- في غير الطلب و التحصيل للعلم ، و القراءة و المذاكرة في العلم" " وأعيدكم بالله وبشرف العلم أن تعودوا إلى الوطن كما فارقتموه بنصف قارئ وربع قارئ ، وعشر قارئ ."

¹ -محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الابراهيمي ص103

² -سمير شريف استيتية منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي ص242

³ -عبد الحسين العمري محنة المثقف ص 49 *

" وأعيذكُم بالله وبشرف العروبة أن تسري إليكم العدوى من ممتنهي الوطنية فتمتحنوا العلم ، فلقد توهموا – ضله- أن الوطن يخدم بالدعاوي الجوفاء ، فحذار أن تتوهموا أن العلم ينال بالدعاوي الجوفاء . كلا... إن الوطنية لعقلية كرام، لا يساق في مهره بهرج الكلام ، وكريمة بيت ، لا تنال بلو ولا بليت . وإن العلم كبير أناس ، لا يصاحب إلا بضبط الأنفاس "

"أعيذكُم بالله وبشرف الأبوة أن تعقوا آباءكم ووطنكم وأن تكونوا سُخنة عين لهما ، فترجعوا بعد طول الغيبة بالخيبة ، وصفر العيبة ، و أنّ اللباب من الشباب هم الذين يكونون كفارة وطُهرة لوالديهم ، لا كفارة فجرة بأيديهم"¹

إنّ الاستعادة بالله من أمر دليل على أن المتحصن منه (المستعاذ منه) أمر جل و الواضح أنّ عبارة الكاتب فعل توجيهي غير مباشر الغرض منه النهي فاختر لفظ " الاستعادة" للتدليل على عظم المنهي عنه ، بدأ بطرحها متخذاً من عبارة "أعيذكُم بالله " مرتكزا أساسيا يحمل قصد النهي ، إن لم نقل أنه المرتكز الوحيد الذي تنتظم من خلاله الأفكار التي تؤلف مجموعة الصفات المنهي عنها.

إنّ تدرج البشير الإبراهيمي في عرض الأمور (المنهي عنها) تدرج منطقي بدأه بذكر الأسباب وذيله بالنتائج فإنفاق الوقت في غير طلب العلم ، وتحصيله ومذاكرته تعقد بالطالب دون التحصيل الجيد ، فيمتحنون التعليم على شاكلة أولئك الذين امتنوا الوطنية بالدعاوي الجوفاء فيكون بذلك سخنة عين الآباء و الوطن ، حيث مثل ترديد عبارة " أعيذكُم بالله " أداة فنية حفزت القارئ على متابعة الخطاب حيث تفاعلت موسيقى التكرار مع دلالة العبارة السابقة .فالتكرار إذ يوظف في الكلام ، لا يكون الغرض منه هو إمتاع القارئ فقط ، و لكنه يوظف كذلك لأغراض حجاجية تتمثل في " تأكيد الآراء المعبر عنها في الخطاب و

¹- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج3ص315

الإلحاح " على ما يجب التنبيه له ، و محاولة ترسيخه و تثبيته " ¹ في العقول من جهة و " تقوية القيمة الممنوحة للكلمات المكررة و مضاعفة شأنها " ² لدى المخاطب من جهة أخرى .

من خلال ما تقدم من أشكال توضيحية تتبين قدرة البشير الإبراهيمي على إبراز المعاني التي يتوخى الوصول إليها و التي على المتلقي أن يتلقفها ، لأنها تمارس عملية توجيهية من خلال المنهج الحجاجي الذي ينتظم فيه النص بفقراته .

يعتبر الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي مدونة لغوية تنزع في بنائها إلى أسلوب رصين ، يتلون بألوان الموروث اللغوي العربي الإسلامي الواسع ، إنه نتاج "كاتب فذ وخطيب مصقع انقادت له بلاغة النثر ، وأذعنت لسانه أعنة البيان ، فتمثلت في ذلك الأسلوب السلس القوي الذي يشبه الينبوع الثرثار حين ينبجس بالماء العذب الرقراق ، وهو أسلوب يعد استمرارا لطريقة أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، وبديع الزمان الهمداني وابن العميد ، وابن شهيد " ³ . فالكاتب كان حريصا على " إشاعة ذلك الأسلوب الذي تتميز ألفاظه بالجزالة التي تجعله قويا غنيا و ثرا ثريا " ⁴ .

إنّ أول ما يشي به نص المدونة ذلك التناسب أو الاختلاف الصوتي الذي فرض وشيّه على مساحات الخطابات عبر صور أسلوبية تجلت في السجع والجناس ، الطباق و المقابلة

2- جمالية الجنس في خطاب البشير الإبراهيمي : هو في اصطلاح علماء البيان أن " تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما " ⁵ ، ومنه نوعان التام والناقص ،

- عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف الخطابة الجديدة لبريلمان ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 318 .

Séverine Abiker . Lécho paradoxale . etude stylistique de la répétition dans les récits brefs . thèse de doctorat soutenue à l université de poitiers 2008p 126 ²

عبد المالك مرتاض تجليات الهوية الوطنية في رواية الثلاثة للإبراهيمي دراسات جزائرية ، دورية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الأدبي في الجزائر جامعة وهران عدد 10-11/2013 ص 33 ³

⁴ المرجع نفسه الصفحة نفسها

⁵ انعام نوال عكاوي المعجم المفصل في علوم البلاغة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2 1996 ص466

فالتام ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي : نوع الحروف وشكلها ، وعددها ن وترتيبها ، أما الناقص هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة¹ . أي تشابه لفظتين في الحروف و اختلافهما في المعنى.

على أن المعنى يمكن تحديده من واقع سياق الكلام ، لذلك فهو يحقق تجانسا صوتيا بين لفظتين في الوقت الذي يحقق افتراقا دلاليا واضحا ، كما أنه يسهم في تحقيق تأثير كبير من التردد الصوتي ، كذلك فإن المجانسة بين الألفاظ تساعد على تحفيز ذهن المتلقي للتوقع أو لاستقبال الحدث الكلامي المرتقب ، زيادة على التشكيل النغمي الذي يضفي مسحة جمالية على التعبير ، يمثل الجناس " مقوما ماثلا للقافية فهو يستفيد مثلها من الإمكانيات اللغوية للحصول على أثر قوامه المماثلة الصورية "² من صور الجناس الواردة في المدونة الإبراهيمية قوله متحدثا عن كنه اللغة العروبة : " أهتف بشباب العرب أن يرعوا حق العروب و أن يكونوا أوفياء لها ، و أن يعلموا أنها لست جنسية تميز....و إنما هي عزائم لا تعرف الهزائم ، و إنما هي عزة و كرامة ، و شدة في الحفظ و صرامة ، و إنما هي طموح و جموح ، و إنما هي طبع أصيل و رأي جليل ، و لسان بالبيان بليل ، و عقل على الحكمة دليل ، فمجموع هؤلاء هو العروبة ... و ما عداه فهو تعلق بباطل ... و خيانة للعروبة في اسمها و في وسمها "³

و يقول داعيا الشباب إلى الحذر من غواية السياسيين الذين يمنعونهم من تلقي العلم و يحيدون بهم عن طريقه : "إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة ، و انصعتم إلى هؤلاء العواة ، خسرتم أنفسكم و ستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا "⁴ .

و يقول في ناصحا المعلمين موجهها إياهم إلى طرائق تعليم الطلبة " و تقودونهم بزمam التربية إلى مواقع العبر من تاريخهم و موطن القدوة الصالحة من سلفهم...و اجعلوها مقدمة على البرنامج الآلي في العمل و الاعتبار ، و في السير و الاختبارو اجعلوا

¹ أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع المكتبة العصرية بيروت لبنان ط1 1999 ص325
² -جان كوهن بنية اللغة الشعرية تر محمد الولي و محمد العمري دار توبقال الدار البيضاء المغرب ط1 1986 ص 82.

³ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ج 4 ص 268 .

⁴ المصدر نفسه ج 3 ص 316

الحقيقة الآتية نصب أعينكم ، و هي : إن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم و إنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق ، فمنها كانت الخيبة ، و منها كان الإخفاق و اعلّموا أنّ كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل و أن كل صبح تنفضونه علي أرواحكم من قبل أن يكون متغلغلا في أرواحكم فهو ناصل حائل ..¹

لقد مثل الجنس غرة شاذة في خطابات الإبراهيمي ذلك أنّه يكشف عن معان لم ينتظرها المتلقي ، فجمالية هذا الأسلوب تكمن في التشاكل الصوتي الحاصل بين الوحدات : عزائم / هزائم ، اسمها / وسمها ، طموح / جموح ، كرامة / صرامة ، الغواة / العواة ، الاعتبار / الاختبار ، الأخلاق / الإخفاق ، زائل / حائل ...

إنّ الجمع بين التناسب الصوتي و التباين الدلالي بين الوحدتين لمفارقة جمالية ، فإنّ وجب أصالة أن يكون لكل مفهوم منطوق فإنّ الجنس أسلوب يخرق هذه القاعدة ف : " يتحد أو يتقارب اللفظان المتجانسان في المستوى الصوتي ويفترقان في الدلالة التي تدق فيها الحدود الفاصلة بينهما إلى أن يعمل المتلقي عقله ليتوصل إلى غاية هذه البنية اللفظية ... التي يتضمن مفارقة تعبيرية " ² .

لتؤدي بذلك الأصوات في الجنس وظيفتين تتراوح بين : " تحقيق التّناسب و الائتلاف بين الألفاظ المتجانسة بما يرافقه من تجاوب موسيقي ، يطرب الأذن ، و احداث المفارقة الدلالية ، من خلال اختلاف المعنى بين تلك الألفاظ ، و التلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه الجنس ، لاحتلاب الأفكار ، فبينما هو يريك أنّه سيعرض عليك معنى مكررا ولفظا مرددا لا تجني منه غير التطويل و الانقباض ... ، إذ هو يروغ منك ، فيجلو عليك معنى مستحدثا يغير ما سبقه كل المغايرة " ³ .

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ج3 ص 264

² - سعد أبو الرضا ، في البنية و الدلالة منشأة المعارف الإسكندرية 1987 ص 53

³ - علي الجندي فن الجنس دار الفكر العربي مصر دت ص 29 30*

تعود جمالية الجنس ههنا إلى ما أحدثه في الكلام من نغمة موسيقية و تشابه صوتي يطرب الأذان و يؤثر في القلوب ، و يحدث في النفس ميلا إلى التلذذ و الاصغاء ، فضلا عن دفعها المخاطب إلى الوقوف على حقيقة المعاني الكامنة وراء هذا التشابه الصوتي .

3-جمالية السجع في خطاب البشير الإبراهيمي : هو شكل صوتي يعزز الجانب الإيقاعي في النص وصولا إلى المعنى المطلوب ويقصد به " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، و المراد بالفاصلتين الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين " ¹ ، بحيث يسهم في منح النص طابعا بنيويا واضحا ومنتظما ، يفرض نفسه على الذاكرة ، ومن هنا كان إدراجه -في النظريات النقدية الحديثة- ضمن حيل الذاكرة كأحد بنيات " فن تقويتها " ، فالسجع بوصفه بنى إيقاعية هو مطلب من مطالب التفكير الشفاهي الذي يميل " إلى أن يكون إيقاعيا بشكل ملحوظ لأن الإيقاع – حتى من الناحية الفسيولوجية – يساعد على التذكر " ² .

قال البشير الإبراهيمي : " أوجه طلائع الحديث في هذه الليلة إلى الشباب الذين هم الساف الجديد في بناء الأمة و الدم المجدد لحياتها ، و الامتداد الطبيعي لتاريخها " ³ لقد تواطأت الفاصلتين من المثال الأول على حرف واحد الهاء من كلمتي (حياتها) ، (تاريخها) فشكلتا ما يسمى بالسجع المطرف المبني على وحدة الصوامت ، واختلاف الوزن بالنظر إلى التمثيلين الدالين الذين يثيرانها كل من الحياة ، والتاريخ نلمح ذلك التداخل أو التفاعل بين هذين الوجدتين ، إذ لا وجود لحياة خارج التاريخ ولا تاريخ خارج حياة فالتاريخ امتداد للحياة في سلم الزمن كذلك هم الشباب تجدد وامتداد لخلفهم ، فلا هم دون أولئك موجودون ولا هؤلاء دون الشباب يستمرون ، إضافة إلى هذا التقارب الدلالي بين الكلمتين يأتي صوت الهاء المهموس الذي ينبعث بنفس ليأسس لوحدة صوتية بين التركيبين ، لنشهد بذلك صورة أسلوبية تنتقل بنا من مجرد جمالية (الإيقاع) ، و وحدته إلى وحدة عضوية بين بين التركيبين.

¹ - محمد حسن شرشر ، لباب البديع ، ط2003، 2

² - والترج أونج الشفاهية و الكتابية تر حسن البنا عز الدين ، عالم المعرفة 1990، ص94

³ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4 ص 267

يمتد هذا لاطراد الصوتي مكتسحا الخطاب حيث نشهد تناعما بين تراكيب أخرى كما في قوله متحدثا عن العروبة و معناها " أهتف بشباب العرب أن يراعوا حق العروبة و أن يكونوا أوفياء لها ، و أنها ليست جنسية تميز ، و لا نسبة تعرف ...و أنها ليست متاعا مما يرث الوارثون ، و لا أرضا مما يحرث الحارثون ، و إنما هي خلال و خصال و همم تتشقق عن فعال ، و إنما هي مساعي الكرام إلى المكارم ، و دواع من العظام إلى العظائم ... و إنما هي عزة و كرامة ، و شدة في الحفاظ و صرامة ...و إنما هي رجولة و بطولة ، و أصالة و فحولة ¹ حيث مثل الاطراد الصوتي ذروته من خلال الترصيع الذي هو جناس اتحد فيه الوزن و الفاصلة فالنظر إلى الوزن العروض ل (نشدد)(//0//)، وكذا بالنسبة ل(نسد)(//0//). وكذلك بالنسبة (قهار) (0/0/0/) /دوار (0/0/0/)

الحارثون (0/0/0/) / الوارثون (0/0/0/).

خصال (0/0//) / فعال (0/0//)

كرامة (0//0//) / صرامة (0//0//)

بطولة (0//0//) / فحولة (0//0//)

الأضاليل (0/0/0//) / الأباطيل (0/0/0//)

لقد انبنت كل سجعيتين من الأمثلة السابقة على وحدة الوزن (العروضي) وكذا الفاصلة مع اختلاف في معنى الكلمتين وهذا ما اشترطه البلاغيون من أمثال ابن الأثير حيث أكد على " أن يكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها " ² بغية التنوع واجتناب التكرار المتماثل للوحدات فإذا تكررت الوحدات الصوتية . فيجب أن تكون بمعنى جديد غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها .

لقد أضفى هذا التكرار الفونيمي على النص بعدا ديناميا يعد مكونا تتضمنه العناصر اللسانية ، الأمر الذي يفضي إلى إكساب هذه العناصر إيقاعا خاصا ، كما أن اختلاف الصوت من سجعيتين إلى أخرى - فمن صوت الهاء إلى الدال إلى اللام - يكتسي صبغة

¹ محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام البشير الإبراهيمي ج 4 ص 268
ابن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، قدمه و علق عليه أحمد الحوفي بدوي طبانة دار النهضة مصر للطباعة و النشر الفجالة القاهرة ، مصر، دط، دت ج 1 ص 214

جمالية تعكس ذلك الاختلاف أو الاضطراب الحاصل على مستوى الحياة الفكرية و العاطفية التي يعيشها الشاب إلى حين انبائها على نهج محدد ، لتشير بذلك المحاكاة الصوتية إلى تجربة غير صوتية .

إنّ الوزن والإيقاع يحققان مماثلة وزنيه ومماثلة إيقاعية ذلك أن القافية ليست أداة أو وسيلة تابعة لشيء آخر بل هي عامل لمستقبل ، صور تضاف إلى غيرها وهي كغيرها من الصور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى ¹ .

قال البشير الإبراهيمي : " العلم ... العلم... أيها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ، ينفخ في ميزاب ، و لا داعية انتخاب ، في المجامع صخاب ، و لا يلفتتكم عنه معلل بسراب ، ولا حاو بجراب ، ولا عاو في خراب ، يأتّم بغراب ، و لا يفتنكم عنه منزو في خنقة ، و لا متلو في زنقة ، ولا جالس في ساباط ، على بساط ، يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط . فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب و ساحر كذاب" ² .

جعل البشير الإبراهيمي من الباء في الألفاظ " الشباب أحزاب ، ميزاب ... " نقطة ارتكاز حملت إيقاعا مجلجلا، وشكلت نسقا صوتيا متجانسا بصيغة إصلاحية هادفة أضفت على النص جمالا خاصا ، وحسا إيقاعيا هادفا . فصوت الباء ، والطاء و القاف المجهورة الشديدة ، تتناسب تماما مع المعنى المراد ، ولا سيما وأن الكاتب يريد نقل صورة حسية عمّا قد يعترض الطالب من عوارض تمنعه العلم ، وتحديد به عن هدفه .

إنّ هذه الأصوات المجلجلة كانت ناقوسا يدق تحذيرا من خطر أولئك الغواة الذين يستدرجون طلبة العلم إلى حيث يخسرون أنفسهم ووطنهم ، فتوالي أصوات : ب، ق، ط، يرسم لنا منحا تصاعديا لدرجة الغاوين وفتك غواياتهم بالمتعلمين ، فالباء صوت مجهور شديد يليه صوت القاف الذي يفوقه شدة (مجهور شديد مستعلي) ، ثم يأتي صوت الطاء ليشكل ذروة الجرس الموسيقي ، لأنّه أقوى حروف اللغة العربية ، بحيث لا تنتابه صفة من صفات الضعف وتجمع بين هذه الأصوات الثلاثة صفة القلقة ، وهي اضطراب

¹ - جون كوهن، بنية اللغة الشعرية ، ص74

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3ص316.

المخرج عند النطق بهذه الأصوات ساكنة لتوحي بذلك الاضطراب الذي يخلخل سكون من ساروا في روحانية العلم فيخرجهم من طبع إلى طبع .

ومن مواضع السجع نذكر أيضا قول البشير الابراهيمي متحدثا عن الشباب : " أتمثله مصلولا لخصومه بالحجاج و الإقناع ، لا باللجاج و الإقذاع ، مرهبا لأعدائه بالأعمال ، لا بالأقوال " ¹ .

ارتسمت أطراف الفقرة في تقابل أنشأ مستوى تنغيميا ، حمل بين طياته معنى توجيهيا يكشف عن جوهر محاوره الخصوم ، وإرهاب الأعداء الواقع بين أمرين متناقضين حجاج ≠ اللجاج ، إقناع ≠ إقذاع ، أعمال ≠ أقوال .

حيث ساق البشير الإبراهيمي توجيهها جامعا بين أسلوبى الأمر والنهي ، أمر بإتباع الحجاج و الإقناع ساعة محاوره الخصم ونهي عن اللجاج و الإقذاع ، وإرهاب العدو بالأعمال لا بالأقوال .

إنّها ساعة يتقرر بعدها أحد المصيرين بين المتحاورين ، إمّا أن يكون الخصم وليا حميما وإمّا أن يكون عدوا لدودا ، و ليس السبيل إلى جعله وليا حميما إلا الحجاج و الإقناع ، وتلك هي دعوة الله سبحانه و تعالى في قوله " ادفع بالتي هي أحسن " .

إنّ هذه البينية التي تُلَفّ ساعة المحاوره مع الخصوم يترجمها صوتي العين و اللام الواقعتين فاصلتين ، و هما من الحروف البينية . الواقعة بين الشدة و الرخاوة لتدل على أن المحاوره متوسطة بين أمرى اللين و الضدة ، لتتفاعل "بنية المنطوق مع بنية المدلول فيتحوّل النسيج الصوتي إلى تنغيم إيقاعي على حد ما يتحوّل البناء إلى حركة " ² .

شكل هذا النسق الصوتي الشائع في الخطاب التوجيهي عند البشير الابراهيمي ، مرتكزا جماليا ، و تأثيريا وذلك بتحقيق قدر من التوافق بين الدلالة و الإيقاع فإنّ " الحروف ليست مجرد جرس تضربه الألسن فيخرج منه صوت ، إنّما هي ناموس حياتي يقوم على مغزى

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ج3 ص517.

² - ينظر عبد الحسين العمري ، محنة المثقف ، ص70.

نفسى عميق يعكس شعورا دفيناً يسيطر على الروح و يخرج على شكل دفعات ، يمكن أن يكون نابعا عن تجربة شعورية أكثر من أن يكون مجرد استقراء لواقع اللفظة ¹.

إنّ السّجّع إذ يرد في خطابات التّوجيه لدى البشير الإبراهيمي ، فإنّه يحقق فيه – بفضل توافق فواصله و اتساقها الصوتي – تماثلا صوتيا و إيقاعيا رنانا يجعل النفس تنجذب و تميل إليه كل الميل ، ليس فقط بالإصغاء و السماع ، و لكن بحفظه و تمثله و هو ما يجعل الخطابات التي " يعتمد فيها الأوزان و الأسجاع ...تروى و تتناقل تناقل الأشعار " ².

على أنّ الحفظ و إن كان هدفا مقصودا فإنه يكمن وراءه أهداف أخرى أبعد من حدود الحفظ و هي الفهم و التدبير و الدفع إلى الفعل .

4-جمالية الطباق في خطاب البشير الإبراهيمي : حد الطباق كخيار أسلوبى عند العسكري هو "الجمع بين الشيء و ضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت مثل الجمع بين البياض و السّواد و الليل و النّهار ، و الحرّ و البرد " ³، فالطباق هو ورود الألفاظ مختلفة من النّاحية الصوتية متضادة من الناحية الدلالية . وبذلك يختلف الطباق عن الجناس من حيث البنية الصوتية ذلك أنّ الجناس يعتمد على التماثل الصوتي بخلاف الطباق . أمّا بالنسبة للجانب الدلالي فيقوم الجناس على مجرد التخالف الدلالي أمّا الطباق فإنه يتطلب التضاد الدلالي الذي يفضي إلى " طرافة المعنى وجودته ، وهذا ما يقوم عليه النظم الكلامي ، لأنّ اللغة الفنية تقدم ثراء لغويا أكبر من اللغة النثرية الاعتيادية الخالية من اللمحة الفنية " ⁴، إلا أنّ هذا الجمع بين النقيضين لا يمكن أن يكون ذا قيمة إلا بقدر ما يسعى إليه من أحداث قيمة جمالية أو وظيفة فنية ، تحيل إلى معنى جديد يقوم السياق بإثارتة .

¹ عبد الحسين العمري ، محنة المثقف ، ص 68

²-الجرجاني أسرار البلاغة تح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، دط/دت ، ص9-10

³ أبو هلال العسكري الصنائع ص339

⁴ ينظر عبد الحسين العمري ، محنة المثقف ص60.

قد تمتد مساحة الطباق لتشمل التركيب كله وهذا ما يسمى عند البلاغيين بالمقابلة فهي " طباق متعدد عناصر الفريقين المتقابلين ، وفيها يؤتى بمعنيين فأكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب "1

من مواضع هذا النوع من التناسب قول البشير الابراهيمي مخاطبا الشباب : "إلى هؤلاء الشباب الوارثين لحسناتنا وسيئاتنا ، المهينين لخيرنا وشرنا "2

و يقول أيضا : " ألا إن في الاسلام نوعا من المعاني لم يتخيله وضع و لا عرف ، و لم يتداوله نقل و لا استعمالأيها الشباب شاع بين الناس مبدأ فطري توارد عليه المحدثون و القدماء و نصره الحس و هو أنّ الكبير قريب من الموت يغذّ إليه السير مكرها كمختار و عجلان كمترّيب "3

و نذكر من بين صور المقابلة قوله: "أولئك يدعونهم إلى الجنة محفوفة بالمكاره مسبوقة بالصبر و الألم ، و هؤلاء يدعونهم إلى النار ملفوفة بالشهوات مسبوقة بالإغراء و التزييق في التزيينونعطيهم من أفعالنا ما نمنعهم منه أقوالنا "4

و يضيف قائلا : "إلى هذا الجيل الذي عودتنا الحياة المدبرة أنشفق عليه وعودته الحياة المقبلة أن يشفق منا....و أسوأ منه نظرا من توهم إنكم لذلك أبعد عن الله من حيث المعاد ، فإنكم اقرب إلى الله من حيث المبدأ ، ولئن كنا نقبل عليه كارهين متسحطين على الموت فأنتم مقبلون من عنده فرحين بالحياة مستبشرين "5

تُرد العلاقات بين الوحدات التي تحتها سطر إلى مبدأ عام هو التّضاد المعنوي الشكلي الحاصل بين اللفظين فيما يخص الطباق ، وكذا التركيبين فيما يخص المقابلة . ينطوي أسلوب الطباق و المقابلة في الخطاب على قيمة جمالية تكمن في خلق نوع من المفاجأة وكسر العادة بأن أتى البشير الإبراهيمي بألفاظ مغايرة ، ينتقل فيها من موقف إلى موقف مضاد . من الذل إلى العز ومن المحدثين إلى القدماء و من الأقوال إلى الأفعال ،

1 عبد الرحمان حنكة الميداني ، البلاغة العربية اسسها و علومها وفنونها ، دار القلم للطباعة و النشردمشق سوريا ط 14 14هـ ج 2 ص 378

2 أمحمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ص 268

3المصدر نفسه ص 269

4 المصدر نفسه ص 267

5 المصدر نفسه ، ص 270

ومن الخير إلى الشر ومن الحسنات إلى السيئات . بحيث تخلق هذه المتناقضات "نوعا من التوتر و النشاط فتكسر رتابة التفكير عند المتلقي وتفتح لديه أفقا جديدة للإيحاء و الخيال يكشف أسلوب الطباق ، و المقابلة عن أوجه الحياة المتناقضة ، و كذا صراع القيم في حياة الشباب من ذل ، و عز وخير وشر ملائكة وشياطين ، سعادة وشقاء .

تعمق لغة الخطاب عند البشير الإبراهيمي شعور المتلقي بالحياة ، و الإحساس بما حوله بما يعرض عليه من مفارقات و متناقضات . أضفى اجتماعها وتوحيدها في خطابه نوعا من التناسب و الانسجام ، حيث يرى برند شلبنر أنّ " الأسس الأسلوبية (التطابق و التّقابل) ترتبط ارتباطا وثيقا بجنسين من الجمال ، وهما الانسجام و الاختلاف ¹"

لقد وسم الطباق خطابات الإبراهيمي بنوع من الإيقاع من خلال الاتفاق بين المتناقضات " يشبه الانتقال من إيقاع إلى إيقاع يضاده تماما وهذا الإيقاع الذي يحققه التوازي بين المعاني يكون أظهر و أعقد في المقابلة منه في الطباق ² ذلك أنّ صور التّناقض في المقابلة مركبة تقتضي تحليلا أعمق مما يقتضيه الطباق .

تعكس المحسنات في خطاب الإبراهيمي موقفا فكريا ، أو حدثا ماديا ، أو انفعالا نفسيا وتلك هي المقاييس الصادقة للقيم الفنية الحقيقية .

I. التناص في خطاب البشير الإبراهيمي :

مفهوم التناص بين الحداثة و التراث :

نشأ مصطلح التناص في كنف الدراسات اللسانية في أول أمره، ثم استوى مفهومه بشكل تام على يد جوليا كرسيفا. بعد أن أولاه العالم الروسي ميخائيل باختين عناية خاصة وقام بتوضيحه في كتابه (فلسفة اللغة)، وقد قصد به: " الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء من نصوص - سابقة عليها ، والذي أفاد منه بعد ذلك العديد من الباحثين" ³ .

¹ برند شلبنز علم اللغة و الدراسات الادبية . منذر عياشي مركز الانماء القومي لبنان دت ص117
² عبد القادر هني نظرية الابداع في النقد العربي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999، ص 254 .
³ محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث و بنياته وإبدالاتها ، دار توبقال المغرب ، ط1 1990/ ص183-185

وقد أنجزت كرسيتيفا دراسات إجرائية وتطبيقية للتناص في كتابها ثورة اللغة الشعرية فهي ترى جوليا أن "كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى"¹.
معنى هذا أن التناص يعتمد اعتمادا كبيرا على تداخل النصوص مع بعضها البعض أو استعانة الكاتب بنصوص أخرى يجعلها متضمنة في نصه. باعتبار أن النص الأدبي ليس نظاما لغويا مغلقا ومستقلا عن البيئة المحيطة وإنما هو سلسلة من الارتدادات والانعكاسات لمعان و دلالات متعددة .

تنبه النقاد العرب القدماء إلى أن معاني الشعر عند بعض الشعراء تشترك مع شعراء آخرين فعدوا ذلك من باب السرقات الأدبية، وقد ورد عن أبي هلال العسكري مصطلحات أخرى تدل على التناص منها: "الاقتباس والتضمين والأخذ والسرقة والسلخ، والمسح"² وغيرها من المصطلحات التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني، وقدامة بن جعفر وابن الأثير وابن رشيق القيرواني .

اعتبر القدماء أن التناص "صناعة موكولة إلى المبدعين ، و النقاد على حد سواء في التعامل مع النصوص و تذوقها وتفكيكها (قراءتها معياريا) لمعرفة "أصناف" و"أقسام" و "رتب" و "منازل" التناص – و"فيها المشترك" و "المتبدل" و "المختص" و"السابق" و "البديع المخترع" و "الكامن" و "الظاهر الجلي" و "الصريح الظاهر" فإنهم- من جانب آخر- قد صنفوا درجاته وجعلوه إما لحظيا يرتبط بثقافة المبدع أصلا من حيث التمثل و الاستيعاب و الاستنساخ أحيانا إلى حد استواء المرسله ، واستواء المعنى وتجاوبها بين السابق و اللاحق ، وإما ضاربا في أعماق عملية الابتداع في صورة ذاكرة أدبية تخضع لديمومة رحيل الأفكار وتوارثها وهجرتها"³.

¹ أحمد الزعبي ، التناص نظرياً وتطبيقياً ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط2/2000ص12

² أبو هلال العسكري،الصناعتين، تح مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط.1984 ص 217-257.

³ بشير القمري ، شعرية النص الروائي ،قراءة تناصية في كتاب التجليات ، شركة البيادر للنشر و التوزيع أكدال الرباط ، ط1/ 1991 ،ص68-69

يشكل التناص إذا المعين الذي لا ينضب بالنسبة إلى الكتاب و المبدعين ؛ فهو بمثابة " الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له دونها ولا عيشة له ؛ ولذلك لا يمكن لأي شاعر أن يعيش بمعزل عن خارجها " ¹ .

ويشير عبدالله الغدامي إلى التناص بقوله: " وعلى ذلك فإن النص يقوم كرابطة ثقافية، ينبثق من كل النصوص، ويتضمن ما لا يحصى من النصوص، والعلاقة بينه وبين القارئ هي علاقة وجود؛ لأن تفسير القارئ للنص هو ما يمنح النص خاصيته الفنية " ² . يسهم المقروء الثقافي لأي كاتب في تشكيل نصه الجديد؛ لأن العمل الفني لا يكون ابتداء ، وإنما هو رواسب من أعمال أخرى، تشكل مرجعيات النص الجديد يستحضرها الكاتب ويستوحىها بطرق متعددة، ولجوء الكاتب إلى هذا الفعل دليل على وعيه بما يضمن في إبداعه خطابه ، بحيث يشكل هذا التضمين وجها من أوجه التفاعل بين الماضي والحاضر،

يظل التناص مفهوما "مفتوحا لاجتهادات واسعة، وهو يستقطب أمور ومنطلقات مختلفة لفهم دينامية المجتمع ، و الثقافة والأدب وسائر الصناعات ، وفهم أنظمتها المتلاحمة" ³ .

وعليه فإن كل نص ما هو إلا امتصاص، و تحويل وإعادة صياغة لنصوص سابقة.

1- أشكال التناص في خطاب البشير إبراهيمي :

يُكثّف البشير إبراهيمي من تنوع مرجعياته " دينية وأدبية وتاريخية"... فيكسر خطيتها ويعيد تشكيلها من جديد في الخطاب ، و من أشكال التناص الواردة في متن المدونة التوجيهية الابراهيمية نذكر :

أ- التناص الديني في الخطاب التوجيهي عند البشير إبراهيمي:

سعى الأدباء منذ أقدم العصور إلى استلهاهم النصوص الدينية، وتوظيفها في إبداعهم ، وأن يعطوا لهذا التوظيف بعدا جماليا متميزا ، وكأنهم يريدون أن يجعلوا

¹ محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري ص 125

² الغدامي، عبدالله. الخطبة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي جده، ط1 1985 م ، ص 57 .

³ - بشير القمري ، شعرية النص الروائي ، ص 68

كتاباتهم تتسامى لتقترب من قداسة هذه النصوص ، حيث يعمد المبدع إلى استحضار بعض المعاني والقصص الدينية ، وجعلها في سياق نصه الإبداعي ، بغية إضافة رؤية فكرية للموضوع الذي يريده ، مما يزيد النص ثراء وقوة وترابطاً ، ويعزز الفكرة التي يطرحها ضمن سياق خطابه ، ومعتقداته وأراءه الفكرية والفني ، و ما أكثر ما نجد عند البشير الابراهيمي من آثار ذلك "لا يتكلفه و لا يتصيد ، و لكنّه ينثال عليه ، و يجري مع قلمه ، فلا تحس بشيء من جفوة و لا بشيء من قلق ، و إنّما ينزل الكلام منساباً في نحو منزله الذي كان انتبس منه أو استنار به " ¹ .

للقرآن الكريم حضور بارز في خطابات البشير الإبراهيمي ، فقد استلهم عدداً من الإيحاءات التي عبر فيها عن تجاربه ومعتقداته الذاتية، ولا شك أن آيات القرآن الكريم بأسلوبها الراقى قد وهبت خطابه الكثير من التألق، وجعلتها ثرية ومتجددة.

وأمثلة هذا النوع من التناص مبنوثة في مواضع متعددة في خطاب الإبراهيمي منها قوله: "يا قومنا ، أجيئوا داعي الله ، ولا تجيبوا داعي الشيطان ، يا قومنا إنّ أصول هذه المنكرات مفسدة للعقيدة ، وإنّ فروعها مفسدة للعقل والمال ، وإنّكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك ، يا قومنا إنّكم تنفقون هذه الأموال في حرام ، وإنّ الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها ، لأنّها مما أهل به لغير الله ، فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان ، لا مفتي القرآن" ²..

نلاحظ أنّ الجملة الأولى " يا قومنا ، أجيئوا داعي الله " تناص مع قوله تعالى في سورة الأحقاف « يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » (٣١). وظف الكاتب نص الآية دون تحوير فالقارئ يستوعب منذ القراءة الأولى هذا التناص الشفاف ، حيث ينتقل البشير الإبراهيمي مباشرة إلى نص الآية الكريمة ، التي تمثل بنية في النص الحاضر، وظفها عن طريق الاقتباس فهي تمثل امتداداً ومفتاحاً للتشابه الدلالي بين النص القرآني من جهة ، والخطاب التوجيهي من جهة أخرى.

¹ - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأفلام معاصريه دار الأمة برج الكيفان الجزائر ط/2، 2012 ص 201

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص322.

يتضمن معنى الآية دعوة من الجن الذين اهتدوا و آمنوا بالله ، و رسوله بعد أن صرفهم الله بقدرته للاستماع للقرآن الكريم ، فولوا إلى أهلهم يدعونهم للإيمان بهذا الكتاب الـ " موصل إلى الله و إلى جنته ... فلما مدحوا القرآن و بينوا محله دعوهم إلى الإيمان به فقالوا يا قومنا أجيئوا داعي الله أي الذي لا يدع إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه و لا هوى و إنما يدعوكم إلى ربكم ليثيبكم و يزيل عنكم كل شر و مكروه " ¹ فاستحضر الكاتب للآية الكريمة دعوة صريحة منه لقومه في العمالة الوهرانية ، و منهم لكل جزائري اتبع البدع والخرافات التي نشرها الاستعمار بينهم ، كتمجيد الأولياء ، و الدعوة إلى إقامة الولائم على أضرحتهم ، ليشغلهم عن كنه دينهم و قضيتهم ، ليجرد البشير الإبراهيمي من نفسه داعيا إلى الله غير ساع إلى مصلحة خاصة ، إنما هو حريص على هداية قومه ، و كشف الغطاء عن أعراس الشيطان ، فكان بذلك مثل "نفر الجن" ، فتوظيف الإبراهيمي للآية زاد من بلاغة و تأكيد القصد الذي يصبو إليه .

و يقول أيضا : "أما الباحثون في أحوال المسلمين من المسلمين فهم ينقسمون إلى فريقين – بعد اتفاقهم على أن الجسم الإسلامي مريض وأن مرضه عضال – فريق منهم هدي إلى الحق فعرف أن الجسم الإسلامي لا مطمع في شفاؤه إلا إذا عولج بالأسفية القديمة التي صح بها جسم سلفه ، و غذي بالأغذية الصالحة التي قوي عليها سلفه، وذلك أنه أقام الدين فاستقامت له الدنيا ، وانقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة (سورة مريم الآية 12)، فمشى على نوره إلى السعادة في الدارين ، وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز وسلطان ، وعدل وإحسان ، وأن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها " فاطر 35 " ولا نهاية ، واطمئنان لا خوف معه ولا كدر في أثائه ، ورضوان من الله أكبر (سورة التوبة الآية 72)"².

¹- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة زاد للنشر و التوزيع ط1 2012 ص 821

²- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4.ص310.

يمضي البشير الإبراهيمي في درب التوجيه ، متسلحا بذخيرة لا تنفذ ، و لا يرد تأثيرها إنه كتاب الله الذي أعجز أفصح العرب ، فما ترى من قوة سبك ، و سلاسة تعبير تعلقو قسمات خطاباته إلا لأنه متشبع بلغة هذا الكتاب .

يشخص الإبراهيمي حال الباحثين في الأمة الإسلامية من المسلمين فيجعلهم فريقين فريق منهم عرف طريق الحق و وصل إلى تشخيص داء المسلمين فرأى أن لا شفاء منه إلا بما صح به جسم سلفه ، و ذلك بإقامة الدين و الانقياد إلى الله و "أخذ كتاب الله بقوة " بحيث تكشف هذه البنية عن تناسل مع قوله تعالى في سورة مريم «يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَاتِهِ الْحَكَمَ صَبِيًّا ١٢» إن هذا التناسل يمنح قول الإبراهيمي بعدا دلاليا يخرج به من مجرد الإخبار إلى الأمر فهو إذ يصف الدواء إنما يأمر بأخذه ، ذلك أن الأخذ بكتاب الله يصل صاحبه إلى سعادة الدارين ، فيرشده إلى أن سعادة الدنيا هي عدل ، و إحسان و " أن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها " ثمة إشارة تناصية كامنة أخرى في هذه الجملة مع الآية 35 من سورة فاطر «الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥ » أي "لا تعب في الأبدان و لا في القلب و لا في القوى " ¹ ، بحيث أضفى هذا التناسل تأكيدا لخطاب الإبراهيمي المتضمن دعوة إلى التمسك بكتاب الله ، و تعاليمه ، و تلك موعدة وعدها الله عباده الصالحين و "رضوان من الله أكبر " تناسل واضح شفاف مع الآية 72 من سورة التوبة «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٢» أي "رضوان من الله يحله على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من نعيم ، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم و رضوانه عليه و لأنه الغاية التي أمها العابدون ، و النهاية التي سعى نحوها المحبون " ²

1- عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 714

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي المرجع نفسه ، ص 341

فمن سورة مريم إلى سورة فاطر إلى سورة التوبة ، مواضع مختلفة ذات معان متكاملة تُنبئ عن قدرة فائقة على استدعاء بنيات غائبة من الخطاب القرآني ، لتشكل خطاباً منسجماً متناغماً من أوله إلى آخره ، بحيث تأخذ أجزاء الكتابة عند الإبراهيمي بأعناق بعضها البعض ، ففي سياق " الأداء الأسلوبي اللافت عند الإبراهيمي إنجازاً وحمولة ، تتأكد علامة تميز الإبراهيمي باكتناز كتاباته بمظاهر و آليات كثيرة مما يندرج في إطار التناسل المستمد من مصادر كثيرة شكلت -أساساً - مقروئته كالقرءان و الحديث الشريف ، و الشعر العربي و الأمثال و الحكم ، و غير ذلك من الاستبصار المتنوعة للفكر الانساني " ¹

و من نماذج استدعاء النص القرآني ، والتناص مع معانيه ما جاء في قوله : "يا قادة الأحزاب ! إنّ في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تورث العداوة الحزبية بين الإخوة بحجة المحافظة على المبدأ ، فانذبوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف ، وادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة ، وإنّ في صفوفكم دسائس مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع ، و الكراسي ، ولهم مقاصد في الإفساد ، وإنكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول " ، فأخرجوهم من الصفوف ، ولا تسمعوا لهم كلمه ، ولا تطيعوا لهم رأيا ، وإنّ إخراجهم لا ينقص عدداً ولا يقطع مدداً ، بل يقطع دابر الفساد " من صفوفكم ويستأصل مادة الضعف من أتباعكم " ². بحيث تتناص جملة "وإنكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول مع قوله تعالى في سورة محمد «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ٣٠» أي " بعلاماتهم التي هي كالرسم في وجوههم " و لتعرفنهم في لحن القول " أي لا بد أن يظهر ما في قلوبهم ، و يتبين في فلتات ألسنتهم ، فإنّ الألسن مغارف القلوب ، يظهر فيها ما في القلوب من الخير و الشر " ³ مع تحوير بسيط هو نقل القول من صيغة الأفراد إلى صيغة الجمع ليتناسب مع دعوته جموع الأحزاب

¹- محمد بن قاسم ناصر بو حجام ،السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ص 158

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص302.

³- ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان ، ص 827

السياسية إلى رص الصفوف ، و نبذ حظ النفس و تقديم حظ الوطن ، و المصلحة العامة حتى لا يكون لأعداء الوطن من مستعمرين و دسائسين الذين امتهنوا السياسة لتحقيق مآربهم الشخصية ، و إفساد ذات البين ، و ذلك ظاهر في سيماتهم و دعواتهم للفرقة ، فاتحدهم " يقطع دابر الفساد " و تلك جملة استوحاها البشير الإبراهيمي من قوله تعالى في سورة الأنعام « فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٥ » بمعنى "تقطعت بهم الأسباب " مع تغيير في بنية المتناس بجعل الدابر مضافا للفساد بعدما كان مضافا في الخطاب القرآني للقوم الظالمين ، وذلك للتدليل على ضرورة اجتثاث أسباب الفرقة بين الأحزاب السياسية ، ليتماهى بذلك الخطاب القرآني في جسد الخطاب البشيري حتى لكأنه بنية واحدة متراسة مما منحه قوة و جمالا .

كما عمد الكاتب إلى توظيف الأحاديث النبوية، وهي أحاديث تفيض دلالة وإيحاء توظيفا فنيا. وهذا ما يدل على تمثل الكاتب للمدونة الحديثية تمثلا جعلها جزءا من ذاته الإبداعية ، وأكسبه مرونة للتصرف في دوالها ومدلولاتها بحسب ما تقتضيه سياقات خطاباته يقول " أ فكلما رث حبل الاستعمار ، وتصدع جداره ، وأشرف على الفناء في حربين ماضيتين ، جاءت أمريكا حاضنة الديمقراطية ، تكفكف دموعه وتنظم جموعه ، وترمم جداره ، وتعمر بالدولار داره ؟

إن الأمم الضعيفة قد لدغت من جحر واحد مرتين ، فاحذروا الثالثة ، وقد أصبحت هذه الأمم تلقب أمريكا بلقب لا يشرفها ، وهو أنها (نصيرة الاستعمار)¹

يتناص قول الإبراهيمي " قد لدغت من جحر واحد مرتين " مع الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين " المثل للنبي صلى الله عليه و سلم ، قال بن سلام كان ابو عزة شاعرا مملقا ذا عيال فأسر يوم بدر كافرا ، فقال يا رسول الله ، إني ذو عيال و حاجة عرفتها فامنن علي ، فقال ألا تعين علي ، يريد بشعره ، فعاهده فأطلقه ، فقال

ألا أبلغا عني النبي محمدا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَ الْمَلِكُ حَمِيدٌ

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 373.

و أنت امرؤ تدعو إلى الحق و الهدى عليك من الله الكريم شهيد
فلما كان يوم أحد ، دعاه صفوان بن أمية بن خلف الجمحي و هو سيدهم إلى الخروج ،
فقال إن محمدا قد منّ عليّ و عاهدته ألا أعين عليه فلم يزل به ، و كان محتاجا فأطعمه
...فخرج فسار في بني كنانة فحرضهم ، فقال :

أي بني عبد مناف الرّزّاء أنتم حماة وأبؤكم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل اسلام
قال :فأسير يوم أحد فقال : يا رسول الله ، من علي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا
يلسع المؤمن من حجر مرتين، لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمد مرتين
وقتلته. وقيل : إنه أسر حين خرج إلى حمراء الأسد¹.

ففي الحديث دعوة إلى الفطنة ، و الحزم مع تحوير في الصياغة بحيث ورد ههنا في
نص الإبراهيمي بصيغة الإثبات بينما ورد عن المصطفى صلى الله عليه و سلم بصيغة
النهي ، مما يعني أنّ الأمة قد أتت ما نهيت عنه ، و لم تتق مصارع الشر .
و يقول أيضا " وإلى هؤلاء المتقاعسين عن البذل ، المتصاممين عن العذل ، نرسلها
صيحة إنذار ، ليس معها إغذار ، ونقول لهم :إن كل ما يصيب هذه الحركة المباركة من
شلل ، أو يعتريها من خلل ، فأنتم المسؤولون عنه عند الله وعند الناس ،فلتنفقوا مما جعلكم
الله مستخلفين فيه ، ولتعلموا أن كل ما تنفقونه في هذا السبيل يعلي ذكركم ، ويزكي
أموالكم ، ويعود عليكم وعلى أمتكم بالنفع ، وإن قبض الأيدي عن الإعانة مسبة ، وسوء
مغبة ، وأن مقادير الأموال هي أقدار الرجال ، و "أن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا
من قال هاء و هاء " كما جاء في الحديث الصحيح "².

في الخطاب تناص مع الحديث النبوي الذي رواه أبو ذر الغفاري قال : " كنت أمشي مع
النبي صلى الله عليه و سلم في حرة المدينة عشاء و نحن ننظر إلى أحد فقال لي رسول الله
صلى الله عليه و سلم يا أبا ذر قال قلت لبيك رسول الله قال ما أحب أنّ أحدا ذاك عندي
ذهب ، أمسى ثالثةً عندي منه دينارٌ .إلا ديناراً أرصدهُ لدينٍ إلا أن أقولَ به في عبادِ الله

¹- ابو هلال العسكري جمهرة أمثال العرب دار الكتب العلمية بيروت ط1/1988 ص 302/303

²- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3ص215.

هكذا > حنَّاً بين يديه > و هكذا > عن يمينه > و هكذا > عن شماله > قال ثمَّ مشيناً فقال : " يا أبا ذرٍّ " قال قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ يوم القيامة إلا من قال هكذا و هكذا و هكذا مثل ما صنع في المرة الأولى" ¹ و قد روى ابو ذر الغفاري الحديث بلفظ آخر سنكتفي ههنا بذكر الجزء الذي ضمنه الإبراهيمي نصه و هو قوله : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إِنَّ الْمُكْثَرِينَ هُمْ الْمُقْلُونَ يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً ، فَتَفَحَّ فِيهِ يَمِينُهُ وَ شِمَالُهُ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ وَرَاءَهُ ، و عمل فيه خيراً " ² فالمراد بالخير الأول المال ... و المراد بالخير الثاني طاعة الله و المراد بيمينه و شماله ... جميع وجوه المكارم و الخير ³ و المقصود بقوله "الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة " أن أكثر أهل الدنيا من ذوي الأموال و الثراء هم أقل منزلة و درجة يوم القيامة إلا من أنفق في سبيل الله لقد وظف الإبراهيمي نص الحديث ليكون شاهداً و دليلاً قاطعاً على اعتبار الممسكين عن التصدق هم أقل درجة عند الله يوم القيامة و أن أموالهم التي يمسونها سيلجمون بها يوم القيامة .

يتعامل البشير الإبراهيمي مع الخطاب الديني لأهداف بنائية فنية من جهة و معرفية دلالية من جهة أخرى. فكان امتزاج النص الديني بخطاباته التوجيهية أمراً طبيعياً محيلاً على الأطر الثقافية التي شكلت شخصيته الإبداعية ، و المناهل التي استقى منها مادته، كما سعى الكاتب من خلال النص الديني إلى إنتاج الدلالة التي يهدف إليها ، والتي يقصر النص الحاضر عن الإيفاء بها لوحدها دون الاستئناس بالنص الديني، فالنص الديني يلهم الذاكرة و يحمل القارئ إلى المراوحة بين النصوص.

ب- التناسل الأدبي في خطاب البشير الإبراهيمي:

من أنماط التناسل في الخطاب التوجيهي استقاء الكاتب لبعض النصوص الشعرية و النثرية القديمة و الحديثة المحايثة لنصه ليحاورها، ففي خطاب المعنون بفصل الدين عن

¹- أبو الحسن مسلم ابن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار طيبة للنشر و التوزيع ط1/2006 ، ص442

²المرجع نفسه ، ص 443

النووي المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، دط/دت ، ص

الدولة استعارة صريحة لجنس الشعر مع الإشارة إليه بقرينة مرجعية تحيل على انتسابه الخطابى، يقول البشير الإبراهيمي : "وكان حزب الحق هو المغلوب ، ومن هذا ولهذا وضع التقرير العاصمي ، وكأنه مقدمة لكتاب ، أو طليعة لكتائب ، ومن هذا ولهذا رأى الناس مفتي الجامع الحنفي مترددا دائما على مقر المجلس ، متصلا بأعضائه مداخل لهم ، متطارحا عليهم ، متملقا إياهم ، لا يفارق أحدهم إلا ليتصل بآخر . كأنه المعني بقول القائل : لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا ، وكأنه آنس منهم صاغية ، فهدد في بعض ما كتب بأن (سعيه سوف يرى)...."1.

في الخطاب تناص مع قول الشاعر ابي دواد الإيادي:

زَمْوا بليلى جمال الحيِّ فأنجذبوا لم ينظروا باحتمال الحيِّ إشراقا
يحثُّهم نطسٌ ذو نَجْدَةٍ شرسٍ أوصى ليُزعجهم بالطَّعن سَوْقا
أنى أحلَّ له حرباءٌ تنضبة لا يرسل السَّاقَ إلا ممسكا ساقاً²

يضرب مثلا للرجل الحازم لا يترك شيئا إلا إذا تعلق بآخر ، و قد وُظف ههنا قصد السخرية من العاصمي و أشكاله ممن يجتهد ، و يجهد نفسه في خدمة فرنسا و حكومتها بالجزائر .

برزت قدرة البشير الإبراهيمي في توظيف الخطاب الشعري توظيفا فنيا ، متناغما مع نسيج بنائه اللغوي ، واستثمار ما فيه من طاقات إيحائية ، وإشارات غنية واضحة تعبّر عن مقاصده ، يقول " أعمال عرب فلسطين مقدمة فأين الكتاب ؟ و طليعة فأين الكتائب ؟ و واجب فأين م لا يتم الواجب إلا به ؟

ما على عرب فلسطين – بعد ذلك – من سبيل ، إنما السبيل على العرب في مشارق الأرض ومغاربها ، حكومات وقادة وشعوبا رجالا ونساء ، وليست القضية قضية جماعة أو حكومة أو قطر ، وإنما هي مسألة العرب جميعا ، لا يستبرئون لعهد العروبة وأمانتها إلا بالقيام بها جميعا . ثم هي – بعد – قضية استعمار أحول ، رجله في فلسطين وعينه

1-المصدر نفسه ج3ص110.

2 جمهرة أمثال العرب ص 303

على العراق والخليج وأعالي اليمن ، وعينه الأخرى على مصر ، فإذا لم يبادر العرب بالاصطلام ، بادرهم بالالتهام :

هما خطتنا : إما إسارٌ ومنه وإما دمٌ، والموت بالحر أجدر"¹.

يمثل البيت الشعري بنية في النصّ الحاضر ، وظفها البشير الإبراهيمي عن طريق الاقتباس التضمين لتمثل بذلك امتدادا و مفتاحا للتشابه الدلالي بين النصين ، فالبيت للشاعر ثابت بن جابر المعروف بتأبط شرا يعني أن ليس له " إلا خصلتين اثنتين على زعمكم : إما استئسار و التزام منّكم إن رأيتم العفو ، و إما قتل و هو بالحر أجدر من التعرض لما يحزنه و يكسبه الذل فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما بقوله هما خطتا و قد تلتهما بخطة أخرى ذكرها فيما بعد ، و في هذا الكلام تهكم و هزء و قوله " و القتل بالحر أجدر " يسمى اعتراضا لوقوعة بين ما عدّه من الخصال "² ، فقد أراد الكاتب القول أن العرب إذا لم يبادروا إلى الحرب على عدوهم - و هذا هو الأجدر بهم - بادرهم عدوهم فلم يبق منهم ، و لم يذرف، قد أدى هذا التفاعل بين النصين إلى تفجير دلالات جديدة ساهمت في إحداث التأثير المطلوب في المتلقى .

استطاع البشير الإبراهيمي بجسارة ، و اقتدار أن يخلق نصا متناغما ، يجمع بين ثلاث بنيات لغوية غائبة دون أن يستشعر القارئ تصدعا ، و تنافرا بينها ، وهي تلتحم في سياق الخطاب المنتج يقول داعيا أهل مصر : " عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تنكسر عليها أمواج الباطل مما كنت ، و أرسخ قواعد مما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت و أنت .

أقدمت فصممي ... وبدأت فتممي... وحذار من التراجع ، فإن اسمه الصحيح "الهزيمة" ، وحذار من التردد فإنه سوس العزيمةإن قلبي يحدثني حديثاً كأنما استقاه من عين اليقين ، وهو أنك فائز منتصرة ظافرة في هذه المعركة ، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه ، وهو الإرادة ، يحدوها التصميم ، يمدهما الإيمان بالحق ،

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3ص454.

² - المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2002/1 ص 61-62

يربط ثلاثتهما الإجماع على الحقصممي ، أقدمي ، ولا يخذعك وعد ، ولا يزعجك وعيد ، ولا تلهيتك المفاوضات والمخابرات، فكلها تضيق للوقت ، وإطالة للذل ، ولقد جربت ولدغت من جحر واحد مرارا !

إن الخصوم – كما علمت- لئام ، فاقطعي عنهم الماء والطعام ، وإن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع ، فحركي في وجوههم تلك القوى الكامنة في بنيك يرتدعوا .صممي وقولي للمتعاقلين الذين يعذلونك على الإقدام : "إن أضيع شيء ما تقول العواذل"¹.

إن القراءة المتأنية للخطاب ، تبين بوضوح ازدحام الفضاء التناصي بنصوص غائبة تنبني على علاقات التآلف و التّعالق، منها عبارة " عين اليقين " ، و هي تناص مع قوله تعالى في سورة التكاثر "ثم لترونها عين اليقين "أي رؤية بصرية، أراد الكاتب من خلالها التأكيد أن مصر ستنتصر على عدوها ، لأنها قد وجدت ما كان يعوزها لذلك ، إنها الإرادة التي إن تشبثت بها كان انتصارها رأي العين .

كما يحوي القول تناسبا حواريا مستقى من متن الحديث الشريف تجلى في قوله " ولقد جربت ولدغت من جحر واحد مرارا "إنه تناص مع قوله صلى الله عليه وسلم " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين " ، مع تحوير نقل النص من صيغة النفي إلى صيغة الإثبات و استبدال لفظ " مرتين " بلفظ " مرارا " ، و لعل الإبراهيمي يشير من طرف خفي إلى أن مصر قد اكتسبت خبرة تمنعها من أن تثق مجددا بهذا الكيان الغاصب المتحلي بصفات الذئب .

كما استعان البشير الإبراهيمي بالشعر في تشكيل بنية النص وتوظيف دلالاته وطاقته الإيحائية ، بما يؤدي إلى إقناع المتلقي " مصر " بأن لا ضير من أصوات تعالت لصدها عن الإقدام على فك حريتها من يد المستعمر الانجليزي ، هذا ما جسده التناص مع قول المعري :

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 497.

إذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيء ما تقول العواذل¹ "

ليهن من قول العواذل و أعداء مصر ، و أنّ ذلك أهون من أن يضعف عزيمة هذا الشعب القوي بإصراره ، و إيمانه .

ويقول أيضا : " أما الحقّ الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسمة من اللّوح ، فهو ما قام به عرب فلسطين الأبطال الذين كشفوا عن صواب الرأي القناع ، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع ، ونبذوا التردد ، و أخذوا بالمغافصة ، ومحووا بالسيف ما قال ابن دارة ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه ، و"تأسوا ففسوا للكرام التآسيا " ، وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام ، وهذا هو الواجب شرعه عرب فلسطين لجميع العرب "².

يريد الإبراهيمي من استحضار شطر البيت " ومحووا بالسيف ما قال ابن دارة " التأكيد على أنّ عرب فلسطين قد محوا بفتحهم أبواب الشّهادة في سبيل الوطن كل ما اقتترفه العرب حين تشنت سبلهم ، و وهن سعيهم في استرجاعها ...
كما أن القول يتضمن تناسا آخر مع بيت سليمان بن قتة :

و إنّ الأولى بالطف من آل هاشم* تأسوا ففسوا للكرام التآسيا³.

جاء به البشير الإبراهيمي ليعضد معنى التّناس الأول وقصده من ذلك أن عرب فلسطين قد سنوا النهج القويم و الأمثل بمحاربتهم للكيان الصهيوني .

و يقول أيضا : "لم نر من فرنسا الاستعمارية إلا الهضم لديننا ، والمحو للغتنا ومقوماتنا ، والزراية بجنسيتنا ، والمن علينا بما لم نذق طعمه ولم نرح رائحته ، والاستكبار في الأرض بغير الحق ، والنكران لفضلنا عليها في الأزمات ، أفلا يعذرنا العقلاء إذا أنكرنا كل فضيلة تنسّم بها ، أو يسمها المفتونون بمدّينتها ، المسبحون بحمدها :
والنّاس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان "⁴.

1 - أبو العلاء المعري ، سقط الزند دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ط/دت ص193.

2- محمد البشير ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص454.

3- أبو تمام ، ديوان الحماسة ، منشورات دار الكب العالمية بيروت لبنان ط1/2002 ص80

4- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص370-371.

يتماهى البيت الشعري للغفالي - و الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً¹ - مع الخطاب الإبراهيمي في تناغم ، تكاد تجزم بعده أن النصين من مشكاة واحدة ، و قد عمد إلى توظيف هذا البيت تأكيداً منه أنه لن يمدح فرنسا و لن يدين لها بالولاء لأنها لا تملك من أثر الإحسان شيئاً .

و يقول في شأن الباحثين الغربيين "و الباحث الأجنبي معذور إذا تحير ، وقد يخفف عنه ألم الحيرة ابتهاجه بهذا السقوط ، وان بحثه عن الداء ليس بقصد الدواء ، فقد عودنا كثير من هؤلاء الباحثين الأجانب أنهم لا يبحثون لذات البحث ولا يدرسون هذه المواضيع لوجه التاريخ الخالص ، فضلا عن أن نجد عندهم ما يطلب من العالم المخلص ، وهو أن يرمي ببحثه وإعلان نتائج بحثه إلى تنبيه الضال ليهتدي والمريض ليسعى في الاستشفاء و الساقط ليأخذ بأسباب الصعود و النهوض ، وإفهامه أن الأيام دول وأن من سار على الدرب وصل ، بل نرى أكثرهم يعتمد إضلالنا في تعليل الأشياء ، كي لا يقف المريض على حقيقة دائه فيغفل مغترا ، أ يعالج داءه بداء أضر ، أو يضع الدواء في غير موضعه ، وقد نرى منهم من ينتهي من بحثه بنتيجة وهو أن سبب انحطاط المسلمين هو الإسلام نفسه وأن من يستطع لدائه بإشارة عدوه لحقيق بأن يسمع مثل هذه النصيحة ..."²

يتناص قول الإبراهيمي مع عجز بيت الشعر لابن الوردي في لاميته و هو

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل³

مع تحوير في صيغته من الإثبات إلى النفي ، حيث نفى الإبراهيمي عن المستشرقين بأنهم لا يبتغون من وراء بحوثهم الإصلاح في الأرض ، أو حث الأمة العربية على السير في طلب هدف ما ، و في هذا النفي إثبات لغيره أي أنهم يعملون على تثبيط العزائم و قتل الهمم .

¹ -الراغب الأصبهاني ، محاضرات الأدباء و محاوراة الشعراء و البلغاء ، تحقيق إبراهيم زيدان مكتبة الهلال ط/1902 ج1 ص 460

² -المصدر نفسه ج4 ص 309-310.

³ - عبد العزيز علي الحربي ، تفاصيل الجمل " شرح لامية ابن الوردي ، دار ابن حزم ط/2012 ص 37

يتشرب الخطاب التوجيهي الإبراهيمي نصوص الشعر العربي قديمها ، وحديثها لما تحمله من دلالات متجددة في كل عصر ، فأغلب الأبيات المتناصّة مع متن الخطاب التوجيهي لدى الإبراهيمي هي أبيات ارتبطت بوجودان الناس ، وشكلت لديهم إطارا حكيما مما يكسب خطابه قوة وتأكيذا ، الأمر الذي يمكن له عند المتلقي أيما تمكين.

ج- التناص التاريخي في خطاب البشير الإبراهيمي:

يتمثل هذا النوع من التناص في تداخل نصوص تاريخية، منتقاة من النص الأصلي مؤدية غرضا فنيا ، أو فكريا أو كلاهما معا ¹ ، فقد استلهم البشير الإبراهيمي في ثنايا خطابه التوجيهي أحداثا ، و شخصيات تاريخية ليمد مخاطبه بالقوة العاملة على النهوض ، والتجديد والمواجهة والتّصدي في آن معا .

يقول البشير الإبراهيمي : " كذبتكم المخيلة أيها الأقوياء !... إن العرب إذا سيموا الحيف حكموا السيف ، وإنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر ، في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر . وإنّ الزّمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقبة ، أخذ الأرض لفرس سُرّاقة ، وإنّ التّاريخ سيعصب بكم عارها وشنارها ، وسيئاتها وأوزارها " ².

في رجوع إلى ثنايا التاريخ الإسلامي يستحضر الإبراهيمي قصة فرس سرّاقة ، التي كادت تبتلعها الأرض حين أراد سرّاقة أن يفتك بمحمد عليه الصلاة والسلام ، و صاحبه أبي بكر الصديق و هما في طريق الهجرة إلى المدينة - فيرجع بهما أسيرين إلى قريش لقاء فدية .

ينطوي هذا الاستحضار على أمرين مختلفين ، فأما أحدهما فوعيد لليهود أنّ الأرض ستأخذ بهم لظلمهم و استعلائهم في الأرض ، و تلك حقيقة تؤكد لها سنن الحياة ، و ذلك لا يتم طبعاً إلا بشرط ألا و هو قوة إيمان المسلمين ، و أخذهم بالأسباب ، و ذلك هو الأمر الثاني الذي يمثل دعوة من الإبراهيمي للمسلمين للاقتداء برسولهم و صاحبه حين أخذوا

¹ - أحمد الزعبي :التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط2 2000 ص 171

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص444

بالأسباب و توكلنا على الله فنصرهما على عدوهما ، و تلك بشارة منه إليهم أنهم إذا ما صنعوا ذلك فالنصر أكيد .

هكذا يتعالق الماضي بقوته الروحية مع الحاضر في تناغم رائع في ثنايا الخطاب التوجيهي لدى البشير الابراهيمي ، ليعيد بعث الحياة على أسس سليمة .

و يقول أيضا : " وأحييكم باسم الجزائر العربية المسلمة المجاهدة الصابرة ، التي هي غصن فينان من دوحة الإسلام ، وفرع ريان من شجرة العروبة ، وزهرة فواحة من رياض الشرق (تصفيق حاد) ، تغرّبت هذه الزهرة كما تغرّبت قبلها نخلة عبد الرحمان الداخل ، فلم تشنها غربة ، ومازالت متصلة بالشرق العربي ، تستمد منه القوة والفتوة ، ومازالت متصلة بالشرق الإسلامي ، تستصبح بأنواره ، وتتغنى بأمجاده ، وتعيش على ذكرياته ، وهي على صلة بالشرق متينة ، كانت ومازالت متمسكة بحبله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (تصفيق) ، وما زالت قائمة على غرس عقبة و المهاجر وحسان بن شريك ، بالتعهد والحفظ ، وما زالت ناطقة بلسان هلال بن عامر بن صعصعة منذ طغت موجة أبنائه عليها ... تلك الموجة التي يسميها المؤرخ المجحف إغارة على الأوطان ، وتخريبا للعمران ، ويسميها المؤرخ المنصف إنارة للأذهان وتعريبا للسان ، فحيثما حل هلال من سهولها حلت العروبة ، وأينما سار ، سار في ركابه البيان العربي الذي من بقاياه ما تسمعون "1.

يسترجع الإبراهيمي ههنا شخصيات تاريخية جعلت من المغرب العربي عامة ، و الأوسط منه خاصة بلدا يدين بالإسلام ، فعقبة بن نافع الفهري أول الفاتحين لبلاد المغرب "تونس" سنة 50 للهجرة"2 ، و اقتفى أثره ابو المهاجر دينار السياسي المحنك ، الذي فتح المغرب الاوسط "الجزائر" سنة 59 هـ"3.

ويذكر بني هلال وهم من أشهر قبائل عامر بن صعصعة ، و هي قبيلة عربية هوازنية قيسية مضرية عدنانية، أصلهم يعود إلى وسط نجد حيث كانوا

1 - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ج2 ص465.

2 - عبد الرحمن بن محمد الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط2/1965، ص

يعيشون في بادئ الأمر ، و هاجروا بعد ذلك من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا ، بايعاز من الفاطميين في القرن الحادي عشر الميلادي القرن "الخامس الهجري" ، فاجتاحوا بلاد المغرب ، وغيروا معالمها الاجتماعية ، ومنهم الشخصية شبه الأسطورية " أبو زيد الهلالي" بطل الملاحم الشعبية الشهيرة .

ينطوي هذا الذكر على هدف أساسي هو إثبات انتساب الجزائر إلى الأمة العربية دينا و لغة ، و أنها ما تزال قائمة على ذلك ، صامدة في وجه المحاولات الاستعمارية لجعلها فرنسية مسيحية ، و أن شعبا صمد ، و حافظ على لغته أمام أكبر قوة استعمارية لجدير بأن ينتسب الإسلام و لغة كتابه .

و يقول أيضا: " وأما هيئة " فرنسا – الإسلام – التي ذكرت " الزهرة" أن العقبي مبعوث من طرفها فإننا لا نعرفها ، ولا نؤمن بها ، فإن كانت موجودة فهي لشر الإسلام لا لخيرها ، وللأضرار به لا لنفعه ، وإننا نعتقد أن فرنسا أكبر عدو للإسلام ، هل يأتي من العدو الخير ؟

إن هذه الهيئة – التي لم نتبين إلى الآن حقيقتها – "تدجيلة" جديدة لم يخل زمن من أشباهها ، ابتكرها بعض المستشرقين الذين يجعلون الاستشراق ذريعة لاستهواء المفتونين من الشرقيين ، ويغطون لهم به ضراوة الحجاج ، بطراوة "الحلاج" ، ويبكون لهم على ليالهم ، وهم الذين قتلوها ¹.

يكتنف الخطاب شخصيتين متناقضتين من حيث الطباع ، الحجاج بضراوته ، و الحلاج بليته ، استخدمهما إبراهيمي ليكشف التناقض بين خبث المستور ، و جمال المعلن من ضمير المستشرقين الذين اتخذوا الاستشراق وسيلة لإغواء العرب و تضليلهم ، أما الشخصية الثالثة الحاضرة في النص فهي رمز الحب العذري ليلي التي مثلت ههنا كل طاهر نقي في الأمة العربية الإسلامية، يعمل هؤلاء على قتله .

ويقول مخاطبا فلسطين "يا فلسطين ! إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء و التراب ، والمآرب التي يقضيها الشباب ، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين ، وأن فيك

¹- محمد البشير إبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ج 2 ص 340.

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، وإنّك كنت نهاية المرحلة الأرضية ، وبداية المرحلة السماوية ، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء و الأرض صعودا ، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا ، وإليك ترامت همم الفاتحين ، وترامت الأينق الذلل بالفاتحين ، تحمل الهدى والسلام ، وشرائع الإسلام ، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة ، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم ، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبد الله ، ثم وقفت عند مؤته بقيادة زيد بن حارثة ، فكانت الغزوتان تحويما من الإسلام عليك ، وكانت الثالثة وردا ، وكانت النتيجة أن الإسلام طهرّك من رجس الرومان ، كما طهر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان ¹.

إنّ انبعاث الشخصيات التاريخية الإسلامية في هذا الخطاب غايته بعث روح الأصالة و الطهر الذي أسس عليه هذا الوطن المغرّب عن أهله ، فمن رحلة آدم نزولا إلى رحلة المصطفى عليه الصلاة و السلام ، صعودا حين عرج به إلى السماء إلى غزواته تحويما لفتح فلسطين " من غزوة مؤتة في السنة 8هـ بقيادة زيد بن حارث إلى غزوة تبوك آخر غزواته عليه الصلاة و السلام في السنة 9هـ إلى أن تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب الذي واصل مسيرة حبيبته في 15هـ " ².

يتضمن بعث الشخصيات التاريخية ههنا شحذا للهمم ، و إعادة غرس للأمل في تحرير فلسطين من يد صهيون، فلا تحضر الشخصيات ، و الأحداث التاريخية في الخطابات التوجيهية الإبراهيمية إلا لخدمة غرضه التوجيهي الإصلاحي ، لإعادة بناء الحاضر على أسس الماضي القويم .

¹ - محمد لبشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 435.

² - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2002/4 ، ص 112-149-348

II. المستوى التركيبي في خطاب البشير الإبراهيمي :

أسعى في هذا المبحث إلى دراسة المستوى التركيبي ، محاولة الكشف عن نظم صوغ المتتاليات اللسانية في المدونة الإبراهيمية ، و كيفية تعالق مكوناتها ، و تبين تمفصلاتها بهدف رصد الانزياحات التركيبية من حذف ، و تقديم و تأخير. و فصل و وصل .

1- التّقديم و التّأخير :

يعد التّقديم و التّأخير من أهمّ الظواهر التي يتجلى من خلالها انزياح التركيب ، إنّها تمثل خرقاً لقانون رتبة الوحدات اللغوية ، خرق يُنتج علاقات جديدة ، ويفتح أفاقاً واسعة أمام الكاتب ، و القارئ على حد سواء ، فلئن كان التركيب " يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة " ¹ فإنّ العدول عن هذا النمط بمثابة "منبهات يعمد إليها المبدع لخلق صورة فنية متميزة " ² أشار سيبويه في كتابه إلى سر التقديم و التأخير في الكلام فذكر أنّه يأتي للعناية ، و الاهتمام أو للتأكيد ، و التنبيه و أنّه يكون أحياناً لغير علة بلاغية ³ ، لقد نفى عبد القاهر الجرجاني طابع العشوائية عن التقديم و التأخير قائلاً : " و علم أنّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء و تأخير قسمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام ، و غير مفيد في بعض ، و أن يعلل تارة بالعناية ، و أخرى بأنه توسعة على الشاعر و الكاتبذاك لأنّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة و لا يدل أخرى " ⁴ بوصفه ظاهرة أسلوبية يعدل إليها عن الأصل المفترض مؤكداً قيمتها الأسلوبية وبعدها الجمالي قائلاً : " هو باب كثير الفوائد ، جُمّ المحاسن ، ...لا يزال يفترُّ لك عن بديعه ، و يفضي بك إلى لطيفه ...ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، و حوّل اللفظ عن مكان إلى مكان " ⁵ ، فتحدد عبد القاهر الجرجاني يؤكد أهمية البحث خلف تأليف الوحدات اللسانية للوقوف على أسرار اختيار تركيب دون غيره ، وهذه الأسرار تدرك من خلال السياق الذي ورد فيه التركيب.

¹ عبد المطلب البلاغة و الأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون ، المكتبة المصرية اللبنانية للنشر ط 1 1994 ص 271

² المرجع نفسه ص 271

³ ينظر سيبويه الكتاب تح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخناجي القاهرة ط 3 1988 ج 1 ص 34

⁴ الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص 110

⁵ المرجع نفسه ، ص 106

من الانزياحات التي تخللت خطابات الإبراهيمي ، و التي طالت الانموذج الأصيل ، الذي

تنبني عليه الجملة في اللغة العربية سواء نموج الجملة الفعلية المبني على :

البنية العميقة للجملة الفعلية : المسند + المسند إليه+متحركات المسند

فعل + فاعل +(مفعول به ، مفعول مطلق ، جار ومجرور)

او نموج الجملة الاسمية المبني على :

البنية العميقة للجملة الاسمية

المسند إليه + المسند

المبتدأ + الخبر

نذكر من بين مواضع التقديم و التأخير في الخطاب التوجيهي " إلى الشباب " ¹:

المثال	التحليل
إلى هذا الجيل الذي عودتنا الحياة المدبرة انشق عليه و عودته الحياة المقبلة أن يشفق منا ، أتوجه	تقديم الجار و المجرور على المسند
وإياه اعني	تقديم المفعول به على المسند
و إليه أسوق الحديث	تقديم الجار و المجرور على المسند إليه والمسند
وحمله إلينا الأمناء و الهداة	تقديم الجار والمجرور على المسند إليه
توارد عليه القدماء و المحدثون	تقديم الجار والمجرور على المسند إليه
وقفت بهم الحياة على حدها	تقديم الجار و المجرور على المسند إليه
وأنتج لهم القياس الفاسد	تقديم الجار و المجرور على المسند إليه
وتردون عليها نصرتها وشبابها	تقديم الجار و المجرور على المسند إليه

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4ص 267

م1:

البنية السطحية : الجار و المجرور (إلى هذا الجيل) المسند (أتوجه).

البنية العميقة : الفعل + فاعل + الجار و المجرور

أتوجه إلى هذا الجيل

م2:

البنية السطحية : مفعول به + المسند و المسند إليه (أنا)

إياه اعني

البنية العميقة : المسند و المسند إليه + المفعول به

اعني + إياه

م3:

البنية السطحية : الجار و المجرور + المسند و المسند إليه + المفعول به

إليه + أسوق + الحديث

البنية العميقة : المسند و المسند إليه + مفعول به + الجار و المجرور

أسوق (أنا) + الحديث + إليه

م4:

البنية السطحية : ف + مفعول به + جار ومجرور + الفاعل

حمل + ه + إلينا + الأمناء و الهداة

البنية العميقة : ف + فاعل + مفعول به + جار و مجرور

حمل + الأمناء و الهداة + الإسلام (ه) + إلينا

م5:

البنية السطحية : الفعل + الجار و المجرور + الفاعل

توارد + عليه + القدمات و المحدثون

البنية العميقة : الفعل + الفاعل + الجار و المجرور

توارد + القدمات و المحدثون + عليه

لقد تمحور الغرض الأسلوبي من وراء تقديم الجار و المجرور على المسند و المسند إليه في الأمثلة في الاختصاص و العناية بفئة الشباب ، هذه الفئة التي تمثل عصب الحياة بالنسبة للمجتمع ، و التي لأجلها نسج الإبراهيمي نصه ، أما إذا لاحظنا المثال الأخير فإنما جيء بالتقديم و التأخير فيه مراعاة ، (للفاصلة) أو ما سماه بن الأثير ب " حسن النظم السّجعي " المبني على فاصلة الباء + " بين أسبابها و شبابها " كما لا يمنع هذا الغرض الصوتي من إيراد المعنى الدلالي الذي هو الاختصاص ، فلا يمكن التسليم بأحدهما دون الآخر .

إن خطاب الإبراهيمي بما يحمل من فعالية و دينامية اجتماعية تمكنه من التسامي على حدود الزمن ، ليصح خطابا أزليا صالحا لكل زمان متجددا تماما تجدد هذه الفئة (الشباب) .

2- الحذف: إذا كان التقديم و التأخير يعني تغير رتبة الوحدات اللسانية ، فالحذف هو تغييب لهذه الوحدات . فيطوى ذكرها لأهداف أسلوبية و جمالية ، فقال عنه الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به الذكر أفصح من الذكر و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، و تجدك أنطق ما تكون إن لم تنطق ، و أتم ما تكون بيانا إن لم تبين " ¹ . ذلك أنّ " النفس تذهب في الحذف كل مذهب " ² .

فالعملية التواصلية لا تُبنى على الجملة المظهرة لكل الوحدات الدلالية الأساسية دائما ، و إنّما تحدث – أيضا – بنقص هذه الوحدات ، أي قد يحدث أن يكون الصمت وسيلة من وسائل التواصل ، و منه تتجلى لنا تلك الجدلية القائمة بين الكلام و الصمت في العملية التّواصلية ، ليصبح بالإمكان تحقيق الوجه الإبلاغي بين المتكلم و المتلقي .

يعد الحذف إذا شكلا من أشكال العبقرية التعبيرية ، القائمة على الانحراف اللّغوي و خاصية من خاصيات اللسان العربي في ظل جماليات التعبير ، تتكشف من خلاله المضامين الدلالية.

¹ الجرجاني ، دلائل الاعجاز ص146

² الخطابي ، بيان اعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول ، دار المعارف ط3/دت ص. 52.

إذا كان اهتمام البلاغيين بالحذف كأسلوب بلاغي ، وشكل من أشكال العدول في البنية التركيبية ، يرقى بالكلام و يسمو به إلى مستوى بلاغي ، فإن اهتمام الأسلوبيين به ازداد بوصفه ظاهرة أسلوبية ترقى بالكلام من مستواه العادي إلى مستوى عال يزخر بشحنات دلالية ، و يتميز بحسن السبك و قوة التماسك ، كما يسهم في توسيع مجالات النص من خلال تفاعل البنية السطحية التي ينطق بها ظاهر اللفظ ، والبنية العميقة بوصفها عملية ذهنية ينهض بها المتلقي اعتمادا على فطنته وذكائه ، فالحذف ينشر طاقة تحليلية في نفس المتلقي ويجعل من النص أفقا مفتوحا على قراءات متعددة .

نماذج من الحذف في خطاب إلى الشباب :

1	ولكن بقوة الروح	ولكن <u>فتحوه</u> بقوة الروح (حذف جملة)
2	وللغة العرب تصلون أسبابها	وأبقاكم الله الإسلام للغة العرب ... (حذف جملة)
3	ولمواطن الإسلام تصونون عرضها وردون قرضها	و أبقاكم الله لمواطن الإسلام تصونون عرضها (حذف جملة)
4	و نعترف في حقهم و لا نعترف	و نعترف في حقهم <u>الظلم</u> ولا نعترف بظلمنا لهم . (حذف مفعول به)
5	و لكننا لا نقارب ولا نسدد	و لكننا لا نقارب الصواب في ترتيبهم و لا نسدد (حذف مفعول به)
6	و لا ذلك الطور الثالث من عمر	ولا اعني ذلك الطور الثالث (حذف الفعل + فاعل)
7	دينكم أيها الشباب ...	حذف الفعل

8	ربكم أيها الشباب ...	حذف الفعل
9	وكتاب ربكم أيها الشباب ...	حذف الفعل

لا يخفى على المتخصص أنّ هذا النوع من الحذف يزيد النص تماسكا ، و تلاهما فلا تستطيع تفسير أي متتالية لسانية دون الرجوع إلى أخرى ، لقد عمد الناسج إلى حذف جملة تامة مفيدة في مواضع م1 ، م2 ، م3 ، وهي على ذلك أوجب في الذكر من غير المفيدة مما يجعل حذفها أبلغ أثرا في الأسلوب ، لأنّه يشكل حينها انزياحا لقاعدة ثابتة في اللغة ، حيث يؤكد ابن الأثير الصفة الإنزياحية لمثل هذا الحذف بقوله " حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما ... أحسن لمحذوفات جمعا و أدلها على الاختصار "1 ، ومعلوم لدى الأسلوبيين أنه " كلما كان النمط المنزاح عنه أكثر ثباتا و رسوخا زادت إمكانية الانزياح و المغايرة له في اللغة الأدبية "2 . إضافة إلى حذف الجمل في مواضع أخرى تغيبا للمحمول كما في المثال م4 ، م5 ، رغبة منه في إثبات مضامين هذا الأفعال (الاقتراف) (وعدم مقارنة الصواب و السادة في تربية الشباب) للفاعلين (هم نا) من غير التركيز على ما يقع عليه هذا المضمون ، وهو نوع من تعميم دلالة الفعل ، والعناية بإثبات معناه وهذا ما يؤكد الجرجاني حين يقول : " أعراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة و مرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين ، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي في أنك لا ترى له مفعولا ، لا لفظا و لا تقديرا "3 ، لقد غيبت الأفعال من م6 ، م7 ، م8 ، م9 ، اختصارا لدلال لقد غيب الفعل و الفاعل من المثال م6 ، لدلالة المقال عليها ، بغية الاختصار و تفاديا للتكرار الذي يفقد النص رصانة فيسير إلى الابتذال .

أما المثال م7 ، م8 ، م9 ، فقد حذف أفعاله لدلالة المقام عليه بما أن المقام مقام نصح و إرشاد فان المفاعيل دينكم ربكم ، كتاب ربكم قد نصبت بفعل محذوف تقديره ألزموا .

حذف المفاعيل :

1- ابن الأثير المثل السائر ج2 ص62

2- ينظر عبد الحميد الرازي نظرية اللغة في النقد العربي ص499

3 الجرجاني دلائل الإعجاز ص152

فلا زنديق يؤول

و جاهل يعطل

ويلبس على المستضعفين¹

حذف المفعول به في هذه المواضع لتوجه الاهتمام إلى فاعل الفعل " الزنديق ، الجاهل ، " و ليست العناية موجهة إلى من يقع عليه الفعل ، فلما كان الفاعل هو المقصود في الحديث ، و إليه يوجه الاهتمام ، و كون المفعول به معلوم لدى المتلقي كان من الإيجاز حذفه.

يمارس النص الأدبي التوجيهي عند الابراهيمى سحره و تأثيره بما ينقصه من وحدات دلالية وبما يوحي به ، وليس فقط بما ينجزه وينجح فيه ، وقد لا نبالغ إذا قلنا : إنّ النصّ يدين بقيمته الجمالية وسحره إلى ألوان المحذوف التي اعتورت تراكيبه وعباراته أكثر مما تعود إلى عباراته الكاملة التامة المذكورة الوحدات الدلالية ، ولن يتأتى هذا إلا بحضور قارئ مثالي الذي عليه أن يحسن التذوق ليستخلص سحر النصّ و جماليته ، و بمعنى آخر عليه أن يتموضع ضمن فراغات النصّ لينصت إلى صمت المبدع ، إيماناً منه بأن العمل الأدبي ينهض على ثنائية الفراغات أو الفجوات في مقابل العلامات المكتوبة فيه .

وفق هذا الطرح يكون الحذف آلية من آليات اتساع النصّ ، لأنّ يقوم بدور رئيسي في عملية التنبيه و الإيحاء ، ويثير ذهن المتلقي ويحمله على الحفر في عمق العبارات و التراكيب ، الأمر الذي يجعلها تتسع ، و تفرز شحنات دلالية متعددة ، وههنا تكمن الجمالية و متعة القراءة التي تحدث عنها رولان بارت .

فالخطاب يمارس تأثيره بما ينقصه ويوحى به ، وليس فقط بما ينجزه ، ويثبتته في البنية السطحية ، بحيث يكون المحذوف هو جوهر الحقيقية المغيبة التي لا يستطيع الكاتب أن يفصح عنها ، و إنّما يفسح المجال واسعا للمتلقين باختلاف تجاربهم للدّخول طرفاً فاعلاً

¹ - أمحمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ص 270

للكشف عن هذا الكنه المغيب الذي يقع خارج اللغة ، و البحث عن معنى لغة لما وراء اللغة .

3-الفصل و الوصل :

غذت ينابيع التراث العربي الأصيل - بلاغة و شعرا و خطابة - فكر الإبراهيمي فانعكس ذلك جليا في سبك خطابه ، و إنك لتدرك هذه العبقرية في مواضع الفصل و الوصل التي انسابت من لدنه دون أن تستشعر تكلفه في ذلك لأنه قد أوتي فنا من المعرفة في ذوق الكلام و قد كمل له احراز الفضيلة فيه .

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ أسلوب الفصل و الوصل " من أسرار البلاغة ، و ممّا لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص ، و إلا قوم طبعوا على البلاغة و أوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد . و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حداً للبلاغة ...ذلك لغموضه و دقّة مسلكه ، و أنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة " ¹ .

و الوصل " عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة لصلة بينا في المبنى و المعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل .

و الفصل ترك العطف ، إمّا لأنّ الجملتين متحدتان مبنى و معنى ، أو بمنزلة المتحدثين و إمّا لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى " ² .

فبلاغة الوصل إذا لا تتحقق إلا " بالواو " العاطفة دو سائر حروف العطف الأخرى ذلك أنّ " الاشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف ، و ذلك لأن تلك تفيد مع اشتراك معاني ، مثل أنّ الفاء توجب الترتيب من غير تراخ ، و ثمّ توجبه مع التراخي ...فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ، ظهرت الفائدة . فإذا قلت أعطاني فشكرته ،

¹ - عبد القاهر الجرجاني ، دلالات الإعجاز ، ص 222 .

² - عيسى علي العاكوب ، على سعد الشتوي ، الكافي في لوم البلاغة العربية ، المعاني البيان البديع ، منشورات الجامعة المفتوحة ، 1993، ص 298.

ظهرت بالفاء أنّ الشكر كان مُعَقِّباً على العطاء و مسبباً عنهو ليس للواو سوى الاشتراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أثبتت فيه الثاني الأول¹ .

قواعد الوصل و الفصل :

حدد علماء البلاغة للوصل قواعد ثلاث :

أولها : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الأولها : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام ، و ذلك بأن تكون احدى الجملتين خبرية و الأخرى انشائية ، و لو فصلت لأوهم ذلك خلاف المقصود

ثانيها : أن تكون الجملتين متفقة خبرا و إنشاء لفظا و معنى ، أو أن تكونا متفقتين خبرا و إنشاء لفظا لا معنى

ثالثها : أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب و قُصِدَ اشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم الإعراب .

مواضع الفصل : أوجب علماء البلاغة الفصل في خمسة مواضع هي :²

أولها : أن يكون بين الجملتين اتحاد تام و هو ما يعرف بـ " كمال الاتصال " و ذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا لفظيا أو معنويا للأولى ، أو أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى.

ثانيها : أن يكون بين الجملتين " كمال الانقطاع " و يكون ذلك حين تكون الجملة الثانية مباينة للأولى كأن تكون احدهما خبرا و الأخرى إنشاء لفظا أو معنى .

ثالثها : أن يكون بين الجملتين " شبه كمال الاتصال ، و يكون ذلك عندما تكون الجملة الثاني جوابا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى .

رابعها : أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع و يكون ذلك حين تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على أولاهما لوجود الجهة الجامعة لکمن في عطفهما على الثانية فساد المعنى . فتفصلا ابتغاء دفع توهم العطف على الثانية .

¹ - عبد القاهر الجرجاني ، دلالات الإعجاز ، ص 224

² - عيسى علي العاكوب ، علي سعد الشتوي ، الكافي في علوم البلاغة العربية ، ص 305-306

خامسها : أن يكون بين الجملتين " توسط بين الكمالين مع قيام المانع من الوصل " و ذلك عند توفر الترابط القوي بين الجملتين ، لكنه يفصل بينهما لعدم صحة اشتراك الجملة الثانية في حكم الأولى .

من بين مواضع الوصل التي وقفنا عليها في متن المدونة التوجيهية الإبراهيمية قوله متحدثا إلى أولياء الطلبة عن الأحزاب السياسية أو من سماهم ههنا - بلصوص العقول- التي تصد الطلبة المبتعثين إلى تونس عن طريق العلم " إن هؤلاء اللصوص يغدون على أبنائكم و يروحون ، و يقعدون لهم بكل صراط ، و ينتقلون بهم في الإفساد و تضییع الأوقات و تعطيل المواهب من منزلة إلى منزلة ، و من مرحلة إلى مرحلة ، و آخر مرحلة لمن تم تسليكه على أيديهم أن يقتلعوه من حلقة الدرس و يبعثوا به من تونس إلى الجزائر داعية انتخاب ، و خطيبا يدعو لذلك الصنف الذي تعرفونه من الثواب . أفلهذا أرسلتم أبناءكم إلى تونس ؟ أم أنتم لا تبصرون ؟

أليس من المبكيات أن لا ينجح في شهادة التحصيل من جامع الزيتونة إلا ستة أو سبعة من ألف من ألف تلميذ و بضع مئات من أبنائنا ؟ و ما السبب ؟ السبب يرجع بالخصوص إلى هؤلاء اللصوص .¹

نلاحظ عطف جملة " يروحون " على جملة " إن هؤلاء " و كذلك الأمر بالنسبة للجمال التي تليها حتى قوله و خطيبا يدعو....من الثواب " ذلك لأنها متفقة خبراً لفظاً و معنى ، بينما فصلت جملة " أفلهذا أرسلتم أبناءكم .. " عن جملة " خطيبا يدعو... " ذلك أن بينهما كمال انقطاع ، فالجملة الأولى خبرية و الجملة الثانية إنشائية طلبية . فيما نلاحظ عطف جملة " ما السبب " على جملة " أليس من المكبات " لاتفاقهما إنشاءً و قد فصلت جملة " السبب يرجع " عن جملة " ما السبب " لأن الثانية جواب للأولى ، ففصلت عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من اتصال .

و يقول في موضع آخر متحدثا عن أثر الطلاق على أبناء داعيا إلى ضرورة تربية الأولاد من الطرفين الأب و الأم لا من طرف واحد ذلك أن : " الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا و لا

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ص 317 .

تنتفع بهم كبارًا إلا إذا نشأوا متقلين في أحضان الآباء و الأمهات ، متقلين لدروس العطف و الحنان من قلوب متعاطفين ، لا من قلب واحد ..¹

فُصلت جملة "متلقين لدروس" عن جملة "إن الأمة لا تنتفع" ، ذلك أن بينهما اتحاد تام بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها فكانت موضحة مبيّنة لها و كذلك أمر جملة "لا من قلب واحد" بالنسبة إلى جملة "متلقين" .

و يقول موجهها المعلمين إلى النهج القويم في تعليم الطلبة : " بينوا لهم الحقائق ، و اقرنوا لهم الأشباه بالنظائر ، و اجمعوا النظائر إلى النظائر ، و بينوا لم العلل و الأسباب حتى تنبت في نفوسهم من الصغر ملكة التعليل فإن الغفلة عن الأسباب هي إحدى المهلكات لأمتكم ...

امزجوا لهم العلم بالحياة ، و الحياة بالعلم ، يأت التركيب بعجيبه ، و لا تعمروا أوقتهم كلها بالقواعد فإن العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل القواعد² .

نلاحظ توالي الجمل معطوفة بالواو من بداية القول إلى "فإن الغفلة عن الأسباب هي إحدى المهلكات لأمتكم ..." و ذلك أن هذه الجمل متفقة إنشاءً لفظاً و معنى ، و هو ما يسمى في اصطلاح البلاغيين بالتوسط بين الكمالين ، و كذلك الأمر بالنسبة لجملة " الحياة بالعلم " المعطوفة على جملة " امزجوا لهم العلم بالحياة " ، أما جملة " يأت التركيب بعجيبه " فقد فصلت عن الجملة التي سبقتها لتباينهما التام كون الثانية خبر و الأولى إنشاءً طلبية و هو ما يسمى في اصطلاح البلاغيين بكمال الانقطاع

تبرز الأمثلة السابقة مدى تلاؤم ، و تجانس أجزاء الكلام لفظاً و معنى في المدونة التوجيهية عند البشير الإبراهيمي، مما ينم عن إدراك واسع لعلوم العربية ، و قدرة عالية على تمييز مواطن التلاؤم " فضم فكرة إلى فكرة أخرى ، و لفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف ، يتطلب إدراكاً عالياً جداً ، قادراً على تمييز درجات حسن التلاؤم ، و دركات قبح التلاؤم الذي يولد في النفوس الصد أو النفرة أو الاستقباح ..³ .

¹ المصدر نفسه ، ص 300

² المصدر نفسه ، ص 272

³ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 551

كان البشير الإبراهيمي على بصيرة بمحاسن الفصل ، و الوصل بين الجمل في الكلام بصفته المصلح ، و الموجه للمجتمع الجزائري خاصة ، و العربي عامة ، فكان كلامه أرفع أدباً ، و أعظم تأثيراً .

III. المستوى الدلالي في الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي :

يتمثل الانزياح الدلالي بصفة عامة في الأنواع التي درسها البلاغيون ضمن علم البيان ، ويراد به " إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة " ¹ ، إنّ أوجه الإيراد المختلفة للمعنى الواحد هو ما يمنح ظواهر علم البيان بعدها الانزياحي متمثلاً في خرقها للأصل المفترض في علاقة الكلمة بمعناها .

و يمثل المجاز أحد أهم المباحث التي حاول البلاغيون من خلالها الاقتراب من ظواهر الانزياح خاصة في شقها الدلالي ، حيث تتجلى طبيعته الانزياحية مقابلاً للحقيقة و خرقاً لمقتضاها ، فالكلام على ضربين كما يقول الجرجاني " ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده و ضرب آخر ، أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ... " ²

فالمعنى الذي كان واحداً في التعبير الحقيقي يصبح متعددًا في التعبير المجازي ، فالحقيقة هي النموذج الأصلي الذي يقارن به المجاز ، إذ أنّ الأصل في اللغة أن يشير اللفظ إلى معناه مباشرة دون وسائط ، أمّا الاستعمال المجازي فلا يتوصل إلى معناه إلا عبر وسائط ، وذلك عندما لا يراد معنى الكلم ولكن " ما هو ردف له أو شبيهه " ³ مما يجعله مرتبطاً بالغرابة و التخيل و الإيحاء ، و هو ما يعطي التعبير المجازي مزيته الأسلوبية و قيمته الجمالية فمن " المركوز في الطباع و الراسخ في غرائز العقول ، أنّه متى أريد الدلالة على معنى فترك أن يصرح به و يذكر باللفظ الذي هو له في اللغة ، و

¹ - القزويني ، الإيضاح ، ص 187

² - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 262 .

³ - المرجع نفسه ص 293.

عمد إلى معنى آخر فأشير به إليه ، و جعل دليلا عليه ، كان للكلام بذلك حسنٌ و مزيةٌ لا يكونان إذا لم يصنع ذلك ، و ذكر بلفظه صريحا "1 .

إنّ أقوى أسباب الإحساس بالجمال و المتعة في التعبير غير المباشر، قيامه على عامل المفاجأة و كسر الألفة و غرابة الصورة من خلال عقد قران جديد بين الكلمة و المعنى المجازي و هو الأمر الذي يثير دهشة المتلقي و إعجابه .

مما وقفنا عليه من مظاهر الانزياح الدلالي التي منحت خطاب إبراهيمي ارتقاء أدبيا وأعطته بعدا جماليا ، و إبداعيا و منحتة حياة سارت به إلى قدرة رهيبة على التأثير ، والهيمنة على نفس المتلقي صور الانزياح الآتية :

1- **جمالية التشبيه في الخطاب التوجيهي عند البشير إبراهيمي** : يعد التشبيه بأنواعه المختلفة أحد " أبرز أنواع التصوير اطرادا في كلام البشر عامة ...فعن طريق التشبيه اتسعت معارف البشر في أقرب ما أمكن من وقت ، و أقل ما أمكن من جهد " 2 ذلك أنّه " يوضح الفكرة ، و يقوي المعنى من خلال التشخيص أو التجسيم أو التوضيح " 3 و ذلك بـ "تمثيل شيء حسي أو مجرد بشيء آخر حسي أو مجرد لاشتراكهما في صفة حسية أو مجردة أو أكثر " 4 .

برع البشير إبراهيمي في الجمع بين الأشياء في صور تشبي للقاء بمدى تمكنه من ناصية البيان حيث طوعه لخدمة أغراضه التوجيهية ، و الاقناعية و الجمالية ، ففي خطاب إلى " الشباب "يصف البشير إبراهيمي أهمية ، و دور الشاب في بناء الأمة قائلا: "أوجه طلائع الحديث في هذه الليلة إلى الشباب الذين هم الساف الجديد في بناء الأمة ، و الدم المجدد لحياتها ، و الامتداد الطبيعي لتاريخها ، و هم الحلقات المحققة

1 - المرجع نفسه ، ص 332 333.

2 محمد الهادي الطرابلس ، خصائص الأسلوب في الشوقيات منشورات الجامعة التونسية 1981، ص 142

3 أيمن أيمن عبد الغني ، الكاف في علوم البلاغة ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، مصر د/ط ، ص 58

4 يوسف أبو العدوس ، التشبيه و الاستعارة منظور مستأنف ، دار المسيرة عمان الأردن ، ط1/2015، ص 15

لمعنى الخلود "1 إن حذف أداة التشبيه ووجه الشبه لهما دلالتها وبعدهما الجمالي" فهذا الأسلوب بخلوه من الأداة يتميز بالمطابقة التامة بين المشبه والمشبه به، وبتجرده من وجه الشبه يتميز بإجمال التقريب بينهما، مما يسمح باعتبار التشبيه البليغ أسمى درجة في التشبيه الصريح من حيث هو يسوي بين المشبه به والمشبه تسوية تامة" 2

استخدم البشير الابراهيمي التشبيه البليغ " هم الساف الجديد " ليقرر أهمية الشباب في نفس المتلقي بإبرازها فيما هي فيه أظهر ، و أوضح فهو يطابق بين الشباب ، و الصف من الآجر في الحائط في بناء صرح الأمة ، فلا نعلم وهنا المشبه من المشبه به والصورة بهذا ملتصقة الصفات، وهذا ما أضفاه حذف الأداة ووجه الشبه من تمام التشبيه من حيث الدلالة

و غير بعيد من هذا المعنى يضيف قائلاً : "و الدم المجدد لحياتها " فكما يتدفق الدم المتجدد حاملاً معه الحياة لجسد الإنسان كذلك هم الشباب بالنسبة للمجتمع ، إنهم مدد الحياة و مكن القوة فيه ، فحدود الصورة التشبيهية منصهرة ، بين الشباب والدم المتجدد ، ليصبح بذلك طرفا التشبيه شيئاً واحداً ، إذ أن علاقة التشبيه لا تقوم على ثنائية يفصل بينها؛ فيحدث الالتحام الكلي بين أطراف الصورة.

وعلى المساحة نفسها انسابت بقية التشبيهات مبرزة الدور العظيم لهذه الفئة " و الامتداد الطبيعي لتاريخها ، و هم الحلقات المحققة لمعنى الخلود حين يقول " 3 فهم الخلف للسلف الذي به يتحقق معنى الخلود في أبهى صورهِ " وسر هذا أن للخيال نصيباً كبيراً فيه فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية، وإنه يعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلائها؛ فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجهله، إلى شيء قديم الصحبة، طويل المعرفة، وغير خاف ما لهذا من كثير الخطر، وعظيم الأثر" 4. وهذا يكون خاصية في التشبيه البليغ الذي يسمو

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيم ، ج4، ص 267

² - محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 150

³ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج4 ص 267

⁴ - أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغ المعاني و البيان و البديع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط3 1993، ص 221

من خلاله الكاتب إلى ضم المتباعدات في مذهب خاص، يعمل على تفجير عوالم حقيقة هذه الفئة .

وبهذا فإنّ غياب الأداة ووجه الشبه في صورة التشبيه البليغ فيها إعمال للفكر، من أجل إدراك المعنى، واكتشاف أغواره، وله أثر جميل في المعنى، ولهذا من الأمثلة السالفة يمكن القول أن الابراهيمي قد عمد إلى هذا الخيار الأسلوبي الذي انصهر فيه الطرفان؛ وهذا بدرجة كبيرة من التفنن والإتقان .

و يقول عن اجتماع الوفود العربية و الاسلامية في باريس " ثم يجتمعون في هذه الليلة وفي هذه البلدة على غرة وعلى غير ميعاد ، كما تجتمع أشتات الزهر في إبانها وفي مكانها ، تختلف منها الألوان و الأشكال ، ويجمعها الشذى و الطيب و الجمال"¹.

هذه الصورة تعطيك وصفا دقيقا لحال اجتماع الوفود العربية ، و الاسلامية الذين جاءوا من كل حذب ينسلون إلى بقعة واحدة جمعتهم على نبل الهدف ، يتباحثون قضايا الأمم المستضعفة حيث شبههم بتجمع الزهر على وحدة الشذى و الطيب و الجمال بالرغم من اختلاف ألوانها و أشكالها .

إنّها صورة تكشف عن براعة في ربط المتفرقات ببعضها بصورة متناسقة، تكتنه دقة تصويرية نابغة من شدة ملاحظته لما حوله من طبيعة ألهمته خلقا جديدا ناجما عن غوصه في أعماق مهيئات الأشياء ، ليستبصر من خلالها بوشائج بين المدركات لم يكن يعهدها من قبل .

إنّ هذا اللون من التشبيه يوضح ، و يبرز أمر المشبه بشكل يجعله ماثلا للعيان من خلال التفصيل في عنصر وجه الشبه مما يمنح الخطاب بعدا جماليا و إقناعيا .

يكشف البشير الإبراهيمي عن طريق التشبيه حقيقة الضعف العربي ، و استبداد الأمم بنا في قوله " أما لومنا إياهم فهو لوم الخروف للذئب ، أما طمعنا في توبتهم فهو طمع الخروف في توبة الذئب"²، فشبه ههنا حياة القوي والضعيف بالذئب ، والخروف حيث يوحي هذا التشبيه بما أصاب الأمة من ذل وهوان وضعف حتى صارت لا تقوى على

¹- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2 ص 466.

²- المصدر نفسه ج2 ص469.

الدفاع عن نفسها. وكذلك يثبت روح الدفاع والشجاعة في النفوس فهنا يريد أن يستنهض الهمم ، و أن لا نفع من اللوم فلا ينفع اللوم فيمن فطر على اللؤم و المكر و الخداع .

يتحقق من خلال هذا التشخيص الكشف عن الأحاسيس المحتمدة في خلد الإبراهيمي الراضة لما كان عليه و لا يزال حال العرب من ضعف و هوان ، كما يهدف التصوير ههنا إلى دفع الذات العربية نحو إيجاد الحلول .

إن روعة التمثيل الذي عقده الإبراهيمي بين المتشابهات تؤكد المعنى في نفس المتلقي وإقناعه بالفكرة المعروضة ، و من ثم السير به نحو الفعل الذي يغير حال الأمة نحو الأحسن .

2-جمالية للاستعارة في الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي :

أولى عبد القاهر الجرجاني اهتماما كبيرا للاستعارة وأثرها في التصوير " وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على المكانة المرموقة التي تتمتع بها الاستعارة في هذا الصرح الذي أقامه¹. "معرفا إياها بقوله : "اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم² والنقل غير اللازم يقصد به التعدد والتنوع، بحيث إن كان لازما أصبح حقيقة لا مجازا.

ويرتبط هذا التعريف بما يسمى في النقد الحديث بالانحراف الأسلوبي بما هو انحراف عن معيار هو قانون اللغة³ أما السكاكي فقد عرف الاستعارة بأن " تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به" ،⁴ إنّ يقيمهما على أساس المشابهة، وبذلك يكون تقسيمها على حذف أحد الطرفين المشبه أو المشبه به.

¹ - محمد الولي الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ، ص 56

² - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 44 .

³ - موسى سامح ربابعة ، جماليات الأسلوب و التلقي دراسة تطبيقية دار جرير للنشر و التوزيع عمان ط1 2008 ،

ص17

⁴ - القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ص179

وبمفهوم آخر، هي "أسلوب من الكلام يكون في اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، وهي لا تزيد عن التشبيه إلا بحذف المستعار له"¹

لقد وضع النقاد القدماء جملة من القواعد للحد من التفاعل بين طرفي الاستعارة، وهذا من أجل إبقاء السير على نهج سلفهم وتساويرهم، لخصها عمود الشعر في مناسبة المستعار منه للمستعار له، بحيث "كلما وضحت الصورة التي يريد الشاعر إبرازها، كانت مرضية ومقبولة، أما إذا بعدت عن مألوف اللغة في المجاز فإنها في نظرهم تصبح عبئاً على التصوير الشعري"²

وبهذا نفروا من استخدام بعض الشعراء للتشخيص والتجسيد في استعاراتهم خاصة، واعتبروها إبعاداً عن الفهم وإغراباً في المعنى.

لهذا اشترطوا وجود قرينة، وهي "ما نسميه السياق الذي قد يدل بلفظ أو تركيب على الخروج من الخط العادي في الإخبار إلى خط التعبير والإيحاء"³

إنّ للاستعارة دور في إنشاء العلاقات الشخصية و التفاوض حولها ، فالاستعارة على سبيل المثال ، توظف للتعبير عن الاتجاهات و المشاعر ، وتستخدم للتسلية أو الاندماج ، أو تعزز الحميمية ، أو تنقل الفكاهة ، أو تحافظ على الوجه الإيجابي للآخرين أو تهاجمه ، وهلم جرا ، كما تساعد الاستعارة كذلك في البناء الداخلي لنص ما وتعزيز ترابط علاقاته النصية ، فهي يمكن أن تستخدم لتقديم تلخيصات أو جذب انتباه المخاطبين إلى أجزاء معينة من النص⁴.

وسنحاول هنا الوقوف عند الاستعارات التي استخدمها الابراهيمى انطلاقاً من التقسيم الثنائي للاستعارة على أساس حذف أحد طرفيها .

2-1- الاستعارة المكنية: وهي حذف الطرف الثاني من المعادلة الاستعارية أي المشبه به وهذا النوع من الاستعارات يتميز بإيغاله في التصوير العميق وهذا يعود إلى "خفاء لفظ

¹- محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص 161 .

²- توفيق الفيل ، القيم المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز ، مطبوعات جامع الكويت ، دت دط، ص 137

³- محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص162

⁴ الإستعارة في الخطاب ص 14.

المستعار وحلول بعض ملائماته محله، مما يفرض على المتقبل تخطي مرحلة إضافية في العملية الذهنية التي يكشف إثرها حقيقة الصورة" ¹

و مما وقفنا عليه من صور الاستعارة المكنية قول الإبراهيمي : " وقفت بهم الحياة على جددها ، تعرض عليهم السعادة في صور ملتبسة بالشقاء ، و الشقاء في صور ملتبسة بالسعادة " ²

المستعار منه : الإنسان

المستعار له : الحياة

القرينة : الوقوف ، العرض .

يعطي الإبراهيمي الحياة وهي شيء لا تدركه الأبصار صورة حسية حين ألبسها جسد إنسان "بائعة" تقف على قارعة الطريق تعرض فيه على المارة بضاعتها التي يخالف فيها ظاهرها باطنها " سعادة يلفها الشقاء وشقاء تلفه السعادة " ، وما زاد الصور قوة وعمق دلالة هو مجيء القرينة الدالة على المستعار منه أفعالاً " وقفت ، تعرض " بحيث منحت المشاهد حركة أريد بها "تأكيد المعنى والمبالغة فيه، لما تمضي فيه الاستعارة من ادعاء كمال الصلة بين طرفيها بدليل إطراح المستعار له والحديث عنه بلفظ المستعار منه " ³

و غير بعيد عن هذا المعنى يصور لنا الإبراهيمي مشهد تجاذب الملائكة ، و الشياطين خواطر الإنسان حين كساهم ثوب جماعة من البشر تسعى إلى إغراء " الشاب " ، فأولئك يعرضون عليه الجنة محفوفة بما تكره نفسه ، و هؤلاء يعرضون عليه النار ملفوفة بما يشتهيهِ يقول : "و اكتنفتهم الملائكة و الشياطين أولئك يدعونهم إلى الجنة محفوفة بالمكاره و هؤلاء يدعونهم إلى النار ملفوفة بالشهوات " ⁴ تتركب الصورة الاستعارية في هذا القول من :

المستعار منه : الإنسان

¹ - محمد الهادي الطرابلسي خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 166

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج 4 ص 267

³ - مختار عطية ، علم البيان و بلاغة التشبيه في العلاقات السبع دراسة بلاغية دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الاسكندرية مصر 2004 ، ص 88 .

⁴ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج 4 ، ص 267

المستعار له : الملائكة و الشياطين

القرينة الدالة : إكتنفتهم "بمعنى أحاطت بهم "

و من ضمن الصور التشخيصية التي استعان بها إبراهيمي لجعل خطابه ذا بعد حاجي تلك الصورة التي لجأ فيها إلى استعارة أغصان الشجر الغضة بأوراقها المخضرة التي كسها الندى إكليلا للمستعار له الشباب لتقريب صورة حداثة عهد الشباب بالله وقربهم منه من حيث المبدأ، فحذف المشبه به الشجر و أبقى على لازمة من لوزمه الأغصان على سبيل الاستعارة المكنية يقول : " إن أثر يد الله فيكم لأظهر ، و إنّ المسحة الإلهية على شبابكم لأوضح ، و إنّ أغصانكم الغضة المورقة لمطلولة بأنداء السماء و قد وخزتها خضرة من كل جانب " ¹ .

تأخذ الحقائق السامية في معنيها و أهدافها في الخطاب التوجيهي لدى البشير إبراهيمي صورتها الرائعة حين صيغت في قالب حسي قربها إلى الأفهام ، فالتمثيل هو الذي يبرز المعاني في صورة تملؤها الحياة و الحركة حتى تستقر في الأذهان ، و ذلك بتشبيه المعقول بالمحسوس و الغائب بالحاضر ، و كم من معنى جميل كساه التمثيل ضمن الخطاب التوجيهي إبراهيمي جمالا أروع ، فكان بذلك أدعى لتقبل النفس له ، و اقتناع العقل به .

¹ محمد البشير إبراهيمي ، آثار الإمام البشير إبراهيمي ، ج4 ص 270.

3-جمالية التعريض في الخطاب التوجيهي للبشير الإبراهيمي :

التعريض من عرض ، وعرض لفلان وبه : إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه ، وقد عرفه يحيى بن حمزة العلوي ، فقال : " التعريض خلاف التصريح " و أضاف " إنه اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم ، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي " ¹.

وقد ذكره ابن قتيبة وعرفه في كتابه "عيون الأخبار" ، وجمعه والكناية في باب مستقل فقال : " ومن هذا الباب التعريض ، و العرب تستعمله في كلامها كثيراً ، فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف وأحسن من الكشف و التصريح ، و يعيرون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء ، ويقولون : لا يحسن التعريض إلا ثلثاً " ².

وجعل التنوخي الكناية و التعريض فنيين متقاربين وعرفهما فقال : "ومن البيان الكناية و التعريض ، وهما معنيان متقاربان جداً وربما التبس على كثير من الفضلاء أمرهما فمثل أحدهما بما يستحق أن يكون مثالا للآخر ، وربما كان ذلك لكون اللفظ صالحاً للكناية من وجه ، و التعريض من وجه " ³.

و من صور التعريض الواردة في الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي تعريضه بالعاصمي في قوله " ... وما ظنُّ الناس ؟ أيظنون أننا نقصد في ما كتبنا و نكتب من هذه الأسماء و الألقاب أصبحنا المعروفين ؟ لا و الله ، فهم عندنا أقل من أن يجول لنا فيهم خاطر ، أو يثور لنا فيهم اهتمام ، و إنما نقصد من هذه الأسماء و الألقاب .

إنَّ هذه الأسماء و الألقاب التي فرضت علينا كلمة الحق تناولها بالنقد و التجريح ، ليست أعلام أشخاص ، و لا ألقاب أشخاص ، وإنما هي أعلام أجناس لمعان استعمارية ، كما قالوا في فجار ، إنه علم للفجرة ، ... فإذا حاربنا اسماً من هذه الأسماء فإنما نحارب الفكرة التي رضي صاحبها أن يمثلها ، والصوت الذي رضي أن يكون بوقاً له ، لا الشخص الذي

1- انعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ص 383.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

3 المرجع نفسه ، ص 384.

تحده الحدود ، وتنميه الجدود ، و الفكر إنما تتمثل في المظاهر ذات القابلية . و الناس يحملون من طبائع الأرض ألوانا شتى ، ففيهم القار المكين ، وفيهم القابل للانخساف ، و المتداعي للانهييار ، وما ذنبنا إذا رضي أصحاب هذه الأسماء و الألقاب أن يكونوا مظاهر للفكرة التي ينكرها الإسلام ، ويمقتها المسلمون ، وتحاربها منا الألسنة و الأقلام ؟ وما ذنبنا إذا رضي هؤلاء أن يتمثلوا أفكار خبيثة لا رجالا ، و مبادئ لعينة لا أشخاصا ، وظلالا من يحموم لا باردة ولا كريمة ؟ ... لا ذنب لنا في ذلك و إنما الذنب لمن جعل نفسه عرضة لوطء الأقدام ووخز الأقلام.¹

يعرض البشير الإبراهيمي بالعاصمي و من سار على نهجه ، وهم أعلام على فكر خبيث جندته يد الاستعمار لخدمة مصالحها ، فإن حاربهم الإبراهيمي ههنا ، فإثما يحارب فكرا لا أشخاصا فـ "...و اعجبا لما تصنع هذه الحكومة ببعض الرجال إلى الواحد منهم فتبقيه على سحنته ، ولكنها تفرغه من شحنته ... تفرغه من معاني الإسلام ، والغيرة عليه ، والطيرة له ، والدفاع عنه ، و الاعتزاز به ، وتملأه بمعان أخرى منها الإفك و الزور ، ومنها الأنانية والغرور ، ومنها الاستخفاف بالإسلام ، والاحتقار للمسلمين ، ومنها الانقياد للحكومة ، و الاعتماد عليها ، و الاعتزاز بها ، والتعالي بقوتها على عباد الله ، و التغني بمدحها حتى في بيوت الله ، فيصبح ذلك الواحد لا يأبه لنقص الإسلام ، ولا يغضب لنسخ الأحكام ، ولا يبالي بغضب المسلمين ، كل ذلك لأن الحكومة شاءت ذلك ! و إن أباه الله ورسوله و المؤمنون من عباده ، وكل ذلك لأن الواحد من هؤلاء راض نفسه على التكر للإرادة و العزيمة وما جرى مجراهما من الفضائل الشخصية ، وعلى الذوبان في الغير ، و الاستطاعة بالغير ، ثم لا يكون هذا الغير إلا الحكومة بالطبع ، لأنها هي التي زرعت الزرع ، فهي التي تجني الثمرة².

تفرغ سلطات الاستعمار الفرنسي رجالها ممن اختارتهم من كل ما يتصل بمعاني الإسلام و تملؤهم إفكا ، وزورا و أنانية و غرورا ، وتسليخ عنهم الإرادة والعزيمة حتى إذا

¹محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 112.

²المصدر نفسه ج3 ص 149.

أصبحوا كالميت من غاسله سخرتهم لأغراضها ، وخدمة مصالحها ، وجعلتهم ضرا ونقمة على وطنهم ففي هذا التعريض ينال الأديب الساخر من المسخور منه ، و يبعث بخصمه بطريقة خفية ذكية مؤلمة في الوقت نفسه ، وبذلك يوفر التعريض الجمالية في التعبير ، والطرافة في القول . ومن ثم يبعث المتعة في نفس القائل و نفس المستمع ، و المطلع على القول المعرض¹

يمضي البشير الإبراهيمي في نهجه الإصلاحى متتبعا كل مرض يهدد حياة المجتمع ويسلبه قوته ، فيشهر قلمه تارة تصريحا ، و تارة تلميحا ، ليجتث الداء ، و من بين تلك الأدواء التي مني بها المجتمع ، فسرت في جسده واستفحلت ، تلك البدع التي ألبست على الناس دينهم ، و كلما خبت هرع شيطان الاستعمار لتسعيها متوسلا أياديه السوداء من أبناء الأمة يقول البشير معرضا : " كُنَّا نفهم أَنَّ الشيطان يطوف ما يطوف ثم يأوي إلى قلوب أوليائه ، لينفث فيها الشر ، و يزين لها معصية الله ، ويحركها إلى الفساد و المنكر ، و يذكرها بسننه المنسية لتتوب إليه من إهمالها و إضاعتها ، و ما كنا نعلم أن للشيطان مرابع خاصة لا يبرحها في فصلين من السنة ، و معظمها في " العمالة الوهرانية " ، و ما ذلك لطيب في هوائها ، أو عذوبة في مائها ، أو اعتدال في جوها ، فالشيطان غني عن هذا كله ، ولا يعبأ بهذا كله ، و إنما ذلك للذة يجدها الشيطان في هواها ... و سهولة انقياد يجدها في أوليائه بها ، وقابلية للتسويل و التزين قلما يجدها في غيرهم من رعاياه ، و صدق الله العظيم ، فإن الشياطين لا تُنزل إلا على كل أفاك أثيم .

و الشيطان حقيقة روحية ، لا تدرك بالحواس ، ولا تعرف بالحدود ، و لا تقاس بالموازين البشرية ، و إنما نعرفه بآثاره في أوليائه ، من القابلية للشر و الفساد ، والاستجابة للمنكر و الباطل ، و التهور في الفسوق و العصيان ، و المسارعة إلى المساخط ، والعكوف على الضلال ، وسرعة التلقي لوحى الشيطان و تلبيسه ، و المحادة لله و رسوله فيما أمرا به أو نهيا عنه .

¹ محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ص106.

... ولكن يبدو لنا أن الشيطان المكلف بالعمالة الوهرانية بليد القريحة ، جامد الفكر ، خامد الذوق ، جافي الطبع ، كثيف الحس ، خشن المس ، بدوي النزعة ، وحشي الغريزة ، فكل ما يأمر به أوليائه و أتباعه فهو من جنس طبعه ، سمج غث خال من الجمال و الفن و الدوق ، وقد عهدنا الشيطان " المتمدن " لطيف الإحساس ، فنيّ الدوق ، وعهدنا أعماله فنية الأسلوب فاتنة المظهر ، والفتنة هي سلاح الشيطان الأحد ، يكسو بها أعماله فيصبي الحلماء ، ويستنزل النُّسك إلى مواطن الفتاك ، أما هذه الأعمال التي نشاهدها من أوليائه الشيطان في عمالة وهران فهي سخيصة باردة حيوانية وحشية ¹.

لقد كشف هذا التّعريض روح الشيطان التي تبدي في فعال أمة من الناس ، ويبدوا أنّها كانت أقوى و أشد عند هؤلاء الذين يطوفون بمقابر الصالحين من مبتدعة شغلوا الناس بالتوافه عن لب دينهم فأعانوا عليهم العدو و مكنا له .

لقد استعمل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أسلوب التّعريض كثيرا " وبخاصة حين أحسّ بحدوث أشياء غريبة ، تتنافى مع العقل و تتناقض مع الفطرة البشرية ، مما سبب له أسى و حزنا عميقين ، لم يجد معها إلا أن يتناول المتسبب فيهما بالتهكم و السخرية عن طريق التّعريض ، فيمرغ كبريائه في التراب ، ويعبث به و بشخصيته فينفس عن نفسه " ² و عليه يمكن القول أنّ التّعريض فعل لغوي غير مباشر يقوم مقام الإلغاز و الرمز الخفي يُعتمد فيه غالبا على قرائن حالية " سياقية " ، سخره البشير الإبراهيمي في خطاباته لخدمة أغراضه التوجيهية ببراعة عالية تعكس إلمام الشيخ بفنون العربية ظاهرها و خفيها ، مما يضفي على تصويره بعدا لغويا جماليا لا نكاد نلمحه إلا عند أمثاله من ابن شهيد أو ابن العميد و غيرهم من جهابذة اللغة العربية ، كما أنّ واقعيته قد اضفت على صورة بعدا ديناميا يستولي على العواطف و يملك العقول .

¹-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ج3 ص 319-320

²-محمد بن قاسم بو حجام ، من أساليب السخرية في أدب الإمام الإبراهيمي ،مجلة الوعي ، العدد 2 ، ذو القعدة 1431،نوفمبر 2010.ص68.

الفصل الثالث

الاستراتيجية التوجيهية و التضامنية في خطاب البشير الإبراهيمي :
/المفهوم/التجليات / الآليات

- I. الاستراتيجية التوجيهية في خطاب البشير الإبراهيمي
المفهوم /التجليات / الآليات
- II. الاستراتيجية التضامنية في خطاب البشير الإبراهيمي
المفهوم / التجليات / الآليات

I. الاستراتيجية التوجيهية :

تحمل كلمة توجيه شحنة دلالية تتصرف بنا إلى معاني الرتبة، الوجهة، الوجهة القصد، والسيادة، والشرف، و التدافع في الكلام أما عند أهل الاصطلاح فهي عملية توجيه المرسل إليه إلى فعل مستقبلي معين¹

وقد أدرجها أوستين ضمن الأصناف الخمسة للأفعال الكلامية ، وأدخل تحت هذا الصنف :«الاستفهام و الأمر ، و الرجاء ، و الاستعطاف و التشجيع ، والدعوة و الإذن و النصح ، بل التحدي أيضا الذي جعله أوستين في أفعال السلوك و كثير من أفعال القرارات عند أوستين تدخل في هذا الصنف »² .

و حسب سيرل لا يكون التوجيه فعلا ناجحا حتى يستوفي الشروط الواجب توفرها عند أداء أي فعل كلامي بشكل مؤثر / فعلي ، ألا وهي :³

أ- شروط المحتوى الإخباري: عمل مستقبلي بالنسبة للمستمع (على سبيل المثال: على الفعل "يعد" أن يشير إلى حدث مستقبلي).

ب – الشروط التحضيرية :

1- المستمع قادر على تنفيذ الفعل ، يعتقد المتكلم أن المستمع قادر على تنفيذ الفعل

2- ليس واضحا بالنسبة لكل من المتكلم أو المستمع أن المستمع سينفذ الفعل في الأحوال العادية وفقا لمشيئته .

ج – شروط الأمانة : يريد المتكلم أن ينفذ المستمع الفعل .

د – الشروط الأساسية: وهي محاولة حمل المستمع على تنفيذ الفعل .

فعلى سبيل المثال لن يكون الطالب صالحا :

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 327 .

2 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 79 .

3 - كولنج ، الموسوعة اللغوية ، ج/3 ، ص 178 .

أ- ما لم يشر إلى فعل مستقبلي:

من فضلك، هل تستطيع أن توافيني إلى المطار يوم الخميس الماضي ؟

ب- ما لم يكن بمقدور السامع أن يؤدي الفعل أ .

هل تترجم هذه الرسالة إلى اللغة الألمانية من فضلك ؟

و ذلك إذا قبلت لشخص لا يعرف اللغة الألمانية.

ج- ما لم يرد المتكلم من المستمع أن يؤدي الفعل أ .

تعد جملة هذه الشروط أسساً بديهية لا تقدم جديداً بالقدر الذي تصف ما هو قائم في عمق العملية التواصلية في شقها التوجيهي خاصة .

على أن التراث اللغوي العربي لم يعدم حديثاً عن هذه الاستراتيجية حيث أدرجها البلاغيون ضمن فروع علم المعاني وقد عُرِفَت لديهم باسم "الإنشاء الطلبي" ، وهو: « ما استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب »¹ .

ويندرج تحت هذا الصنف: «الأمر ، والنهي ، والتّمني و النداء ، ويكون أيضاً بالعرض و التّحريض المولدان من الاستفهام والتّمني»²

و قد حدد العلماء العرب القدماء شروطاً لبعض آليات هذه الإستراتيجية ، لمعرفة الحكم الشرعي ودرجته في سلم الأحكام إذ حُدّد الأمر والنهي عند الغزالي بقوله: «وحد الأمر أنه القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به ، والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل وقيل في حد الأمر أنه طلب الفعل واقتضاؤه على غير وجه المسألة ، أو ممن هو دون

¹ - السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق خليل إبراهيم خليل دار الكتب العالمية بيروت لبنان ط/1 ، 2001 ، ج/1 ، ص 79 .

² - السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، ط/1998 ، ص 80 .

الآمر في الدرجة احترازا عن قوله اللهم اغفر لي...وعن سؤال العبد من سيده و الولد من والده»¹

فشروط الأمر لدى الغزالي هي: وقوعه من صاحب المرتبة العليا "ذي السلطة " على من كان دونه مرتبة "سلطة " ، وإلا خرج عن كونه أمرا إلى أغراض سياقية كالدعاء مثلا . وقد صنّف محمود أحمد نحلة أفعال هذه الاستراتيجية ضمن قسم الطلبيات :«وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها ،وهو أمر أخذ به الأصوليون والفقهاء وبعض المتكلمين»²

يقترن التوجيه إذن بذوي السلطة والغلبة هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فنجد وشائج هذا النمط من الخطاب أكثر اقترانا ، بالقصد والموضع والجهة ، التي يبتغيها المخاطب من خطابه وهو إلى ذلك يعتبر من أهم أشكال الخطاب استقطابا للنظر لما يضطلع به من رسم السبل القويمة للمتخاطبين وتقدير مساراتهم الأدائية في كافة مجالات الحياة .ذلك أنه أكثر التحاما بالقائد ، و السيد ، و الكبير ، ومن أدنى صور التواصل و التفاعل الاجتماعي إلى أشدها رقيا ، ليكون بذلك التوجيه استراتيجية خطابية يلجأ إليها المخاطب بناء على مقتضيات السياق (الموقف) ، وملابساته أثناء فعل التّخاطب كمنزلة المخاطب ، وطبيعة علاقته بالمخاطب ، بحيث يكون فيها مسار الخطاب في امتداد من الأعلى إلى الأسفل بمعنى أنه يصدر ممن هم أعلى في السلم الاجتماعي فمحدد السلطة إذا هو العامل الرئيسي في تفعيل هذه الاستراتيجية بين المتخاطبين . حيث يظهر عدم التساوي بين المرسل و المرسل اليه وهو ما يعمل المرسل على تأكيده متوسلا " آليات وأدوات" خطابية كصيغ الأمر ، و النّهي والزجر ...الخ ، إن تصرّحا أو تلميحا .

يمكن القول مما سبق أن الاستراتيجية التوجيهية ذات بعد خطابي تداولي ، ذلك أنّها تتركز في تركيبها على إصدار أقوال تتوخى إنجاز أفعال ، بحيث تضعنا ههنا في صلب

3- الغزالي ، المستصفى ،ج/2 ، ص61 .

2 - د محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 100 .

الشبكة المفاهيمية للتداولية من خلال أبرز أصولها ألا وهي نظرية الأفعال الكلامية ، فقد رأى أوستين ضمن تصنيفاته الخمسة للفعل الإنجازي أنّ هناك صنفا من الأفعال يبرز في اتخاذ قرار بعينه كالأذن ، والطرد ، والحرمان والتعيين والتسمية سماها أفعال القرارات والتي تبدو أقرب الى المخاطب الذي يركز على هذا النوع من الاستراتيجيات .

يعتبر عمل جون سيرل في هذا السياق المتمم الحقيقي لعمل أوستين ، حيث طور نظرية الأفعال الكلامية مانحا إياها بعدا تنظيريا أكثر دقة ، مما كانت عليه سابقا ، ومن ذلك أنّه أعطى تصنيفا جديدا لها نجد من بين هذه الأصناف "التوجيهات direclives و غايتها حمل الشخص على القيام بفعل معين و غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين و اتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات word to – words و شرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة "1 .

في هذا السياق تضطلع الإيضاحيات ، والإعلانات والتعابير بدور هام في قيام كنه هذه الاستراتيجية وجعلها فعلا خطابيا ذا نفع في التواصل ، و يقوم هذا الصنف من الأفعال على جملة من الأدوات ، والعناصر اللغوية المنظور إليها من حيث دلالتها إلى الجانبين النحوي والبلاغي ، اعتمادا على المعنى الذي تؤديه مما يجعل التقسيم البلاغي حاضرا بقوة ضمن دراسة هذا الصنف ، والذي يهمننا ههنا هو صنف الأفعال الإنشائية التي لا يقصد بها قول شيء ما ، بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء ، وأنّها بذلك لا توصف بالصدق أو الكذب "2 ، وتضطلع بالإنجازية في القول ومعلوم أنها تنقسم إلى قسمين :

تمثل هذه الأقسام التي يمارس من خلالها فعل التوجيه الركيزة الأساسية في توظيفها ضمن مواقف الكلام المختلفة فلا يخلو أي فعل توجيه من أي مخاطب كان من عنصر من هذه العناصر .

1- محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي ص49

2. عبد القادر قنيني ، نظرية أفعال الكلام العامة ، أفريقيا الشرق ص39.

وفي السياق نفسه تعتبر التّعليمات أفعالا إنجازية تشبه الأفعال التوجيهية من حيث المعنى و الشكل ، و تمارس الإيضاح عن توجهات المخاطب في أدائه العملي ، و تتجلى أهميتها في مساعدة المخاطبين على النهي والعرض و التخصيص و التمني و الرجاء ، لتكون بذلك إستراتيجية التوجيه خيارا خطابيا يلجأ إليه المرسل بناء على موقعه الاجتماعي ، فيصدر خطابه من موقع مسؤوليته مما يجعل خطابه ذا صيغة إلزامية ، ومن ثم حمله على وجه الطلب و الأمر فيكون بذلك المخاطب الفاعل المؤثر

وقد يلجأ المخاطب إلى فنون النظم " وسبل الإقناع " ليجعل من التوجيه آلية خطابية تستميل القلب ، وتفهم العقول فمن أجادها نال مقصده ، خاصة إذا أدرك لمن يوجهها – لماذا يوجهها – وكيف يوجهها .

على المخاطب حين انتهاجه لهذه الاستراتيجية أن يراعي جملة المعطيات السياقية ، التي تجعل من خطابه فعلا كلاميا ناجحا نذكر منها :

1. التأكد من اقتضاء الموقف الخطابي لهذه الاستراتيجية .
2. ألا يكون استخدام هذه الاستراتيجية إلا لداع يوحىها .
3. يستحسن تجنب استخدام الصيغ المباشرة -افعل ، ولا تفعل - والميل إلى التعميم تلطفا و تأدبا .
4. ينبغي مراعاة جانب الخصوصية لدى المخاطب.
5. أن يلتزم المُخاطب بالأوامر ، و التوجيهات التي يسميها للآخر فإذا خرقها فقد الخيار في استعمال هذه الاستراتيجية¹.

صنّف العلماء المرسل إليه ، عند استعمال هذه الاستراتيجية صنفين ، المرسل إليه المتخيل وهنا يكون المرسل على معرفة مستقيمة بالمرسل إليه ويمتاز الخطاب في هذه الحالة بالعموم والديمومة ، والمناسبة لكل وقت.

¹- ابراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي منشورات بونة للبحوث و الدراسات ط1/ 2013 ص 120

أما الصنف الثاني فهو المرسل إليه الحاضر عند التلفظ بالخطاب هنا قد يكون الخطاب أو التوجيه مقتصرًا عليه ، والسبب في ذلك هو ضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب ، لابد أن يأخذ المرسل بعين الاعتبار ميزات المرسل إليه ، وكذا المعرفة المشتركة بينهما ، وقد استبعد الدارسون للخطاب كون التوجيه مجرد فعل لغوي، بل تجاوز ذلك باعتباره إحدى أهم الوظائف التي تؤديها اللغة ، وهذا كان تصنيف "رومان جاكسون" إذ يسمي وظيفة التوجيه في اللغة بالوظيفة الإيعازية أو الندائية .

ويعتمد فعل التوجيه في نظامه اللغوي لتحقيق الأفعال الدالة على التوجيه على أن هذا النظام غير كاف مما يستدعي وجود عناصر سياقية تعطي للفعل التوجيهي قوته الإنجازية وهي: سلطة المرسل : تعد السلطة عاملاً أساسياً في بناء هذا النهج الخطابي و استمراره ، وهي بالنسبة للإبراهيمي مستمدة من كونه عالماً و قائداً روحياً لأمته ، و هي سلطة تفوق كل السلطات المادية .

المقاصد : تمثل المقاصد المقوم السياقي الثاني لوجود هذا النمط من الخطابات ، إذ يروم البشير الإبراهيمي من خلال توجيهاته الوصول إلى إقناع متلقيه بمبتغاه .

فتكوين نص المدونة التوجيهية عند البشير الإبراهيمي قائم أساساً على ملفوظات ذات طابع تغييرى للعالم الخارجى للمخاطب ، أو فكره أو سلوكه إذ تتحقق هذه الاستراتيجية وفق المسار الأساسى للاتصال ، و المتمثل في صدور الأمر من الأمر إلى المأمور ، و هو النمط السائد في الخطابات التوجيهية التعليمية كخطاب إلى الشباب ، إلى أبنائنا المعلمين ، و مرشد المعلمين .

بينما تتأسس خطابات أخرى من قبيل رسالة إلى " الدكتور فاضل الجمالي " على مسار التخاطب الثانوي المتجه من الأسفل إلى الأعلى

2-الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية:

أ- الأمر : صنف علماء اللغة المحدثون أمثال باخ و سيرل ، و براون و لفنسون الأمر على أنه جزء من الأفعال التوجيهية ، فيما اعتبره القدماء نوعاً من أنواع الإنشاء الطلبى و قد

تفاوتت تعريفاته ، و تعددت حدوده بتعدد الخلفيات الثقافية ، و بالنظر إلى عناصره كدلالة بعض أدواته ، وكذا القرائن الأخرى بما فيها رتبة المرسل ، كما بينوا كيف يُعد الأمر أمراً وشروط إجرائه على الأصل ، و كيفية خروجه عن مقتضى الظاهر إلى مقاصد أخرى .

وحدّ الأمر عندهم أنّه « طلب فعلٍ غير كفٍّ على جهة الاستعلاء أن يعدّ المتكلم نفسه عالياً و ذلك أن يكون كلامه على جهة القوة لا التواضع ، و المراد بالطلب الطلب اللفظي و المراد طلب فعل من حيث أنّه فعل فدخل فيه كفٌّ عن اللعب و خرج عنه لا تلعب»¹

يشير التعريف إلى طبيعة فعل الأمر ، و كذا المتلفظ به ، إذ يشترط في الأمر أن يكون مستعلياً ، و مرئ الاستعلاء إلى القوة " السّلطة " التي تخوله النطق بالأمر فإن لم يكن الأمر كذلك « نُسب الأمر إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً واشترط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه...الإمام الرازي و الأمدي ...وكثير من الشافعية»²

على أنّ «صدر الأمر من المستعلي يفيد إيجاباً في الأمور وتحريماً في النّهي»³. فالتلفظ بصيغة الأمر يتضمن دلالة على الوجوب إلا أنّ الأمر ليس على إطلاقه من منظور التداول ما لم يرفق الأمر بسلطة الأمر ، و إلّا خرج عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تابعة يحددها السياق ، فيكون مثلاً دعاءً مع الأعلى و التماساً مع النّظير .

لا يقف مفهوم السّلطة في عصرنا عند حدود المفهوم التقليدي بل يتعداه إلى «سلطة العلم و المعرفة كذلك. وبهذا فإنّ ما يمتلكه المرسل من خلفية هو سلطة في حدّ ذاته و بالتالي فإنها تصنيف لرتبته في سياق معين»⁴ و عليه فإن الأمر لا يمكن إجراؤه على الأصل إلّا بتوفر شرطين أساسيين:

أ- لغوي: يتمثل في الصيغة اللّغوية للأمر.

ب- تداولي : يتمثل في سلطة الأمر .

1 - القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ج / ، ص 81 .

2 - السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 80 .

3 - القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ص 81 .

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 342 .

إذ: «لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبةً من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة و إلا لم يستتبعه فإذا صادفت هذه بالأصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب و إلا لم تُفد غير الطلب.»¹

إن ما يملكه الإبراهيمي من خلفية معرفية هي سلطة في حد ذاتها ، وبالتالي فإنها تصنيف لرتبته في سياق معين على أن عنصر وجهة المنفعة يلعب دورا مهما في منح التوجيه حكما معينا فلتوجيه صور كثيرة غير الوجوب منها ما يعرف بالندب والتأديب والإرشاد وهي ألفاظ ذات دلالات متقاربة يفصل بينها كون «الندب إلى ما يرجى به ثواب الآخرة، والتأديب توجيه إلى ما يهذب الأخلاق ويصلح العادات، والإرشاد توجيه إلى ما فيه مصلحة دنيوية»². وهو ما يتفق مع استعمالات صيغ الأمر التي توسلها الإبراهيمي للإرشاد في خطابات التعليمات التي يعود النفع فيها على المرسل إليه فالتوجيه ههنا أداة لنقل المعنى بين المتخاطبين الغرض منه حملهم على سلوك ما هذا ما بدا واضحا في خطابات من قبيل " إلى أبنائنا المعلمين . مرشد المعلمين ، إلى الشباب..... " حيث ترددت الصيغة الأصلية لفعل الأمر "افعل" ، ومنها قوله في مرشد المعلمين " أما الخوف فمنشؤه أوهام تحوكها الأم الجاهلية لصغيرها منذ الرضاعة تستعين بها على إسكات الطفل أو تسكين حدته ، وهي لا تدري ماذا تجني عليه من تلك الأوهام ، ولا أي مرض عضال ابتلته به صغيرها ليتجرع غصصه كبيرا . فاجتثوا هذا الغرس الخبيث من نفوسهم بتقوية الإدارة فيهم وبتنمية الحقائق في أذهانهم . وداووا كل نقيصة من تلك النقائص بتقوية ضدها في نفوسهم ."³

"اجتثوا " "وداوا" فعلا توجيحيان- حسب سيرل يحملان قوة إنجازية حرفية هي الأمر الصريح ، الغرض منه حمل المأمورين " الأساتذة " على اجتناب الخوف و مداواة النقائص التي تغرسها الأم " الجاهلة " في نفس طفلها منذ صغره .

1 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 318- 319

2- علي حسب الله ، أصول التشريع الاسلامي ، دار الفكر العربي القاهرة ط7/ 1714 هـ، ص 186.

3- أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ص 114

كذلك هو الأمر في مثل قوله: "أنتم حراس هذا الجيل الجديد ، والمؤمنون عليه ، و القوامون على أبنائه ، وأنتم بناء عقوله ونفوسه ، فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة . وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية ، واشربوه عرفان قيمتها ، فإن من لم يعرف قيمة الثمين أضاعه ، وقد غبنت هذه القيم في عصركم فكان ما ترون من فوضى واختلاط"¹.. فالعلان التوجيهيان " ابنوا " و " اشربوه " ، يحملان قوة انجازيه صريحة ، الغرض منهما حمل المخاطبين الأساتذة على تنشئة الطلبة على الفضائل ، و غرس معاني تلك الفضائل فيهم . و بذلك فإنّ هذه الأفعال التوجيهية تتحقق بمجرد التلّفظ بها فتؤثر في الواقع ، و تغيره حينها يتحقق قصد المخاطب ، و الغرض التواصل الذي من أجله سيق الخطاب ، و هذا هو منطق نظرية الأفعال الكلامية عند كل من أوستين وسيرل ، و هي الفكرة نفسها التي أثارة انتباه العلماء العرب قديما هي " أنّ الكلام إمّا أن يكون فعلا أو إيقاعا لفعل يقارنه في الوجود "².

بالإضافة إلى صيغة الأمر الأصلية يورد الإبراهيمي صورا أخرى دالة عليه مثل ألفاظ الوجوب وما كان في حكمها. في مثل قوله: " إنّ من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة ، أو يجر إلى إنابة ، ونحن نعلم أن القوم لا يتوبون ولا يذكرون فالواجب أن نلوم أنفسنا على التقصير، ونقرعها عن الانقياد لأراء هؤلاء القوم ولإرشادهم إما لومنا إياهم فهو لوم الخروف للذئب كذلك يجب أن لا نقضي أعمالنا في التلاوم... فأول واجب علينا ، بل أول نقطة يجب أن نبتدئ منها السير هي أن نكفر بهذا الانقسام ، ونكفر عليه بضدّه، وهو الوحدة الشاملة لجميع الأجزاء."³

يوجه البشير الإبراهيمي العرب إلى سبل لم شملهم ، فيستخدم لفظ الوجوب المتضمن معنى الأمر ، تأكيدا لمخاطبه أن لا سبيل إلى ذلك إلا بنبذ الفرقة ، و وجوب ترك التلاوم الذي يهدر أيامنا دون جدوى ، و أنّ علينا أن نلوم أنفسنا ، و نقرعها لانسياقها خلف

¹ - محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 271

² - محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 97

³ - محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2 ص 469-470-471

عدوها محتفية بما رسمه لها غارقة في أوهامها ، ذلك أن لومنا للعدو لن يغير شيئا من طبعه اللئيم .

ومن صيغ الأمر الدارجة في خطابات التوجيه لدى الإبراهيمي الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر كقوله في خطاب إلى الشباب "وليعلم المهتدون الضلال ، فليكن بعضكم لبعض إماما"¹ ، يستخدم البشير الإبراهيمي صيغة المضارع المقترن بلام الأمر " ليعلم " ليكن " و هما فعلاان إنجازيان " أمر " القصد منهما توجيه الشباب المهتدي إلى تعليم الضال منهم و أن يكون بعضهم لبعض إماما .

و من أوجه ورود الأمر في الخطاب التوجيهي الإبراهيمي اقترانه بأسلوب الشرط ومنها قوله: "فإن أردتم أن تروا المثل الخارق من توبة الذنب فقلّموا أظافره، واهتموا أنيابه"، "كذلك إن أردتم توبة القوي فاحتقروا قوته. إن تحقق جملة الشرط رهين بتحقيق الأوامر الواردة في جملة جواب الشرط ، فلا رؤية لتوبة الذنب إلا بتقليم أظافره و هي مكن القوة فيه ، كذلك هي فرنسا و كل من استبد بقوته لا توبة له عن فعله إلا بإضعافه و سبيل ذلك احتقار قوته .

ب- النهي : يعرف السكاكي النهي بقوله : «النهي حرف واحد هو لام الجزم في قولك لا تفعل والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد الترك فحسب ... و الأمر والنهي حقهما الفور»² .

ومنه فإن صيغة "لا تفعل " لا تفيد وجوب الترك ما لم يتوفر المتلفظ بها على صفة "الاستعلاء " بمعنى السّلطة التي تخوله ذلك حاله حال الأمر .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ص 270
² - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 152 .

و تستلزم صيغة النهي الصريحة وجوب التقيّد بها إذ أنّها لا تحتل تأويلا غير معناها الحرفي ذلك ما ذهب إليه الأصوليون إذ حُدد النهي لديهم على أنّه: «طلب الكف عن الفعل ، وصيغته لا تفعل و هي حقيقية في التحريم»¹.

ومن الأمثلة على النهي باستعمال " اللام الناهية" التي تسبق الفعل المضارع قول الإبراهيمي "لا تجعلوا الحدود الإقليمية التي وضعها المخلوق ،حدودا فارقة في الشعائر التي وضعها الخالق "، "لا تلتفوا إلى شبهة تباعد الأقطار "،

قد ترون في هذه الظروف ما يستفز أعصابكم وتسمعون ما يخرج شعوركم وتقرؤون ما يؤلم ضمائرکم ، فلا تقابلوا ذلك بالغضب ولا تجعلوه مثارا للشر"². " فالأفعال إنجازية "لا تقابلوا ، و لا تجعلوه " أفعال صريحة الدلالة على النهي جاءت على صيغة المضارع المسبوق باللام ، خص بها الشعب الجزائري المسلم العربي .

تكرر استعمال النهي بصيغته المعروفة ، ذلك أنّ الخطاب قد حوى توجيهات هامة يجب أن لا يكون فيها التباس فالمقام مقام نصح يستوجب مثل هذه الصيغ ذات الدلالة الصريحة ، و كذلك هو الأمر بالنسبة لقوله : "إنكم- يا أبنائي - رجال حركة، فلا تشينوها بالسكون ، فلا يكن منكم إلى الهوينا ركون"³ يتضمن القول فعلا إنجازيان نهى يحملان قوة إنجازية حرفية هي ضرورة ترك السكون ، و هو هنا بمعنى الخمول ، و التباطؤ والتخاذل .

ج- الاستفهام : يعد الاستفهام آلية لغوية توجيهية ، توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليه ، وحده في عرف اللغويين أنّه: «طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام فإنّ غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل . وإذا لم يُصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام»⁴

¹ - السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، بغاية خالد العطار ، دار الفكر ط/2008 ، ص 208 .

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2-ص205

³ المرجع نفسه ج3ص265

⁴ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 115 .

وله دليل لفظي يدل عليه و يتمثل في « حرفي الاستفهام والهمزة. و في أسماء الاستفهام التي تكون ركنًا في الإسناد ، أو مكملًا من مكملاته ثم في تنعيم الاستفهام و ينبغي أن يتسع أيضا ليشمل الأفعال الكلامية الدالة على الاستفهام كالسؤال و الاستفهام و الاستعلام و الاستخبار و الاستنباء و الاستفسار و نحوها »¹.

كما يعدّ الاستفهام وسيلة لتوجيه مجريات الأحداث ، و السيطرة على ذهن المرسل إليه ، و السير بالخطاب تجاه ما يريده المرسل من خلال توجيه المرسل إليه إلى تحصيل ما يريده ، و تُعد الأسئلة المغلقة في هذا الإطار أهم الأدوات اللغوية للإستراتيجية التوجيهية. حيث تكون هذه الإستراتيجية أحكم في السؤال المغلق منها في السؤال المفتوح ذلك أنّها تتطلب السؤال بنعم أو لا، بينما يتيح السؤال المفتوح الأخذ بخيارات عديدة للإجابة عنه .

و قد قسّمت أليس فريد وظائف الأسئلة على أربعة أصناف كبرى تنتظم في سلسلة تبدأ من البحث عن المعلومات وتنتهي بتقديمها و هي كما يلي: ²

أ- صنف الأسئلة الخارجية: يندرج تحتها أربع وظائف هي،

- البحث عن المعلومات العادية .

- البحث عن المعلومات الخارجية .

- البحث عن الدعوات الاجتماعية .

- البحث عن المعلومات الاشارية .

ب- صنف وظائف الحديث: و تضم ثلاث وظائف هي:

- وظيفة توضيح المعلومات.

1 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 103 .

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 353 .

- وظيفة إعادة المعلومات.

- وظيفة تأكيد المعلومات.

ج- صنف وظائف العلاقة بين طرفي الخطاب :

- وظيفة تركيز الحوار.

- وظيفة المعلومات المشتركة .

- وظيفة المعلومات القولية « وهي التي تمثل الوظيفة الاتصالية عند

جاكسون »

- وظيفة توسيع الخطاب.

د- صنف أسلوب التعبير :تننظم تحت خمس وظائف هي :

- الوظيفة التعليمية.

- الوظيفة البلاغية.

- وظيفة الدعاية .

- وظيفة توجيه الذات .

- وظيفة الكلام التقريري.

يمتد السؤال كفعل انجازي على مساحة واسعة في مدونة البشير الإبراهيمي ، ذلك أنه أداة إجرائية تدفع المرسل إليه للقيام بفعل ما ، كما أنها تعزز روح التفاعل بين المتخاطبين بغية إيجاد الحلول .

يقول البشير الإبراهيمي : " وبين تنازع الأحزاب ومعاكسة الحكومة ولد هذا الدستور الأبتري لدي أنتم ومجلسكم من ثمراته ، ولم يوجد في الدنيا شيء يجمع بين كونه مسخوطا عليه كأنه

نقمة ، ومحسودا عليه كأنه نعمة ، إلا هذا الدستور ، فما أشبه هذه الأمة بقول القائل : "حتى على الموت لا أنجو من الحسد .

وبين سخط الساخط وحسد الحاسد جرت أمور ، نصبت جسور ، وصلت منها إلى هذه المقاعد ، فهل أنتم – بعد خمود الفورة و الصحو من نشوة الفوز – شاعرون بواجبكم ، ومقدرون لمسؤوليتكم ؟... للوطن عليكم حق الأبوة ، وللأمة عليكم حق الأمومة ، فهل أنتم عارفون بحقوق الأيوين ؟ ¹.

فالاستفهام ههنا فعل كلامي توجيهي ، يحمل قوة إنجازية حرفية أرسل به البشير الإبراهيمي مستفهما ، و مستعلما عن مدى استيعاب نواب المجلس الجزائري ، و تقديرهم لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم و معرفتهم بحقوق وطنهم و أمته .

د- التحذير : يندرج التحذير ضمن آليات الخطاب التوجيهي ، و حدّه أنّه :«تنبيه المخاطب على أمر ليتجنبه ، و يقضي أن يؤتى باسم منصوب بفعل محذوف تقديره "احذر" نحو إياك والكذب أي احذر الكذب و الحية الحية أي احذر الحية »².

فيكون بذلك التحذير نصحا ضمنيا يوجه المرسل إليه إلى فعل شيء في المستقبل وهو "ترك المحذر منه " .

مما سبق يُلاحظ أنّ البنية العميقة للخطاب التحذيري يتكون من :

1- المرسل (المُحذِر) الذي يوجه الخطاب .

2- المرسل إليه (المُحذَر) .

3- المحذور (المُحذَر منه) .

¹أحمد البشير الإبراهيمي ،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 186
² - محمد التنوخي ، راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، ص 154 .

من صوره الدارجة في خطابات التوجيه لدى الإبراهيمي ورود هذا الأسلوب بذكر لفظ التحذير صريحا في مثل قوله : "فلئن كنا قريبا من لقاء الله بالموت فلأنتم أقرب إليه بالحياة ، ولئن صحبكم الاتصال به في جميع المراحل فيا بشراكم ، ولئن كنا نُقبل عليه كارهين متسخطين على الموت ، فأنتم مقبلون من عنده فرحين بالحياة مستبشرين ، فصلوا حبلكم بحبله وحفظوا عهده ، وحذار أن تقطعكم عنه القواطع"¹

يتضمن القول فعلا توجيهيا (التحذير) ، يحمل قوة إنجازية حرفية هي حمل المخاطب على اجتناب الانقطاع عن ذكر الله و دعوة للاتصال به .

تنطوي البنية التركيبية لفعل التحذير وهنا على :

1. المرسل " المحذر " البشير الإبراهيمي .
2. المرسل إليه " المحذر " الشباب .
3. المحذر منه " المحذور " الانقطاع عن ذكر الله .

كما ورد فعل التحذير في متن الخطاب الإبراهيمي في صورة المضارع المقترن بلام الأمر في مثل قوله : "ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن ، فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة"².

يحذر الابراهيمى المعلمين من انتهاج أسلوب العنف ، و الترهيب مع الطلبة في تحفيظهم القرآن الكريم ، ثم يردف فعل التحذير بذكر السبب مبررا لهذا الفعل ،و ساعيا لإقناع متلقيه بحجج منطقية واقعية فطريقة العنف ،و الترهيب كانت سبب غرس الرذائل المهلكة في نفوس الطلبة ، الأمر الذي حمله على التحذير منها .

¹ محمد البشير لإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4ص270.
²المصدر نفسه ، ج2ص113.

و قد يغيب المحذر منه من البنية السطحية للخطاب ، وذلك لا اعتبارات سياقية ، فيترك استنتاجه للمخاطب في مثل قول الإبراهيمي ناصحا الأساتذة : "أوصكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم ، و بحفظ العهد و الغيب لبعضكم إذا افترقتم ، إنَّ العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة، فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة ، و الخافطة من أقوالكم تسمعها جهيرة ، فاحذروا ثم احذروا"¹.

يستنتج المحذر منه ههنا من عموم الخطاب ، و لم يرد بلفظ صريح لعلم المتخاطبين به ، و استهجانا لذكره في حق هذه الفئة التي تعتبر مثالا يقتدى به ، فلا يُستحب أن يصرح بما هو أوجب بأن يُلمح إليه حتى لا تلحق بهم العامة ، ولا يهن تأثيرهم عليها ذلك أنها تنظر إلى أعمالهم بمرآة مكبرة الصغيرة منها كبيرة عندها ، فعليهم أن يجتنبوا ارتكاب الصغائر على مرأى العامة .

و يقول الإبراهيمي محذرا الطلبة المهاجرين في سبيل العلم " اتركوا المناقشات الحزبية و الخلافات السياسية لأهلها المنقطعين لها و دعوا كل قافلة تسير في طريقها ... و اعلموا أن كل من يدعوكم إلى ذلك إنما يدعوكم ليضلكم ...الحذر الحذر! فإنَّ الوطن يرجو أن يبنى بكم جيلا قوي الأسر ، شديد العزائم ، شديد الآراء ، متين العلم ، متماسك الأجزاء ، يدفع عنه هذه الفوضى السائدة في الآراء ، وهذا الفتور البادي على الأعمال ، وهذا الخمول المخيم على الأفكار ، وهذا الاضطراب المستحكم في الحياة ، وهذا الخلاف المستمر على السفاسف ، فإذا جاريتم هذه الأهواء المتباينة ، واستجبتم لهذه الأصوات المتنافرة ، ضيعتم على الوطن جيلا ، وزدتم في بلائه ومحنته ، وأطلتم مدة المرض بتأخير العلاج"²

يُستهل الخطاب بفعالين توجيهيين يحملان قوة إنجازية حرفية هي الأمر ، أمر بترك المناقشات الحزبية ، و اجتنابها و أمر بالعلم أن كل من يدعو الطلبة إلى ذلك إنما يبغي بهم خسرانا ، ليأتي بعده التحذير بلفظ صريح "ترك المحذر منه وخطره" ، تتلوه أفعال وصفية

¹المصدر نفسه ، ج3ص265 .

²المصدر نفسه ، ج3 ص 204.

تقريرية " إنَّ الوطن يـرجو أن يـبني بكم جيلا قوي الأسر ..."، تكمن قوتها الإنجازية في تأكيد حاجة الوطن إلى هؤلاء علماء لا سياسيين.

إنَّ التصريح بلفظ التحذير ههنا راجع إلى اعتبارات سياقية ، فالمقام هنا مقام نصح يتعين فيه بسط الأمور ، و توضيحها بغية إقناع المتلقي .

هـ -الإغراء:إذا كان التحذير توجيه إبعاد ، فإنَّ الإغراء توجيه تقريب إذ أنه :«الحثَّ على لزوم الشيء ¹»، وهو «تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله ،نحو الزكاة الزكاة ²»

ومنه فإنَّ البنية العميقة لخطاب الإغراء لا تختلف عن البنية العميقة لخطاب التحذير، وتبعا لذلك فهي تتكوّن من:

- مرسل:وهو المُغري.

- مرسل إليه:وهو المُغرى.

- المغرى به .

قال البشير الإبراهيمي : " و القرآن القرآن ! تعاهدوه بالحفظ و أحيوه بالتلاوة ، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة و القواعد ، وعلى الاستشهاد به في الدين و الأخلاق ، وعلى الاستظهار به في الجدل ، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون " ³

ينبه البشير الإبراهيمي بواسطة الفعل التوجيهي الإغراء إلى ضرورة تعهد القرآن الكريم حفظا و إحيائه تلاوة .

ينبني فعل الإغراء على بنية تركيبية هي :

1. المرسل : المغري " البشير الإبراهيمي ".

2. المرسل إليه " الطلبة ".

¹ - القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ج/3 ص 91 .

² - محمد التنوخي ، راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، ص 79 .

³ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 204.

3. المغرى به " القرآن الكريم " .

تكرر إيراد المغرى به مكررا دون عطف بالواو ابتغاء التأكيد على أهمية المغرى به و ضرورة التمسك به وكذلك الأمر بالنسبة لقوله : "والإحسان الإحسان -أيها الكتاب الكرام - فلا تكتبوا إلا فيما تحسنون موضوعه"¹. ينبه الإبراهيمي كتاب جريدة البصائر إلى الطريقة التي يجب أن تكون عليها كتاباتهم مؤكدا على ضرورة الكتابة فيما يحسنون بتكرار المغرى به و قد يرد المغرى به مفردا غير مكرر في مثل قوله : " دينكم -أيها الشباب - لا يفتنكم عنه ناعق بالحاد، ولا ناع بتنقص.

وربكم -أيها الشباب - لا يقطعنكم عنه خناس ، من الجنة و الناس.

وكتاب ربكم -أيها الشباب - هو البرهان والنور ، وهو الفلج والظهور ، وهو الحجة البالغة ، والآية الدامغة ، فلا يزهديكم فيه زنديق يؤول وجاهل يعطل ومستشرق خبيث الدخلة ، يتخذة عضين ، ليفتن الغافلين ، ويلبس على المستضعفين "².

يوجه البشير الإبراهيمي الشباب إلى ضرورة الاتصال بالله عز و جل و التمسك بكتابه متوسلا الإغراء كفعل انجازي يهدف إلى التأثير في متلقيه .

و بناء على تماثل البنية العميقة لخطابي الإغراء و التحذير فإن الكفاءة التداولية تعد هاهنا فيصلا في تحديد القصد من الخطابين وذلك اعتمادا على :«مخزون القوالب الاجتماعية والعرفية و المنطقية وإجمالا المعرفة الثقافية بما فيها البعد الديني ... »³.

وبذلك يعتبر الإغراء و التحذير من الأفعال الإنجازية، باعتبارهما يهدفان إلى التأثير في المخاطب ، و حمله على أداء فعل ما ،حيث ينتميان إلى صنف الأمرات "بمصطلح سيرل"

¹المصدر نفسه ، ج1ص211 .

²المصدر نفسه ، ج4ص270 .

³ - عبد الهادي ابن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 358.

النّداء: و حدّ النّداء أنّه : «طلب الإقبال بحرف نداء نائب مناب أدعو لفظا أو تقريرا أي طلب المتكلم إقبال المخاطب حسا أو معنى والمراد بالطلب الطلب اللفظي...فمفاد حرف النّداء ومدلوله أدعو... و النّداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الإقبال لزوما»¹

و أصل حروف النّداء :«يا , ولهذا كانت أكثر أحرفه استعمالا ، و هيا ، وأي و الهمزة لنداء القريب وما هو بمنزلته »² .

يعد فعل النّداء من الأفعال الكلامية التوجيهية ، لأنّه يحفز ويهيئ المتلقي لرد فعل المتكلم . و أبرز أدواته (الياء) ، وهو يحتل نسبة معتبرة في الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي نظرا لارتباطه بأفعال التكليف ، الأمر و النهي وأفعال الإخبار و الاستفهام و نحوها .

يقول البشير الإبراهيمي " يا أبناءنا ، إنّ الحياة قسمان : حياة علمية ، وحياة عملية ، إنّ الثانية تنبني على الأولى قوة وضعفا ، و إنتاجا و عقما ، و إنكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم ، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعت له ، ووقفتم عليه الوقت كله ، إنّ العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهره السهاد ، و صرف إليه أعنة الاجتهاد.

لا تعتمدوا على خلق الدروس وحدها / واعتمدوا معها على خلق المذاكرة .

لا تقنعوا بالكتاب المقرر / و أقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسطة في ذلك العلم .

لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في درع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني .

خذوا من كل ذلك بمقدار ، ووفروا الوقت كله للدرس النافع و المطالعة المثمرة .

لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها ، بل أحفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية "³.

¹ - القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ج/3 ، ص 91 .

² - السيوطي ، الأشباه و النظائر ، تحقيق عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة ط/1 ، 1985 ، ص 222 .

³ محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 203-204.

يتضمن القول سلسلة من الأفعال الإنجازية المتتالية ، يتصدرها النداء تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتهيئتهم لتلقي الخطاب ، يتلوه ملفوظ تقريرى الغرض منه تبين فروع الحياة التي لا تخرج عن اثنين علم وعمل ، و أنّ الثاني لا قيام له إلا بالأول قوة وضعفا وإنتاجا وعمقا ، ثم يُتبع ذلك كله بفقرات تتصدرها أفعال إنجازية انبنت على ثنائيتين إنجازيتين متضادتين هما النهي ، و الأمر في مثل قوله : " لا تعتمدوا على حلق الدروس واعتمدوا معها على حلق المذاكرة " ، فعلاّن كلاميان الأول منها " لا تعتمدوا " نهى غرضه الإنجازي حمل المخاطب على عدم الاكتفاء بحلق الدروس في تحصيل العلم و الثاني " اعتمدوا " ، أمر غرضه الإنجازي دفع المخاطب و ترغيبه ، وحثه على اعتماد حلق المذاكرة ، جاء هذا الفعل مبنيًا وموضحًا للفعل الإنجازي الأول "النهي" ، إذ كثيرا ما يرتبط أسلوب النهي بأسلوب الأمر في الخطاب التوجيهي لدى البشير الإبراهيمي يقول المبرد : "واعلم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر"¹

يعتبر النداء آلية توجيهية كثيرا ما تتردد في خطابات الإبراهيمي حتى تكاد تكون لازمة ، ذلك أنّ النداء أول فعل كلامي يقوم به المخاطب ليلفت انتباه المستمع ، ويجعله مهيا لتلقي الخطاب الذي يسعى إلى إيصاله إليه.

و- العرض و التّحضيض : يجتمع العرض و التّحضيض في التّنبية على الفعل إلّا أنّ في التحضيض زيادة توكيد و حث إذ : «أنّك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه ، و في التحضيض تقول : الأولى لك أن تفعل ، فلا يفوتك»².

للتحضيض أدوات هي : «لوما ، و لولا ، هلا ، أما ، وتكون للتحضيض إذا جاء بعدها فعل مضارع أما إذا وقع بعدها فعل ماض فإنّ معناها يخرج إلى اللوم و التوبيخ فيما تركه المخاطب»³ . أو يقدّر فيه الترك و هو ما سماه السكاكي : "بتوليد معنى التّقديم"¹.

¹ المبرد، المقتضب ، ج2 ص 133 .

² - المرادي ، الجني الداني ، تحقيق فخر الدين محمد قباوة و نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992

ص 382 .

³ - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية (علم المعاني) ، ص108 .

حيث يتوسل المرسل هذا الأسلوب لتوجيه المرسل إليه إلى نقص شأب عمله في الماضي لتعديله في المستقبل .

فمن استعمالات ألا قول الإبراهيمي : " و إذا وصلت إلى السابعة فإنك تجد تقرير مكافأة لكل من يشف عن عقار غير مسجل ، و اطو بعد ذلك ثلاث عشرة سنة فقط تجد قرارا من وزير الحربية مؤرخا بيوم 23 مارس سنة 1843 ينص على " أن مصاريف و مداخل المؤسسات الدينية تضم إلى ميزانية الاستعمار

ألا تؤمن بعد هذا بما شرحته لك من أن احتلال الجزائر إنما هو قرن من الصليبية نجم ، لا جيش من الفرنسيين هجم " ²

في استدراج لطيف نحو الإقناع ، يسوق الإبراهيمي أدلة ليثب للمتلقي أن مداخل المؤسسات الدينية في الجزائر تُضم إلى ميزانية الاستعمار لقتل أبناء الجزائر بأموالهم ليأتي الحض من بعدها على الاقتناع بأن احتلال الجزائر ، إنما هو احتلال صليبي يحارب الدين الإسلامي بأموال أبنائه ، لا مجرد جيش غايته نهب و سلب الخيرات المادية فقط .

إن أسلوب التدرج من سوق الأدلة إلى إصدار فعل " الحض " دليل واضح على معرفة الإبراهيمي بأصول الحوار ، الذي يهدف إلى إيجاد الحلول لا مجرد الانتصار على الخصم.

و من استعمالات هلا في خطابات الإبراهيمي قوله : " أيظن الظان أن الجزائر بعراقتها في الإسلام و العروبة تنسى فلسطين ، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسه ، لا و الله ، و يأبى لها ذلك شرف الإسلام و مجد العروبة و وشائج القربى ، و لكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته ، هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لنلا يلتئم ، و يقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم ، و هيهات هيهات لما يروم

¹ - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 307 .

² - محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 1 ص 121

إنّ بين دول الاستعمار علائق ماسة ، و إنهن يتباعدن مادام خيال الشرق و بينه و الإسلام و أممه بعيدا ، فإذا لاح ذلك الخيال حنّت من الاستعمار الدماء ، و تعاطفت الأرحام و تُنوّسيت الأحقاد ، فهلاًّ فعلنا مثل ما فعلوا " ¹

نبه البشير الإبراهيمي في بداية خطابه أنّ الجزائر لا يمكن أن تتخلى عن فلسطين و أنّها ستضعها الموضع الذي وضعها الإسلام ، كيف لا و هي ثاني القبلتين ، داعيا العرب في صيغة حث إلى الالتحام يدا واحدة مع فلسطين و أهلها ، ضاربا المثل بذاك التلاحم الذي تصنعه الدول الاستعمارية فيما بينها ، إذا لاح لهم شبح الفرقة تناسوا الأحقاد ، و تعاطفوا فيما بينهم ، و يحق لنا و نحن نلحظ ضرب المثل بهذه الكيانات التي تعمل على تمزيق الوحدة لتتوحد أن نخرج قول الإبراهيمي من دائرة الحثّ إلى الحض ، فإنّي بصوته يطلقها بين الصيغتين فتخلق الصيغتين صوت يحن ، و صوت يئنّ ليمتزجا في هذه العبارة فيقول ما فحواه حاضا : " أتركوا الفرقة التي جعلتكم كيانا مستضعفا " ، و يقول حاثا : " عليكم بالوحدة فإنها ملاذكم الآمن " .

و من صور استعماله للأداة أما قوله نافيا الحزبية عن جمعية العلماء لمن جعلوها طرفا في النزاع الحزبي ، داعيا إلى ضرورة التخلي عن العصبية ، و الاعتصام بكعبة الوحدة : " ...إنّ جمعية العلماء فوق الأحزاب لا فوقية التعالي و الترفع ، إذ لو كانت كذلك لما رضيت بالدخول في هيئة و لا بالحضور في مجمع ، و إنّما هي فوقية الإرشاد و النصيحة و المحافظة على الوحدة ...و أرادوا الجمعية على أن تكون قسما ثالثا و طرفا في النزاع ...و الجمعية فوق ما تظنون ، و فوق ما تتوهمون ، ليست عامل تفريق ، و إنّما هي عامل جمع و ليست أداة هدم ، و إنّما هي أداة إصلاح ، و لو استبطن رجالنا السياسيون بواطن الأمور ...لعلموا أنّ المصلحة الوطنية أولا ، و المصلحة الحزبية ثانيا تقتضيان و تتقاضيان من العاملين لهما أن تكون جمعية العلماء فوق الأحزاب ، لتكون حكما بين الأحزاب ، و لو جرت الجمعية على ما أرادوا لكانت حزبا ثالثا يزيد الطين بلة ، و في الأمراض علة ... و

¹ - المصدر نفسه ج3 ص 438

لانهارت دعامة الاستقلال و هي العلم و التعليم ، أما كفى الأمة ما تعاني من حزبين حتى نزيدها ثالثا ¹ .

إنّ جمعية العلماء هيئة علمية تهتم بالتعليم ، و الإصلاح و ليست حزبا سياسيا كالأحزاب السائدة في ذلك العهد ، تدعو إلى اصطلاح الأحزاب و توحدهم ليكونوا قوة واحدة ، فيرسل الإبراهيمي دعوته تلك في صورة حض ، و توبيخ و زجر لكف الأحزاب السياسية عن التحزب ، و صبغ الجمعية بصبغة سياسية و دعوة الأحزاب إلى مواجهة الاستعمار مجتمعين متكاتفين صفا واحدا .

و حتى تكتمل صورة الخطاب التوجيهي ، ويكون له فعالية فإنّ المرسل لا يكتفي باستعمال الأدوات ، و الآليات اللغوية فحسب ، ولكنّه يتوسل إلى جانب ذلك العلامات المصاحبة للتلفظ نذكر ، من أهمها التنعيم ذلك أنّه قد «يتجانس مع كل خطاب من الخطابات أو الأساليب مثل أسلوب الأمر و النّهي ، والإغراء ، والتعريض ، و التحضيض و ذلك بمعونة السياق و استثمار المعرفة الموجودة في ذهن المرسل إليه»².

و منه فإنّ العرض و التّحضيض يندرجان بمصطلح سيرل ضمن صنف الأمريات ، و الفرق بينهما كامن في " درجة الشّدة" للغرض الإنجازي ، فالتحضيض أشدّ قوة من العرض.

التوجيه بألفاظ المعجم: استعمل البشير الإبراهيمي ألفاظا معجمية دالة على التّوجيه منها لفظ الوصية والنّصيحةقائلا في أحد خطابه : "أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد ، و العون في الملمات ، وهي مهبط الروح والطمأنينة".

"أوصيكم بالرفق و الأناة في أموركم كلها ، وبخض الجناح للناس كلهم ، وباتقاء مواطن الشبه".

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 306 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 339.

"وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشر ناجمها ، وهجم -ليفتك بالخير والعلم - هاجمها ، وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها"¹.

إن التصريح بفعل " التوصية " تأكيداً على جلال الموصى به فالمقام ههنا يستدعي ذلك حتى لا يتوهم المتلقي غيره .

ز-التوجيه المركب : كثيراً ما يلجأ البشير الإبراهيمي في خطابه التوجيهية إلى الجمع بين أكثر من أسلوب كالجمع بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي يقول : "وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع ، ولا يدنكم الغرور عن أن يستفيد القاصر منكم من الكامل ممن هو أكمل منه"².

و يقول أيضاً : "هناك حدود مشتركة بين الضار والنافع من أعمالكم ، فتبينوها ثم اعملوا على قدرها ، ولا تجاوزوا حدًا إلى حد ، فتضروا من حيث قصدتم إلى النفع"³.

و يقول ناصحاً ، و موجهاً المعلمين "امزجوا لهم العلم بالحياة ، والحياة بالعلم ، يأت التركيب بعجيبة ، ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد ، فان العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل القواعد"⁴.

و يقول مخاطباً الأمة : "أيتها الأمة : أنت تلك اليد ، وأنت وحدك - القادر على توحيد الأحزاب . إن قوة الأحزاب مستمدة من قوتك ، فاعرفهم متحدّين ، ولا تعرفهم مختلفين"⁵.

ورد فعل التوجيه في الأمثلة السابقة مركباً من أسلوب الأمر و النهي ، أمر بالفعل و نهي عن ضده ، و ما ذلك إلا بسط و توضيح من البشير الإبراهيمي لكيفية أداء الأفعال المأمور بها ، بحيث مثل النهي وصفا لطريقة أداء الأمر درءاً للالتباس .

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3ص265 .

2- المصدر نفسه ج 3ص 260

3- المصدر نفسه ج3ص268 .

4- المصدر نفسه ج3ص272 .

5- المصدر نفسه ج3ص307 .

ح- ذكر العواقب : تصنف بعض الخطابات على أنها أوامر غير مباشرة ، ذكر الشاطبي منها : " ما جاء مجيء الأخبار . والثاني : ما جاء مجيء مدحه أو مدح فاعله في الأوامر ، أو ذمه أو ذم فاعله في النواهي ، وترتيب الثواب على الفعل في الأوامر ، وترتيب العقاب في النواهي ، و ما أشبه ذلك ، فإن هذه الأشياء دالة على طلب الفعل في المأمور ، وطلب الترك في المذموم ، من غير إشكال . والثالث : ما يتوقف عليه المطلوب ، كالمفروض ما لا يتم الواجب إلا به"¹ .

من مظاهر هذا الأسلوب قول الإبراهيمي : "إنّ النشاط قد يعاود ، ولكن الغرور لا يزايل ، وإنّ الغرور لأعضل داء في عصركم ، وإنّ صنكم لأكثر الأصناف قابلية لهذا الداء ، لما فيه من إبهام بالكمال في موضع النقص ، وتمويه للتخلف بالتقدم ، وتغطية للسيئ بالحسن ، وهذه محسنات الغرور في نفوس المغرورين ، والغرائز ضارية ، والتجارب فضّاحة ، والصراع بينهما كان وما زال ولا يزول ، فاحذروا الزّلة في هذا المزلق ، وحذّروا تلامذتكم منها بالقول والعمل"² .

يذكر الإبراهيمي ههنا مساوئ الغرور الذي يوهم الناقص بصفة الكمال ، و تمويه للمتخلف بالتقدم ، و يغطي السوء بالحسن ، فيكون بذلك أعظم داء يصيب الأنفس و يقعد بها دون طلب العلا ، و السير في مقدمة الركب ، ثم يردف ذلك بفعل التحذير حتى يأتيه المتلقي عن اقتناع بعد أن تجلت عواقبه . و هكذا يوجه الإبراهيمي متلقيه وفق ما يريده هو غير تارك له سبل التملص و تعدد التأويل .

لقد عمد الإبراهيمي في خطابه التوجيهية إلى هذه الآلية فوصف بعض الأفعال بالخير في قوله : "فمدح المجتهد من تلامذتكم مذك للنشاط ، كما هو مدعاة إلى الغرور ، والفصل

¹ - الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ج3 ص 142-143 .

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 272 .

بينهما رهين لفظة مدح مقدرة أو مبالغ فيها منكم ، ولأن تخدموا نشاطا ، خير من أن تشعلوا غرورا في نفس التلميذ¹.

يدعو الإبراهيمي المعلمين للقسط في مدح المجتهد ، و التزام الوسطية و ترك المدح الذي يجلب الغرور للنفس ، فيقعد بالطالب في كثير من الأحيان دون الاستزادة من العلم ظنا منه أنه قد علم و كفى ، فإن إخماد الغرور يغدو خيرا للطالب ، ذلك أن الغرور مدعاة للتكبر على مجالس العلم و الانقطاع عنها .

و يقول أيضا : "إنكم لو عبدتم الله الليل و النهار لكان خيرا من ذلك كله عند الله وأقرب زلفى إليه أن تجاهدوا في سبيله بهداية خلقه إليه"² .

يرغب الإبراهيمي المتلقي و يدعو إلى المجاهدة في سبيل الله ، بهداية خلقه جاعلا الخيرية في هذا الفعل أعظم من عبادته ليلا و نهارا ، لأن في الأول نفعا عاما للأمة بينما يقصر عنه الثاني .

و مما سبق يمكن القول أن المرسل يختار الإستراتيجية التوجيهية خاصة في الخطابات الرسمية، لما تنطوي عليه من وضوح يبعد اللبس عن مضمونها ، بحيث لا تترك مجالا لتلك الاجتهادات التي كثيرا ما تخل بالمضمون .

¹ - المصدر نفسه ، ج3ص272 .

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4ص271 .

II. الاستراتيجية التضامنية

يضطلع فعل التضامن في خطاب البشير الإبراهيمي بدور مهم في بناء جسور التوافق ، و التعاون بينه و بين مخاطبه ، سعيا منه إلى تحقيق معاني الانسجام و التكامل معه انطلاقا من المصلحة المشتركة التي مناط قيام هذا النمط من الاستراتيجيات الخطابية .

1- مفهوم الاستراتيجية التضامنية: بالرغم من نسبية مفهوم الاستراتيجية التضامنية حاله حال المفاهيم جميعها إلا أنه يمكن مقارنة حددها على أنها :«الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد من خلالها درجة علاقته بالمرسل إليه ، و نوعها وأن يعبر عن مدى احترامه لها ، و رغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، و إجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه»¹ .

لتحليلنا بذلك هذه الاستراتيجية على معاني " التكافل ،الاتفاق ، الاجتماع ، الالتزام ، التأثير ، إنها المعاني التي تشكل جوهر التعاون هذا المظهر الاجتماعي التفاعلي الأساسي والذي أصبح مع تطور الحياة العصرية ممارسة منفتحة على جميع ميادين الحياة "مؤسسة تعليمية ، جماعة ، ثقافية ن سياسية ن حقوقية " ، من الضروري أن تنبني بين أفرادها مشاعر التوحد والاتفاق . وتنشيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد ،ليجسد بذلك التضامن في سياق التخاطب سعي طرفي التخاطب أو احدهما إلى إقامة جسور المودة والمحبة بينهما لأجل أغراض ومقاصد محددة ، وعليه فإن التضامن في الخطاب " آلية خطابية سلوكية توظف ضمن المواقف التواصلية تقوم على المواءمة والانسجام والألفة وتهدف إلى توطيد وتنشيط علاقة مع طرف ما لغرض ما " ² ، وفق جملة من المبادئ تكفل تبليغ المقاصد و تحقيق الأهداف من جهة و المحافظة على العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى .

2- مبادئ التخاطب: يتخذ المرسل التلفظ بالخطاب سبيلا إلى بناء العلاقات الاجتماعية و المحافظة عليها من خلال التودد و التقرب إلى المرسل إليه . متوسلا لذلك كافة السبل التي

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب المرجع نفسه ، ص 257 .

² - إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة ، ص 83

تجعله واثقا أنّ ميل المرسل إليه ميلٌ طبيعي خالٍ من الدوافع الشخصية، و الأغراض النفعية ، وهذا ما يشكل لبّ التأدب في الخطاب. إذ تمّحي عنده الدرجات بين أطراف التخاطب ، و تتقلّص المسافات و تقوى به الألفة وينتقي التشتت ، لتصبح العلاقة في نهاية الخطاب أرقى وأفضل منها في بدايته عندها يتحقق للتضامن ميزته الغالبة ألا وهي :«علاقة التكافؤ المفترضة التي من شأنها أن تربط بين الناس في جماعات تشترك في اهتماماتها، و سلوكها و تمثيل ذاتها»¹.

ومنه فإنّ استراتيجية التضامن تعطي الأولوية لما أطلق عليه د طه عبد الرحمن مصطلح التخلق الذي :«يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض و الغناء عن الأعراض. فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق مزيد من الإنسانية للمتكلم ،إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات ، بحيث لا تصحّ نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به . ولا يحصل للمخاطب هذا الأنس المطلوب حتى يشعر بأنّ المتكلم قد تخلّص في أقواله ، و أفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعدّاه إلى غيره...»².

فالخطاب إذا جسر عبور نحو الآخر آية تمكينه في نفس هذا الآخر قائمة على إنسانية الباث الملتمزم بمبادئ التأدب التي تدفع المتلقي إلى الاستئناس

1- مبدأ التأدب : مراعاة للبعد الاجتماعي في الخطاب صاغت روبين لاكوف مبدعاً تداولياً و اقترحت لذلك قاعدتين أطلقت عليهما اسم " قواعد الكفاءة التداولية " .

- كن واضحا .

- كن مؤدّبا .

1- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 258 .

2 - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص223 .

و قد فرّعت **لاكوف** عن مبدأ التأدب ثلاث قواعد تهذيبية هي كالآتي¹ :

1- **قاعدة التعفف**: و مقتضاها أن لا يفرض المرسل نفسه على المرسل إليه بمعنى أن يكون متحفّظاً فلا يقتحم عليه شؤونه، ولا يحمله على فعل ما يكره ، وذلك بتجنّب عبارات الطلب المباشر.

2- **قاعدة التّخير**: ومقتضاها أن يترك المرسل للمرسل إليه اتخاذ قراراته بنفسه ويدع خياراته مفتوحة ، فلا يفرض عليه الأخذ بأمر دون غيره .

3 - **قاعدة التّودد** : و تقتضي تودد المرسل إلى المرسل إليه ، فيعامله معاملة النّد للند إذا كان أعلى مرتبة منه ، أو في مرتبة مساوية لمرتبته ، متوسلاً لذلك مختلف الأدوات و الأساليب اللّغوية التي تجعل المرسل إليه يستأنس به و يطمئن إليه نحو استعمال الاسم ، و الكنية و اللقب .

وقد ادعت " لاكوف " أن هذه القواعد ذات صبغة كليّة ،حيث تأخذ بها مختلف المجتمعات . على أنّ ما يلاحظ من اختلاف بين المجتمعات في الأخذ بها إنّما يرجع إلى ترتيب هذه القواعد بحيث يُفضّل بعضها على بعض و يُقدم العمل ببعضها على الآخر .

فيما حاول "ليتش leech" تأسيس نظرية لمبدأ التأدب سُميت بنظرية التأدب الأقصى ، يتأسس على ستّ قواعد هي:²

1- **قاعدة اللّباقة و صورتاها** :

أ- قلّ تكلفة الغير .

ب- أكثر ربح الغير.

2- **قاعدة السخاء، و صورتاها:**

¹ - ينظر طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 240

² - المرجع نفسه ص 238 .

أ-قلّ ربح الذات .

ب-أكثر خسارة الذات .

3-قاعدة الاستحسان، و صورتاها:

أ- قلّ ذمّ الغير .

ب- أكثر مدح الغير .

4-قاعدة التّواضع و صورتاها هما :

أ - قلّ مدح الذات .

ب- أكثر ذم الذات .

5-قاعدة الموافقة، و صورتاها:

أ- قلّ الاختلاف بين الذات و الآخر .

ب- أكثر من توافق الذات مع الآخر .

6-قاعدة التجانس، و صورتاها:

أ- قلّ كراهية الذات للغير .

ب- أكثر انسجام الذات مع الغير .

جعل " ليتش leech " من قاعدة اللّباقة قاعدة رئيسة أما باقي القواعد فهي فروع لها وتقتضي هذه القاعدة «ترجيح مبدأ التأدب الأقصى على مبدأ التعاون متى وقع التعارض بينهما ، لأنه أحفظ للصلة الاجتماعية التي هي شرط في التعاون و يظهر ذلك في مثال الأوامر غير المصّرّح بها التي كثيرا ما تأتي في تعابير مطوّلة ، و مستغلقة تخلّ بقواعد التعاون التي تقضي بالإيجاز و الوضوح . ولكنها على طولها واستغلاقتها تحافظ على

التعاون و تواصله , لأنّ المتكلم لو صرّح بالأمر تصريحاً متتبعا قواعد التعاون لأفضى ذلك إلى قطع التعاون وإيقاف المخاطبة...»¹

و هو ما عُرف في التراث العربي باسم " براعة الطلب " حيث عرفه الشيخ عز الدين الزنجاني في كتابه " المعيار " بقوله : « أن يُلَوِّح الطالب بالطلب ، بألفاظ عذبة ، منقحة ... خالية من الإلحاح و التصريح بل يُشعر بما في النفس دون كشفه »²

ويُمثّل لذلك بـصور الأمر الآتية :

أ- أعزني كتابك .

ب- أريد أن تعيرني كتابك.

ت- هل تستطيع أن تعيرني كتابك ؟

ث- ليتك تعيرني كتابك .

فالجملّة الأولى تدل على الأمر مباشرة، وبالتالي فهي أقل الأمثلة لباقية لأنها لم تدع خيار القبول أو الرفض للمرسل إليه ، مما قد يؤدي إلى النزاع بين المتخاطبين و الحيلولة دون تنفيذ الأمر .

فيما استُبدلت الجملة الأمرية بجملة خبرية في المثال الثاني ، لتمنح بذلك للمرسل إليه حق الاختيار بين القيام بالفعل أو رفضه ، الأمر الذي يجعلها أكثر لباقية من الجملة الأولى .

بينما جاءت الجملة الثالثة في صورة سؤال يتيح للمرسل إليه الرد بالإيجاب أو السلب مما يجعلها أكثر لباقية من الجملتين السابقتين .

على أنّ الجملة الرابعة أكثر من مثيلاتها لباقية ذلك أنّها : «تظهر عدم طمع المتكلم في وقوع المطلوب ، حتى إذا لم يقع هذا المطلوب من المُخاطَب لم يؤدي ذلك إلى التنازع، أما إذا وقع ، فإنّه يكون بمنزلة فضل منه ،فيكون المُخاطَب قد منح النّهاية في التّخير»¹.

¹ - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 247 .

² - محمد التّوخي ، راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1993 ، ج / 1 ص

على أنّ التراث العربي لم يعد الاهتمام بالجانب التّعاملي في الخطاب ، حيث أكد الجرجاني في آخر دلائله أنّ مجرى الحديث لا يستقيم ما لم يستأنس أحدهما بالآخر » فليس الكلام بمغن عنك ، و لا القول بنافع و الحجة مسموعة حتى تجد من فيه عين لك على نفسه ، ومن إذا أتى عليك أبى ذلك طبعه فردّه إليك ، و فتح سمعه لك و رفع الحجاب بينك و بينه و أخذ به إلى حيث أنت ، و صرف ناظره إلى الجهة التي إليها أوامأت ، فاستبدل بالنّفار أنسا و أراك من بعد الإباء قبولا ².

يذكرنا هذا الكلام بما جاء عند جرایس باسم " مبدأ التّعاون "، على أنّ كلام الجرجاني عن العلاقة القائمة بين المتخاطبين بدا كلاما أكثر مرونة من ذلك الذي حدّث به جرایس لقيام كلام الجرجاني على النسبية ، و قيام كلام جرایس على الإطلاق ، و تتمثل هذه النسبية في جعل الجرجاني العون من السامع شرطا يمكن أن يتحقق كما يمكن ألاّ يتحقق، في حين جعل جرایس التعاون مبدأ متصليا .

فمن خطط التّخاطب كسب ثقة المخاطب و جعله حليفا من خلال التّقرب منه و الاستئناس به والإقبال عليه ، حتى تجد من جانبه ليئا و ومبادرة بالمثل ،تمكّنك من بلوغ الهدف من جهة ، و المحافظة على علاقة المودة من جهة أخرى .

تحتكم عملية التآزر و التقارب إلى مكونات سياقية تسهم في بنائها و بلورتها و قد بدت واضحة جلية في متن الخطاب التّوجيهي لدى البشير الإبراهيمي هي :

السلطة : يهدف تغييب عامل السلطة ، أو التّخفيف منه في الخطاب التوجيهي لدى الإبراهيمي إلى تقريب المخاطب ، و محو الفوارق الاجتماعية ، و إعلاء التّعامل الأخلاقي حيث : " ثبت أنّ التّخلق يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض ، و الغناء عن الأعواض ، فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق مزيد الإنسانية للمتكلم ، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات بحيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد اعتبار الغير

¹ - طه عبد الرّحمن ، اللسان والميزان ، ص 248 .

² - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 423 .

على اعتبار الذات بحيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المتكلم به و لا يحصل للمخاطب هذا الأنس المطلوب حتى يشعر بأنّ المتكلم قد تخلص في أقواله و أفعاله مما يقصر نفعه على نفسه و لا يتعداه إلى غيره " ¹، و يتم ذلك بتوظيف آليات التضامن اللغوية و الإشارية التي تبرز سمو العلاقة الجامعة بينه و بين متلقيه ، و تأكيد رابطة الأخوة بينهم .

أ- **المقاصد :** إنّ قصد التوجيه النابع من الإحساس بالمسؤولية الملقاة على كاهل العلماء و المصلحين جعل شيخ الموجهين يستتصر قصده هذا ، متوسلا الاستراتيجية التضامنية ليجعل من انشغاله ، و اشتغاله على أمر الإصلاح همّا يتقاسمه ، و متلقيه لأنّه يؤمن أنّ مناط قيام فعل التوجيه - بالإضافة إلى أنا الباعث الساعية إلى تغيير العالم بالكلمات - إنّما هو الآخر أو الذات القائمة على تحقيق فعل التوجيه ، حيث أخرج قصده إلى الوجود في صورة ملفوظات حملت في طياتها قوة إنجازية أسهمت في إضفاء لحمية اجتماعية بين أطراف الخطاب أنّي تأسست الرابطة السببية بين المقصد الفردي ، و المقصد الجمعي ، و العالم الخارجي الاجتماعي .

-قصدية فردية - قائمة في ذات البشير الإبراهيمي

-قصدية جمعية - فعل جماعي لدى أبناء الأمة ...

-العالم الخارجي - فعل كلامي انجازي مجتمعي .

ب- **طبيعة العلاقة بين المتخاطبين :** يعتبر هذا العنصر رافدا أساسيا في قيام عملية التواصل ، و التفاعل بين المتخاطبين ، إذ لا يمكن إرساء التضامن إلا بوجوده ، حيث يرى الدكتور طه عبد الرحمن أنّ الكلام ليس دخولا في علاقة لفظية بقدر ما هو دخول في علاقة مع الغير ، فإذا " انطوى الكلام على علاقة لفظية فينبغي أن تكون تابعة للعلاقة التخاطبية " ² إذ أنها أصل في عملية التخاطب " ينبني عليها غيرها ، و لا تنبني على غيرها " ³

¹ -طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ص224

² -المرجع نفسه ، ص 215

³ -المرجع نفسه الصفحة نفسها .

فخطابات الإصلاح لدى البشير الإبراهيمي التي وجهها لأبناء وطنه ، و أمته تعكس بشفافية وجود هذه الروابط الجامعة التي تشكل "أساس الانسجام " ، و المكونة من الأهداف و المقاصد المشتركة ، و وحدة المصير و التأدب ...حيث تزيد هذه العناصر من قوة العلاقة بين المتخاطبين في الخطابات التوجيهية الاجتماعية ، و الدينية و التربوية ، و قد تضعف في خطابات من قبيل الخطابات السياسية الموجهة للرد على الخصم .

لقد تجلّى التضامن في أرقى صورهِ من خلال الخطابات التوجيهية الاجتماعية والدينية ، و التربوية التي وجهها الإبراهيمي إلى أبناء أمته الجزائرية خاصة ، و العربية عامة ،حيث يمكننا استقراء احتكامها إلى قواعد التعاون الخطابي بالتزام قواعد التعامل المتفرعة عن مبدأ التصديق التي استقرأها د طه عبد الرحمن من التراث العربي :

أ- قاعدة القصد : ما كان خطاب الإبراهيمي هجرا و لا هذرا يفترى ، و لكن كان تصديقا لمقصدية تكشف عنها الدور الأخلاقي الذي ما فارق مضامين خطاباته الاجتماعية و الدينية و التعليمية الموجهة إلى أبناء أمته ، فانسأقت لغته غير بعيد عن روح هذه المسؤولية النبيلة و المتمثلة في الإصلاح فجاءت مهذبة مقومة لأجل التقويم ، و التهذيب السلوكي فإنك لا تجد ههنا فارقا بين المستويين التبليغي حيث وعى الإبراهيمي حقيقة قصده "التوجيه " كونه علامة ملتزم بقضايا إصلاحية و تقويمية لراهن متأزم بفعل الاستدمار و لا أدل على مقصديته الخطابية الواعية و الملتزمة أمام مخاطبه من قوله لقد تجلّى قصد التوجيه تارة تصرّحا و تارة تلميحا مما يستدعي دخول المخاطب في عملية تعقب له بمعونة القرائن المقالية و المقامية المتعلقة بهذا الخطاب أو ذاك

قاعدة الصدق : يتجلّى صدق المقال لدى الإبراهيمي في مستوياته الثلاثة

أ - صدق الخبر : إنك لا تجد البتة خبرا غير مبني على يقين ذلك أنّ البشير الإبراهيمي ينطلق في إخباره من الواقع ، و تلك هي سمة الخطاب الهادف سواء أكان هذا الواقع ماضيا كأخبار السلف ، أو مستمدا من القراءان الكريم ، أو السنّة النبوية ، أو راهن الحياة التي يعيشها مخاطبه .

فهو حين يستنهض الهمم العربية للدفاع عن فلسطين يتزود بزاد من التاريخ ، و القراءان الكريم مما يجعل من خطابه قوة نافذة لا ترد فيقول : "يا فلسطين ...داست حماك سنابك الخيول البابلية ، وجاست خلال الديار سُبِي بنوك " أسلاف الصهيونيين " ، فلم ينتصر لك و لا لهم أحد ...ثم غزاك الرومان و أذلوا بنيك و اشتقوا منهم إثمنا في القتل .. و ما ظلمت يا فلسطين ولكن بنوك جروا عليك الجرائر ، و ما كنت لتقتلي من برائن الرومان لولا أن انتصف الله لك من عدوك بالإسلام و العربملكك الإسلام بالسيف و لكنه ما ساسك و لا ساس بنيك بالحيف فما بال هذه الطائفة الصهيونية تنكر الحق ... و تجدد الفضل ...و ما بال هذه الطائفة تدعي ما ليس لها حق ، و تطوي عشرات القرون لتصل بسفاهتها وعد موسى بوعد بلفور ما بالها تدعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل ، و لا غزوة الرومانو إنما يستحق التراث من دافع عنه و حمى دونهو ما دافع الرومان إلا عمر و العرب و أبطال اليرموك و أجنادين ، و ما دافع الصليب و حامله إلا صلاح الدين و فوارس حطين " 1.

إن هذا الخطاب المثقل بحقائق التاريخ لا يدع مجالا للمجادلة و التكذيب في أن فلسطين ليست لغيرهم من المتخاذلين إنما : " هي للعرب كلهم و ليست تنال بالشعريات و الخطابات ، و إنما تنال بالتصميم ، و الحزم و الاتحاد و القوة " 2.

ب - الصدق في العمل : إن نبيل القصد قاعدة لبناء الصدق في العمل الذي يشعر المتلقي بحقيقة ما يلقي إليه .

ج - إذا تصفحنا جل الخطابات التوجيهية الهادفة إلى النصح ، و الإرشاد و التقويم خاصة تلك المتضمنة اللوم ، و العتاب على تقصير الأمة في واجبها تجاه وطنها أو أبناء وطنها ، أو دينها و دعوتها إلى إصلاح أوضاعها وجدنا الإبراهيمي لا يستثني نفسه من مضمون هذه الخطابات و في ذلك حفظ منه للسانه عن إشعار مخاطبه بوجود تفاوت بينهما

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ص 435-436 .
²المصدر نفسه ، ص 438.

ففي كلماته الواعظة إلى أبنائه المعلمين الذين وصفهم بالأحرار ، و لفهم بأناه الكريمة و ضم نفسه إليهم في خطاب موحد يدعووا نفسه ، و يدعوهم إلى أداء الواجب نحو أمتهم فيرجع بعمله الكثير إلى أعمالهم القليلة حتى كأنه من جيل الشباب ، و تلك أسمى مظاهر التضامن يقول : " إنّ هذه الأمة يا أبنائي هي أمتنا ، و هي رأس مالنا شئنا أم أبينا ، وهي عوننا على العلم فعلينا أن نراع شعورها في غير واجب يترك ، أو محرم يؤتى و إن نسير بها إلى الغاية في رفق و أناه " ¹ .

قاعدة الإخلاص : يضمن البشير خطاباته التوجيهية حرصا شديدا على تقديم حقوق مخاطبه متجردا بذلك عن الأغراض الشخصية التي تكون سببا في تنازع أطراف الخطاب تأدبا منه ، و إعلاء لشأن الآخر ، محققا بذلك شرط الإخلاص في خطاباته هذا الشرط الذي يورث تقربا صادقا من المخاطب إذ لا هم للإبراهيمي إلا إصلاح الأمة و المضي بها قدما على هدي ماضيها .

يقول الإبراهيمي : " أي أبنائي إنّ هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم ، و الرحمة بكم و الاهتمام بشؤونكم ما تنبتّ منه الحبال ، و تنوء بحمله الجبال ، و هو يرثي لحاكم من الغربة و إلحاح الأزمات و يود بقطع وتينه لو أزيحت عللكم ، و رقع بالسداد خللكم و لكنكم جنود و متى طمع الجندي في رفهنية العيش ؟ و أسود و متى عاش الأسد على التّدليل ؟ و هو يشعر أنّ التّدليل تدليل " ² يحمل هذا الخطاب ما لا يدع شكّا للمتلقي أنّ الإبراهيمي حريص على مصلحته ، فالفعل التوجيهي ههنا غايته جلب النّفع للمرسل دون المرسل إليه .

إنّ استيفاء صدق الخبر ، و الصدق في العمل ، و الصدق في مطابقة القول للعمل لدى البشير الإبراهيمي فتح باب التّواصل الصادق غير المنقطع العرى بينه و بين من عاصره من مخاطبيه و من لم يعاصره من أجيال لاحقة ، مازالت واقفة عند حدود خطاباته

¹-المصدر نفسه ، ج3ص 270 .

²- المصدر نفسه ، ج 3 ص265

تستدر منها النفع و تبني على نهجه خطاباتها. فقد كان " أمة ، كان جيلا ، كان عصرا ، كان من أولئك الأفذاذ القلائل ، الذين أملوا إرادتهم على الحياة ، و أخضعوا الأيام لمشيئتهم فكيفوها كما أرادوا ، و أخرجوا بلادهم من مصير شاءه لها الظالمون إلى مصير رسموه لها بأنفسهم ، فحددوا أهدافه ، و استبانوا مسالكه ، و اقتحموا اقتحام الرواد الصادقين طريقه الوعر المنهك للقوى ¹ .

تسلح الإبراهيمي بزاد لغوي طبع خطابه بروح الأصالة فقد كان: " إماما في العربية و بلاغتها ، تفقه في أسرارها و تغذى بآدابها و استنار بقرآنها ، و كان خطيبا مصقعا ، يهز القلوب ببيان ساحر ، يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من سلطان ، في عهد قس بن ساعدة و سبحان ، كان محدثا بارعا ، لطيفا يغمر مجالسه بالحكمة و يجملها بالنكتة و يعطرها بتاريخ ينعش الأرواح و العقولو كان ديوانا لأيام العرب و آدابهم و تقاليدهم ، في أفراحهم و أحزانهم في حربهم و سلمهم يروي عنهم فهما و بصيرة و يصدر عن حافظ واعية ... مما جعله ² . " جاحظ عصره ، و بديع زمانه مما جعله بحق ، معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين ³ .

لقد آثرت مبدأ التصديق كوسيلة لاستقراء الجانب التهذيبي الأخلاقي في الخطاب الإبراهيمي لأنه يتلاءم و روح الخطاب التوجيهي ، كونه مستمدا من التراث العربي الإسلامي ، وسيرا على نهج د طه عبد الرحمن الذي يرى أن هذا المبدأ "يقوم بشرط التقرب من الغير و هما الصدق و الإخلاص ، فيكون بذلك أفضل المبادئ ، و أكملها جميعا" ⁴ ليخرج بذلك مستوى التخاطب لدى الإبراهيمي من بوتقة التأدب الاجتماعي المبني على الكياسة ، و المجاملة و المداراة تحقيقا للمصالح الشخصية إلى مرتبة التخلق المبني على الإخلاص ، الذي به يتحقق سمو الفعل الخطابي بوصفه أبرز سمة خص بها الله البشر و دليل

¹- أحمد توفيق المدني ، الإبراهيمي كان أمة ، كان جيلا ، كان عصرا ، ضمن كتاب البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه دار الأمة للطباعة النشر و التوزيع ط2 2012 ص 39

²عبد الرحمن شيبان ، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و اللغة العربية ، ضمن كتاب البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه ص 71 .

³ المرجع نفسه الصفحة نفسها .

⁴ - طه عبد الرحمن اللسان و الميزان ، ص 253

ذلك أنّ " علماء المسلمين ، كلما اشتغلوا بهذا الجانب ، أفضى بهم ذلك إلى الاشتغال بما أسموه بـ"آفات الكلام بوصفها من أقبح مساوئ الأخلاق كما أفضى بهم إلى الاشتغال بأسباب الخروج من هذه الآفات بوصفه هذا الخروج هو الذي يورث التحلي بمكارم الأخلاق " ¹ .

3-المظاهر اللغوية في الاستراتيجية التضامنية :

أ- الإشارات :وهي الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي ، تعنى باستجلاء مدى ظهور المخاطب والسياق الزماني والمكاني في الخطاب ، و ذلك بتتبع العناصر الإشارية المتمثلة في الضمائر وظروف الزمان والمكان، وما تحيل عليه في السياق الذي وردت فيه.

وهي: " العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها .لذلك سميت مبهمات أو متحولات، ورغم أن كل الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين، إلا أن الإشارات تتواجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين " ² .

وبالرغم من ارتباطها بالمرجع الذي تحيل عليه في الخطاب المتلفظ به، إلا أن هذا المرجع يتصف بعدم الثبات؛ لأنه يتغير تبعا للسياق الذي ترد فيه الإشارات .وتكمن أهمية الإشارات في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة.

1- الإشارات الشخصية : تصنّف الإشارات الشخصية تبعا لمعايير كثيرة منها :

العدد والجنس وبعد المرسل عن المرجع فتصنّف ضمائر الرفع المنفصلة مثلا على النحو الآتي:«اعلم أن المضمّر المرفوع إذا حدّث عن نفسه فإنّ علامته أنا , وإن حدث عن نفسه و عن الآخر قال نحن , وإن حدّث عن نفسه و عن الآخرين قال نحن... وأما المضمّر المخاطب فعلامته إذا كان واحدا أنت , وإن خاطبت اثنين فعلامتهما أنتما , وإن خاطبت جمعا فعلامته أنتم..» ³ .

1- المرجع نفسه الصفحة نفسها .

2- ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ،ص79

3 - سيبوسة ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط/3، مكتبة الخناجي القاهرة 1988 ، ج/2، ص350- 351

بالرغم من تعيين القاعدة لأصول الدوال الإشارية إلا أنه ومن وجهة نظر التداول لا تستقرّ بعض دلالاتها على مرجع محدد ، الأمر الذي يجعل منها أداة مطواعة يوظفها المرسل للتعبير عن قصده بأي صورة شاء ، فيلجأ أحيانا إلى إخراجها عن مدلولاتها الأصلية ليحيل بها على غير ما وضعت له : «فيحوّل بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمان من وظيفتها الدلالية على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشرا على القصد »¹.

تعتبر الإشارات الشخصية وحدات لغوية تستعمل كوسائل لتأسيس الأرضيات المشتركة بين المتخاطبين ، متجاوزة بذلك حدود دلالاتها الوضعية " قربا ، و بعدا ، و عددا " إلى تحقيق أهداف خطابية نبيلة كالتضامن .

من ذلك خروج " نحن " عن معناها الحرفي كأداة إشارية تجمع المرسل بالمرسل إليه لتكون مؤشرا على الوظيفة القصدية "التداولية" ألا وهي التضامن مع المرسل إليه والتي أطلق عليها (فاولر fowler) اسم " نحن التعاونية " ، ذلك أنها : «تؤدي دورا تعاونيا أو تعبر عنه على الأقل و قد عرف الناس أهمية استعمالها في المفاوضات ، أو المناقشات أو الخطب أو الإعلانات و بناء عليه فإنّ هناك من يوصي بقوله :استخدم ضمير نحن بدلا من ضمير أنا و أنت »².

و عليه يتضمن الضمير " نحن " -إذا ما استعمله المرسل للإحالة إلى ذاته ، و ذات المرسل إليه - دلالة تضامنية تحمل قوّة عاطفية ،تمّحي عندها معالم الفرقة والاختلاف بجمعها المرسل بالمرسل إليه وكأنّهما واحد. لتختلف بذلك عمّا أطلقت عليه لا كوف اسم "نحن القاصرة" التي تحيل إلى المرسل فقط ، ويكثر استعمالها من لدن أصحاب السّلطة مثل الخلفاء والوزراء .

¹ - ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص292

² - المرجع نفسه ، ص298 .

استعملت نحن في خطابات الإبراهيمي تداوليا كدال إشاري للجمع بينه و بين المخاطب ، إرساءً منه لمبادئ التآزر الذي أملتة المصلحة المشتركة ، و المصير الواحد .

قال البشير متحدثا إلى الأعضاء الجدد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منوها بدورهم في حماية هذا الرابط الطبيعي بين الأقطار العربية إذ أنها " الرحم الواصلة بيننا و هي اللحمة الجامعة لخصائصنا و آدابنا "¹

و لنعلم أنه إن أصابها سوء و نحن عصابة إننا إذن لخاسرون ، و لسنا لعدنان و لا لقحطان إن سيمت العربية ضيما و نحن حماة ثغورها²

فمرجع نحن ههنا هو = البشير الإبراهيمي + الأعضاء الجدد بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

نحن = أنا + أنتم

عدل البشير الإبراهيمي عن استعمال الضمير أنتم إلى نحن بالرغم من مكانته الاجتماعية باعتباره أقدم الأعضاء و أكبرهم سنا ، و كذا مكانته العلمية كونه أحد جهايزة اللغة العربية إشعارا لسامعيه من الأعضاء الجدد بأنهم سواء في مسؤوليتهم و أنه لا فرق بينهم .

و يقول متحدثا عن فلسطين : " و تكلم القائد البطل عن أولئك البائسين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا : وطننا فلسطين و الذين نسميهم مشردين ونحن شردناهم بما كسبت أيدينا "³

و يقول أيضا : " إن أعمال أجدادنا في فلسطين و إرثها ، و حمايتها هي وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها ، و حجة ناطقة علينا إن نحن قصرنا فيها و فرطنا في جنبها "⁴

يتحدد مرجع نحن في هذا السياق بـ أنا " البشير الإبراهيمي " + أنتم " كل العرب "

¹- محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج5 ص 292

²- المصدر نفسه ، ج 5 ص 294

³ المصدر نفسه ، ج 4 ص 138

⁴- المصدر نفسه ، ج 4 ص 139

و يقول متحدثا عن الشباب : " إنَّ شبابنا اليوم يتخبط في ظلمات من الأفكار المتضاربة و السبل المضلة تتنازعه الدعايات المختلفة التي يقرأها في الجريدة و الكتاب و يسمعها في الشارع و في المدرسة ...و نحن ساكتون كأن أمر هؤلاء الضباب لا يعنينا و كأنهم ليسوا منا و لسنا منهم " ¹ .

تشير نحن إلى المرجع أنــــا البشير + أنتم " حملة الأقلام و الكتاب " .

و يقول : " إننا نعد من معجزات محمد الخالدة ، تلك النذر التي كان ينذر بها أصحابه ...و قد بلغتنا أوصافها التي نحن عليها الآن في القرن الرابع عشر ...و أبلغ ما في تلك النذر المحمدية قوله صلى الله عليه و سلم لمن سألته : أو من قلة فينا يا رسول الله ؟لا لا بل أنتم كثير و لكنكم غثاء كغثاء السيل لا منفعة فيه و لا غناء ، نحن خمسمائة مليون فيما يعد العادون... " ² .

فمرجع نحن في هذا الخطاب هو" أنا " البشير الإبراهيمي + "أنتم "المسلمون كافة في باكستان و غيرها من أقطار العالم .

و يقول أيضا : " إنَّ اليهود بنوا أمرهم على كلمة و هم واصلون إلى تطبيقها ما دما على هذه الحالة فلنبن نحن أمرنا على عكسها إن كنا رجالا و نعمل على تحقيقها متساندين هم يقولون : لا معنى لفلسطين بدون القدس و لا معنى للقدس بدون الهيكل المظهور تحت الأقصى فلنعكس نحن لهم القضية ما دامت الأقدار قد أوقفنا منهم هذا الموقف " ³

نحن = أنا" البشير الإبراهيمي" + أنتم " العرب " و المسلمون عامة .

و قد ورد هذا الدال الإشاري في مواضع عديدة مضمرا في صورة " نا " الدالة على الجمع المتكلم و التي كانت أكثر اطرادا من الضمير المنفصل " نحن " في مثل قوله لإي خطاب "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار : " إننا - يا أبنائي - كنا أول من نام ، و آخر من

¹-محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4 ص 221

²- المصدر نفسه ج4 ص 220

³- المصدر نفسه ج 4 ص 297- 298

استيقظ ، فمن الحزم أن لا نقطع الوقت في العتاب و الملام و من الحزم أن نحاسب على الدقائق ، إذا تحاسب غيرنا على الساعات ، إن ورائنا من الزمن سائقا عنيفا ، و إن معنا من العصر و روحه زاجرا مخيفا ، و إن أمامنا سبلا وعرة ، و صراطا أرق من الشعرة ، و إن عن أيماننا و عن شمائلنا عوائق من الدهر¹

توسل البشير الإبراهيمي الضمير المتصل "النون" بدلا من الضمير المنفصل نحن بعد أن عدل عن استعمال ضمير الخطاب أنتم اعتبارا لعامل القصد الذي يقتضي إشراك ذات المتكلم و ذات الآخر بحيث يتخلل الأول عن سلطته لتتجاوز الوظيفة النحوية التي تدل على زمن الفعل إلى الاستعمال التداولي للدلالة على التضامن فأمر الاستيقاظ من الغفلة و الانتهاء عن التلاوم و الدعوة إلى مراعاة الوقت بغية إصلاح ما فسد ليس أمرا مقصورا على العامة دون الخاصة هذا إن لم نقل أن الخاصة أولى بذلك حتى يكونوا قدوة لغيرهم لذلك فإن خيار " النون " المتصلة كان الخيار الأمثل لإبراز تآزر الذوات "الأنا و الآخر" في فعل الإصلاح .

الضمير أنا : كان الضمير أنا خيارا خطابيا ذا بعد تضامني توسلة الإبراهيمي للتعبير عن تآزره مع المخاطب و من ذلك قوله : "أيها الإخوة أنا و إخواني الأعضاء الجدد الذين أتكلم باسمهم نتقدم أولا بالحمد لله ...أيها الأخوة أنا سعيد بأن أتكلم في هذا اليوم ، وفي هذا المحفل " ² .

و يقول " أنا لا يرضيني أنني في وطني كل ، لأنتي مرجع لإخواني العلماء ، و مطاع من أتباع جمعيتي لأن هذا الكل مهما قوي ضعيف ، و لكن يسرني أن أكون جزءا من هذا الكل العظيم و هو علماء الإسلام بل أفخر بهذا " ³ .

وقوله أيضا : "و أنا بعد ذلك كله واحد من هذه العصابة التي تتخذ من القلم أداة الجهاد ، حين فاتها أن تتخذ السيف من أدوات الجهاد ، و فاتها أن تصطنع الحديد ذا البأس الشديدو أنا مجنون هذه الأمة العربية المفتون بماضيها و حاضرها " ¹ .

¹ محمد البشير الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 262-263

² المصدر نفسه ، ج 5 ص 295

³ المصدر نفسه ، ج 4 ص 80 .

خرج الضمير أنا في الخطابات السابقة من بوتقة التعبير عن الذات إلى بيان البشير حرصه و تآزره مع مخاطبيه ، فكانت أناه تذوب في الآخر مودة و رحمة و تآزرا ، و من الملاحظ أنه الضمير الأقل ورودا مقارنة بضمير نحن .

الضمير أنتم/ أنت : يخرج الدال الإشاري أنتم / أنت عن كونه ضميرا دالا على المخاطب الجمع / المفرد إلى كونه دالا إشاريا على التعاون و التضامن في الخطاب إذا " أدى دورا في محو الفوارق بين المتخاطبين ، فالتقارب سبب قوي في تحقيق مشاعر التعاون المثمر بين المتكلمين ، و يكون سبيلا متميزا للتضامن حينما يجيء صورة مدح و ثناء أو تركية و مباركة " ² .

يقول البشير الإبراهيمي متحدثا إلى المعلمين : " وصفناكم - في العدد الخاص بالمدارس - بما أنتم أهل له ، و ذكرناكم - ذكركم الله في الملا الأعلى - بالخير و الجميل..... ها أنتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين الجهاد ، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطلا في الميدان ، و ها أنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين و الدنيا " ³ .

و يقول : " مهلا فلذات الأكباد ، و ثمرات الأفئدة ، و تزودوها نصيحة خالصة محضتها التجربة و محصها الاختبار ، قد مضى أمسكم بخيره و شره ، و سينطوي يومكم هذا على غره ، و إنما أنتم أبناء الغد و الغد محجوب ، فتدعوا له بالأخلاق الفاضلة تملكوا أزمته و تنقوا مذمته ، و إنما أنتم موكولون إلى العمل و العمل محسوب ، فأعيذك أن يقول التاريخ عنكم ما قال عنا ، و إنما أنتم أبناء العروبة و الإسلام فكونوا للعروبة و الإسلام " ⁴ .

و يقول أيضا " أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غدا جنود العمل " ⁵ .

¹ - المصدر نفسه ج 4 ص 224- 225

² - إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة ، ص 289

³ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 262

⁴ - المصدر نفسه، ج 1 ص 244

⁵ - المصدر نفسه ، ج 3 ص 204

و يقول مخاطبا الشباب "فلنن كنّا قريبا من لقاء الله بالموت فلأنتم أقرب إليه بالحياة ، و لنن صحبكم الاتصال به في جميع المراحل فيا بشراكم ، و لنن كنّا نقبل عليه كارهين متسخطين على الموت فأنتم مقبلون من عنده فرحين بالحياة مستبشرين"¹ .

إنّ استخدام الدال الإشاري " أنتم " في المقامات السالفة مقترنا بالثناء و المدح ، يمثل سبيلا تعاونيا ، يعزز روح التشارك بين الإبراهيمي ، و مخاطبيه فأنتم ههنا لا تكتنف معناها النحوي فحسب ، إنّما تحيل على أنّ الذات الباعثة تجلّ و تعلي من شأن مخاطبها .

عدل البشير في مواضع عديدة من خطابه التوجيهية عن استعمال الضمير الخطاب المنفصل الدال على الجمع إلى استخدام الضمير المتصل " كم "

يقول : "أيها الشباب ساء مثلا من أوهمكم أن بينكم و بين الموت فسحة و إمهالا ، ...فإنكم أقرب إلى الله من حيث المبدأ ، و أن أثر يد الله فيكم لأظهر ، وإن المسحة الإلاهية على شبابكم لأوضح ، و إن أغصانكم الغضة المورقة المطلولة بأنداء السماء و قد وخزتها خضرته من كل جانب ، وإن نفحات الله لتشتت م أعطافكم وشمائلكم"²

إنّ استعمال ضمائر الخطاب متصلة أو منفصلة في الأمثلة الآتية الذكر يعلي من شأن المخاطب و يزيكه ، و نحن نعلم يقينا من تجاربنا الاجتماعية أن تنزيه ذات المتلقي عن النقائص يورث تقربا و حميمية في العلاقة بينهما ، فتنحرف بذلك عن دلالة الوضع إلى لتدل تداوليا على التزكية و المباركة و الثناء .

2- الإشارات الاجتماعية : تضطلع الإشارات الاجتماعية بدور مهم في بناء النهج التضامني ، إذ أنّها توظف عادة " لتأكيد طبيعة العلاقة بين المتخاطبين ، أو علاقة ألفة أو مودة و بيان أدوارهم و هوياتهم "³ ومن بين الإشارات التي ترددت في خطابات التوجيه لدى البشير الإبراهيمي فأضفت نوعا من المودة و الألفة نذكر :

¹ - المصدر نفسه ، ج4 ص 270

² - المصدر نفسه ، ج4 ص 270

³ - ينظر إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة ، ص 271

أ-اللقب : يعتبر استعمال اللقب مؤشرا تداوليا على التآزر " التضامن " إذا ما حُمل معاني المودة ، و الاحترام ، و لعل أكثرها ورودا في خطابات الإبراهيمي و التي عبرت عن متانة العلاقة الاجتماعية بينه و بين مخاطبه ألقاب عديدة منها :

لقب " أخ " : يعتبر لفظ أخ أحد ألفاظ القرابة التي هي فرع من فروع الألقاب المتمثلة في " ابن ، أخ ، أخت ، أب ، عم ، جد ، جدة ، خال خالة " حيث يستعملها المرسل إذا كان : " لديه خيارا باستعمال غيرها ، و لكنه يفضلها للدلالة على التضامن ، أو فيما ليست حقيقة له ¹ إذ لا يمكن اعتبارها مؤشرا على التضامن إلا إذا " تلفظ بها المرسل إما بتنغيم مستو ، أو بتنغيم مناسب للسياق ² أي مناسب لمقصد التقرب ، و التودد من المخاطب .

رصع لفظ "أخ " بمعانيه الحميمية خطابات الإبراهيمي السياسية و الاجتماعية ، فلا يحلو له أن يخاطب متلقيه من أبناء العروبة ، و الإسلام إلا بهذا الوصف الجليل الذي جاء به ديننا الحنيف في آدابه السامية ، و مثله العليا و "الذي منذ فقدناه لم نجد أنفسنا و كأننا حبات انقطع سلكها فانتشرت فأصبحت كل حبة منها في كف لاقط " ³ فقد هيمن هذا اللقب بنسبة كبيرة من جملة الألقاب المستعملة في خطباته من ذلك قوله مستهلا خطابه الذي ألقاه في أول اجتماع للمجلس الإداري لجمعية العلماء بعد إطلاق سراحه من منفى آفلوا سنة 1943 : " أيها الإخوان : هذا أول اجتماع نعقده بعد أربع سنوات و نصف ، مرت كليالي الهجر على المحب العميدأيها الإخوان لو كنت غير من أنا و كنتم غير من أنتم لفض لساني في هذه الجلسة بشكر أياد سلفت منكم لأخيكم العاجز ولكنكم في جلالة أقداركم أغنياء عن الإطراء كما أنني في بساطتي غني عن المجاملة ⁴ .

فالمرسل عضو في جمعية العلماء و المرسل إليه أيضا بالرغم من وجود خيارات تلفظية أخرى من قبيل أيها "السادة أعضاء جمعية العلماء " غير أنه عدل عن استعمال اللقب العام إلى الخاص رغبة منه في التقرب و التضامن .

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 278

² المرجع نفسه الصفحة نفسها

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2 ص 465

⁴المصدر نفسه ، ج2 ص121

إن استعمال ألفاظ القرابة فيما ليست له حق دليل قوي على التضامن منها ما جاء في قوله : " حضرات أصحاب المعالي الوزراء

حضرات أصحاب السعادة و العزة ،

حضرات الزملاء حملة الأعلام ،

حضرات الإخوان : هذه ليلة ارتفعت فيها الكلف ، و غاب عنها العوائل ، و غفل عنها الرقباء – إن شاء الله – فاسمحوا لي أن أخرج عن الوضع المتعارف في رسوم الخطاب ، فأنا بصفتي رجلا مسلما ديناً أمثل الإسلام في بساطته ، و سماحته و اعتباراته الروحية يحلو لي أن أخطبكم بما جاء به الإسلام في آدابه الراقية ، و مثله العليا ، و هو وصف الأخوة " ¹ .

بعد التدرج في ذكر من حضر الحفل الذي أقيم على شرف الوفود العربية ، و الإسلامية في منظمة الأمم المتحدة يوم 29 جانفي 1952 بباريس في تدرجا من الأعلى إلى الأسفل في سلم الوظائف التي توحى بالاختلاف ، يربط بينها الإبراهيمي بحبل جامع تذوب معه الفوارق ، و تجتمع به الأرواح إنه لفظ الأخوة ، و تلك آية التضامن و الوحدة التي كان يسعى إليها في خطابه هذا ، و في معظم خطاباتها الإصلاحية حيث سعى إلى إعادة ترسيخها و بعثها بعدما غيبتها الفرقة .

لقد تفنن الإبراهيمي في تفريع هذا اللفظ على مساحة مدونته الشاسعة ، كما في رسالته إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ² و رسالته إلى حضرة الوزير خليل مردم بك التي وقعها قائلا " واسلموا جمعا لأخيك المعتر بكم " ³ ، فكان لازمة تتردد على أذن سامعيه و مخاطبيه فتستميل قلوبهم لتدعن من بعد ذلك ، و تسلم العقول لما يريد تبليغه من نصح ، و إرشاد و تقويم .

¹- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2 ص 464 .

²-المصدر نفسه ، ج 5 ص 221

³-المصدر نفسه ، ج4 ص 304

لقب ابن : من بين الألقاب التي حفل بها الخطاب البشيري ودلت على قرب المخاطب منه لقب " " ابن " الذي كان لازمة حلت خطاباته الموجهة إلى الشباب و المعلمين و المتعلمين من ذلك قوله في :

المثال 1 : " أوجه النداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشرق العربيإنكم يا أبنائنا مناط أماننا ، و مستودع أمانينا ... و إنكم يا أبنائنا فارقتم الأهل " ¹

المثال 2 : " أي أبنائي إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم و الرحمة بكم و الاهتمام بشؤونكم ما تنبت منه الحبال و تنوء بحمله الجبال و هو يرثي لحالك من الغرب و إلحاح الأزمات و يود بقطع وتينه لو أزيحت عللكم و رقع بالسداد خللكم و لكنكم جنود و متى طمع الجندي في رفهنية العيش ؟ و أسود و متى عاش الأسد على التدليل ؟ و هو يشعر أن التدليل تدليل " ²

المثال 3 : " و هذه الطائفة المجاهدة الصابرة عندنا تتوقع الموت ، و لا ترفع الصوت و لا مرجع لها بعد الله إلا جمعية العلماء التي حبيت إليهم التعليم و زينته في قلوبها ثم ساقتها إلى ميادينها ... فإذا لم تبذل كل مجهود في تخفيف البلاء و تهوين الغلاء عليهم بالزيادة في المرتبات فإن العاقبة تكون وخيمة و إذا كنا لا نخشى عليهم أن يفروا من الزحف ثقة بهم ... فإننا نخشى ما هو أسوأ عاقبة من ذلك... نخشى أن يعلموا أبنائنا بلا قلوب و لا عقول في وقت نحن أحوج ما نكون إلى صلة القلوب بالقلوب ، و تأثر العقول بالعقول " ³

قد كان للإبراهيمي أن يتلفظ بخطاب وفق مقتضيات سلطته الاجتماعية ، و العلمية بصفته أحد أئمة العلم ، و ساداته في الجزائر خاصة ، و الوطن العربي عامة فيستعمل كلمة الطلبة أو المعلمين ، أو المتعلمين عارية عن أي لقب إلا أنه عدل عن ذلك باستعمال لفظ ابن حتى يمنح خطابه صبغة ودية ، ليبيرهن أنه يعمل لصالح المرسل إليه .

¹ - المصدر نفسه ، ج 3 ص 201

² - المصدر نفسه ، ج 3 ص 265

³ - المصدر نفسه ، ج 3 ص 279

و قد لا يقف عند هذه الدرجة من التضامن بل يتجاوزها إلى درجة أعلى و حميمية أكثر بإضافة المتحدث إلى ذاته تارة بياء الإضافة الدالة على المنسوب إليه المفرد كما في " م 2 " أو نون الجماعة عندما يتحدث بصفته نائبا عن جمعية العلماء الجزائريين ، أو ممثلا للأمة الجزائرية كما في " م 3 ، م 1 " بحيث تزيد الروابط بين الطرفين تماسكا و تقوى عراها ، كيف لا و قد جعل متلقيه جزءا من ذاته .

3-الخطاب غير المباشر : تمثل آلية الخطاب غير المباشر خططا تخاطبيه تسعى إلى الحفاظ على الصلات الاجتماعية ، وبنائها و ذلك بالالتزام بقاعدة التعفف عند لاكوف التي تقضي "عدم الإلحاح أو إكراه المرسل إليه على فعل ما لا يريد" ¹ ، و ذلك بالابتعاد عن استعمال الخطاب المباشر، الذي قد يفضي أحيانا إلى إيقاف عملية التخاطب ، والتأثير سلبا على العلاقات الاجتماعية . وذلك في مقام الأمر والنهي مثلا إذ يُستحب استعمال صيغ الاستفهام أو العرض و الخبر الدالة على الطلب نحو قول الإبراهيمي : " أعيذكُم بالله و بشرف العلم أن تعودوا إلى الوطن كما فارقتموه بنصف قارئ و ربع قارئ و عشر قارئ

أعيذكُم بالله و بشرف العروبة أن تسري إليكم العدوى من ممتهني الوطنية فتمتحنوا العلمأعيذكُم بالله و بشرف الأبوة أن تعقوا آباءكم و وطنكم و أن تكونوا سخنة عين لهما فترجعوا بعد طول غيبة بالخيبة ، و صفر العيبة"²

يكتنف النص نهيا غير مباشر جاء في صيغة تعوذ من المنهي عنه ، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على شدة حرص البشير الإبراهيمي على أن لا يأتي مخاطبه أفعالا من قبيل عقوق الآباء و الوطن و الرجوع خائبين بعد طول غيبة و ذاك أسلوب لا يأتيه إلا متبصر بنفسية الشباب متضلع في اللغة العربية حيث يعد تخفيف حدة الطلب من عناصر التضامن عملا بمبادئ براون و لفسون " و بقاعدة لاكوف لا تفرض ما تريد عندما يكون ترحيب المرسل إليه بالطلب ه النتيجة .. " ³ فتلطيف الملفوظ مؤشر على الاستراتيجية التضامنية .

¹ - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان، ص 240

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام البشير الإبراهيمي ، ج3، ص 315

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 319

يطغى استعمال استراتيجية التضامن على استعمال استراتيجية التوجيه الصريح في خطابات البشير الإبراهيمي ، ذلك أنه يسعى إلى تأسّي علاقة ودية راقية مع مخاطبيه ، بغية تيسير طرق التفهيم و التعليم و التوجيه ، فهو لا يخاطب بمنطق التوجيه الصرف أو التواصل العمودي سعياً منه إلى التقرب بأدب من المرسل إليه قصد التأثير فيه أكثر .

الفصل الرابع

الاستراتيجية التلميحية و الإقناعية في خطاب الرشيد الإبراهيمي " التجليات و الآليات "

I. الاستراتيجية التلميحية في خطاب الرشيد الإبراهيمي : المفهوم / التجليات /
الآليات

II. الاستراتيجية الإقناعية في خطاب الرشيد الإبراهيمي : المفهوم / التجليات /
الآليات

I. الاستراتيجية التلميحية :

يلجأ البشير الإبراهيمي لدواعٍ سياقية إلى عدم المباشرة في كثير من خطابه لما لهذا النهج الخطابي من فاعلية في الوصول إلى الأهداف قد تفوق غيرها من السبل الكلامية ذلك أن الاستراتيجية التلميحية تتضمن تداوليا " بصمة المخاطب المتحضر الذي يتصف بقدر من اللباقة و الكياسة وحسن المعاملة و الإبداعية اللغوية في الممارسة الخطابية التي تظهر في تجاوز الحرفية "1* كما أنها "تضفي على الكلام ... المزيد من الفائدة و اللذة"2، ذلك أنها تكسو الخطاب " شكلا غريبا يُقنّعها دون أن يُخيفها "3.

يفسر كونتليان من منظور تداولي تواصلية سبب لجوئنا إلى استخدام الاستراتيجية التلميحية بأننا " نستعملها لهدف ثلاثي : أولا ، حين تُساورنا الشكوك حول وجوب التعبير بصراحة أم لا ، ثم ثانيا ، حين تحول أصول اللياقة دون الكلام المباشر ، و أخيرا ، بقصد بلوغ هدف الأناقة فحسب ، و لأنّ للحدث و التنوع سحرا يفوق سحر علاقة الوقائع المباشرة "4، فكثيرا ما نلجأ إلى هذه " الصورة بدافع التواضع أو المراعاة "5.

يتبلور هذا المنحى الخطابي عند البشير الإبراهيمي بناءً على معطين سياقيين هما :

العلاقة التخاطبية : تعكس الاستراتيجية التلميحية مهارة خطابية لا نظير لها عند البشير الإبراهيمي ، فقد اتخذها في كثير من الأحيان سبلا لفعله التوجيهي العام ، حيث يتجلى حسن اختيار اللفظ و العبارة و براعة التلميح و الإشارة ، و ما ذلك إلا لأنّ التوجيه بالتلميح أبلغ من التوجيه تصريحاً لما له من حفظ لماء وجهه المخاطب .

السلطة : إنّ السلطة العلمية التي يتمتع بها البشير الإبراهيمي مكنته من توظيف هذه الاستراتيجية في ثنايا خطابه التوجيهي ببراعة سيما و أنّه يمتلك ناصية السلطة اللغوية التي ضمت له خطاباً توجيهياً نافذاً يتردد صده حتى يومنا هذا .

¹ إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة ص 331.

² كيريرات- أوريكيوني -المضمّر -تر.ريتّا خاطر . المنظمة العربية للترجمة . بيروت . ط 1 . 2008 ص 497.

³ المرجع نفسه ص نفسها .

⁴ المرجع نفسه ص نفسها .

⁵ المرجع نفسه ص 498.

2- الأدوات و الآليات اللغوية : نذكر من بين الأدوات ، و الآليات اللغوية التي توسلها البشير الإبراهيمي للتلميح بقصده:

أ- ألفاظ الكنايات و الروابط و الظروف الانجازية :

ألفاظ الكنايات هي : « كم ، كأي ، كذا ، كيت ، ذيت ، بضع و بضعة ، نيف ، فلان و فلانة »¹ إذ يستعمل لفظ " كذا " على سبيل المثال للكناية عن المقادير و الأعمال ، كقول الإبراهيمي متحدثا عن نقطة النزاع بينهم و بين الطريقين : " أيها الناس إنّ نقطة النزاع بيننا و بين هؤلاء ما علمتم : هو هذه العامة التي أضلوها و أدلوها ، و غاية الشيطان أن يُضل ... فإن كان بعد ذلك بيننا و بينهم نزاع في شيء ، فهو وسائلهم التي يمهدون بها لهذا القصد ... فإن كان بعد ذلك شيء ، فهو لا شيء إلا أنهم يقولون بغير فهم : إنهم و هابيون و كذا و كذا "²

أراد المرسل من خلال استعماله للفظ " كذا " أن يكتفي عن أمور مبهمة لا يريد الإفصاح عنها للمرسل إليه ، و على المرسل أن يتوصل إلى مقصده من استعمال " كذا " كأن تغدو دلالة مفهوم الخطاب كما يلي :

- قيل عنا ما هو أشنع من هذا و لا أريد الإفصاح عنه .

و قال أيضا : " فمن كان يريد أن يؤرخ للطريقة بهذا الوطن ، و لاشتداده فيه و امتدادها منه فليُجلس قلمه ، فهذه آخر صحيفة من كتابها ، و ليختمه بتسجيل سنة الوفاة ، بإقحام سطر : ماتت - لا رحمها الله - بين سنة كذا و كذا " ³.

لعل الغرض التداولي من استعمال كذا و كذا و إخفاء سنة الوفاة هو التّدليل على أنّ هذا الكيان مجهول الهوية ، فيجهل تاريخ وفاته تماما كما يحي و يموت الإنسان المجهول .

¹ راجي الأسمر ، الموسوعة الثقافية العامة - علم النحو - دار الحيل بيروت - لبنان ص 176

² أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ص 121

³ المرجع نفسه ص 407

و مما يستعمل للكناية عن الحديث و الخبر ، قولهم : سمعنا من فلان كيت و كيت و فعلت ذيت و ذيت إذ تستعمل « إبهاما على بعض من يسمعأو لشناعة المعبر عنهأو الفعل القبيح»¹ .

و من ألفاظ الكناية التي استخدمها البشير الإبراهيمي لفظ " فلان " قوله : " يقولون عنا لو أسقطوا من حسابهم فلانا و فلانا ... و لا يأتون في جواب لو هذه بشيء سديد ، و نحن يحق لنا أن نكشف و لو مرة في العمر ، فدعوني آخذ نوبتي في المكاشفة عن جواب لو هذه و هاكم تركيب الجملة " لو أسقطوا من حسابهم فلانا و فلانا لا اثنين لقلنا لهم أسقطوا فلانا و فلانا لاثنين آخرين حتى لا يبقى ... " .

لعل سبب الكناية عن الأعضاء المطلوب من جمعية العلماء المسلمين إسقاطهم من حسابها راجع لأمرين ، أما الأول فهو علم الطريقين بهم و ثانيهما عدم أخذ كلامهم بعين الحساب حتى كأنهم لم يقولوا ، و في ذلك دافع لعدم الذكر أو ربما يؤدي ذكر هؤلاء عند العامة إلى استنقاص أمانتهم .

و مما استعمله الإبراهيمي للكناية أيضا حرف " لو خاصة الشرطية الامتناعية " ، و ذلك في مثل قوله مخاطبا رجال الدين ، الذين نصبتهم الحكومة الفرنسية ثم كرمتهم بالنياشين لولائهم لها : " لو كنتم تحملون سمة الآثار التاريخية ، و كان استبقاء هذه الحكومة عليكم في معنى المحافظة على التُّحف ، لكان ذلك أشرف لكم لأنّ في هذا النوع من المحافظة احتراماً للتاريخ و إحلالاً للقديم "² في قول الإبراهيمي تلميح إلى أمرين إنّ رجال الدين أولئك لا يحملون سمة الآثار التاريخية ، بمعنى أنّهم مفرغون من الأصالة ، لا صلة لهم بتاريخهم و أنّ تمسك الاستعمار بهم ليس بشرف لهم إنّما هو امتهان ، و احتقار حيث ربط جملة الشرط بجملة جواب الشرط بالرابط " لو " ليبرهن أنّ غياب الأصالة و انعدامها في هؤلاء سبب كافي لتفسير اهتمام الاستعمار بهم أنّه احتقار و امتهان لهم .

¹-ابن الحاجب ، الكافية في النحو، ج2 ص 93 .

²-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 123

ويقول أيضا : " لو أن المسيحية كانت تسير برشد و بصيرة ، وتجري على شيء من بقايا هدي المسيح ، لاتخذت من الإسلام صديقا لا عدوا ، وحليفا لا منابذا ، ولو كانت على شيء من الوفاء ، وحفظ الجميل لذكرت له موافقه في الإبقاء عليها ، وفي تحريرها من سلطة المستبدين من ملوكها ، وقد كان من القوة بحيث يستطيع محوها من دياره ، ولو ذكرت ذلك لأرضته في جميع الأقطار بإعانتته على التحرير في الجزائر ، ولو فعلت ذلك لخدمت مصلحتها قبل مصلحة الإسلام ، ولكن روحانية عيسى جفت ...ولكن موازين الأحلام خفت ...ولكن مغريات الاستعمار حفت ...فأصبح دين المسيح خادما للاستعمار ، و أصبح أصحابه في غفلة يعمهون ، لا يدرون أن هذا الاستعمار من عمل الشيطان ومن أعداء المسيح ، و أنه يستخدم المسيحية لهدم الأديان ، ثم يعود عليها هي فيهدمها ، وإن هذا لهو الحق المبين "¹.

يُلمح البشير الإبراهيمي في طيات خطابه مستعملا أسلوب الشرط بلو الامتناعية ، إلى أن المسيحية لم تكن تسير برشد و بصيرة و لم تجر على شيء من بقايا هدي المسيح ، فاتخذت من الإسلام عدوا لا صديقا و منابذا لا حليفا ، و لم تكن على شيء من الوفاء ، و حفظ الجميل فلم تذكر له موافقه في الإبقاء عليها ، و في تحريرها من سلطة المستبدين ...ولم تفعل ذلك فما خدمت مصالحها قبل مصلحة الإسلام .

و مما سبق يتضح أن جملة الأدوات الآنف الذكر تشير إلى قصد خفي " مستور " لا يريد صاحبه الكشف عنه مباشرة ليدع للمرسل الدور في تفكيك الخطاب و إعادة بنائه من جديد .

ب- لأفعال الكلامية غير المباشرة:

يُراد بالأفعال الكلامية غير المباشرة في الدرس التداولي ، تلك : « الأفعال الكلامية التي تؤدي بعبارات لغوية صُرّفت عن معناها الأصلي إلى معنى آخر يُفهم بقرائن سياقية

¹محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 127.

وغير سياقية ، كصرف الاستفهام إلى الإنكار ، أو الطلب و هي ذات أشكال و تجليات لغوية متعددة..¹

وقد أشار إلى ذلك القدماء كما ورد عند السكاكي مثلاً ، وذلك عند حصره لقانون الطلب في خمسة أبواب هي : « الأمر و النهي و الاستفهام و التمني و النداء »² ، و وأما إذا امتنع إجراء هذه الأصول على معانيها الحقيقية فإنه يتولّد منها ما ينساب المقام من معاني فرعية ، و ذلك " كتوليد الأمر من الاستفهام في مثل قوله تعالى:

(فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)⁴ فالاستفهام مستعمل « في استبطاء الشكر و مكنى به عن الأمر بالشكر »³.

تنبني عملية توليد المعنى الفرعي " قصد المرسل " من المعنى الأصلي " الحرفي " على آلية استدلالية يُضبط نسقها على النحو الآتي:⁴

1- يؤدي عدم المطابقة المقاميّة إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراءه .

2- يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي معنى آخر يناسب السياق.

وقد عقد ابن جني في خصائصه فصلاً في الحديث عن خروج الأساليب عن مقتضى الظاهر إذا ضامّها طارئ ، و ضرب لذلك مثلاً «الاستفهام إذا ضامه معنى التّعجب استحال خبراً، و ذلك قولك: مررت برجل، أي رجل. فأنّت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل و لست مستفهماً ، و كذلك مررت برجل أيّما رجلٍ، لأنّ ما زائدة ، وإنّما كان كذلك لأنّ أصل الاستفهام الخبر ، و التّعجب ضرب من الخبر فكان التّعجب لما طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبرية»⁵.

¹ محمد صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول، ص 97.

² السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 307 .

³ القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 68.

⁴ أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 98.

⁵ ابن جني ، الخصائص، ج 3، ص 98

يتضمن قول ابن جني التفاتة إلى دور التّنعيم في تحويل دلالات الأفعال الكلامية ليكون بذلك من أهم المؤشرات ، إن لم يكن المؤشر الرئيس للتفريق بين الأفعال اللغوية في الخطاب الشفهي.

1-البعد التلمحي للتثنية المتضادة الأمر و النهي في خطاب البشير الإبراهيمي :

وبالاعتماد على التثنيات المتضادة في الصّنف الواحد من الأفعال الإنجازية يستطيع المرسل أن ينجز أكثر من فعل كلامي في آن واحد ، كصنف الأفعال التوجيهية " الأمر و النهي ... "، هذا ما أشار إليه الرّازي بقوله : « إن الأمر بالشئ نهى عن ضده ، اعلم أنا لا نريد بهذا: أن صيغة الأمر هي صيغة النهي ، بل المراد : أنّ الأمر بالشئ دال عن المنع من نقيضه بطريق الالتزام.... و أنّ ما دلّ على وجوب الشئ دلّ على وجوب ما هو من ضروراته إذا كان مقدورا للمكلف.... و الطّلب الجازم من ضروراته: المنع من الإخلال به فاللفظ الدال على الطّلب الجازم، وجب أن يكون دالا على المنع من الإخلال به بطريق الالتزام»¹.

يقول البشير الإبراهيمي مخاطبا المعلمين : " ها أنتم هؤلاء من مدارسكم عروش ممالك ، رعاياها أبناء الأمة و أفلاذ أكبادها ، تريدون نفوسهم على الدين وحقائقه... فقفوا عند هذه الحدود ، و اجعلوها مقدّمة على البرنامج الآلي في العمل و الاعتبار ، وفي السبر و الاختبار ، و احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التّعليم ، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم ، واجعلوها حاديتكم في تربية هذا الجيل الصغير ، و هاديتكم في تكوينه ، وهي : أنّ هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم ، و إنّما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق ، فمنها كانت الخيبة ، ومنها كان الإخفاق ، ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال ، منطبقا على ما يرونه و يشهدونه منكم من الأعمال

¹-الرازي ،المحصل في علم الأصول علق عليه ووضع حواشيه محمد. عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420-

، فإنّ النَّاشئ الصغير مرهف الحسّ ، طلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغلفون عنها ، ولا ينالها اهتمامكم ، و إنه قوي الإدراك للمعاييب والكمالات ، فإذا زينتم له الصدق ، فكونوا صادقين ، و إذا حسنتم له الصبر ، فكونوا من الصابرين ، و اعملوا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل ، و أن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلا في أرواحكم ¹. تستلزم الأوامر الواردة في القول نهيا عن ضدها فتكون بذلك على الشكل الآتي:

صيغة الأمر	دلالة النهي المستلزمة من صيغة الأمر
ففقوا عند هذه الحدود	لا تتعدوا هذه الحدود
ثم احرصوا على أن يكون	لا تهملوا أن تكون أفعالكم ...
فكونوا صادقين	لا تكونوا كاذبين
فكونوا من الصابرين	فلا تكونوا من القانطين

و يذهب سيرل إلى أنّ بين الأفعال الإنجازية المباشرة ، و الأفعال الإنجازية غير المباشرة نقاط تقاطع تتمثل في « توفر كليهما على أسس و معايير القوى الانجازية » شروط المحتوى القضوي و الغرض الإنجازي و اتجاه المطابقة، شرط الصراحة بينما يختلفان في كون الأولى تشتمل على قوة إنجازية واحدة و تشتمل الثانية على قوتين انجازيتين ²»

و يتضح ذلك من خلال الاستفهام الذي حقيقته الطلب أو الالتماس.

1- هلا أعطيتني الملح من فضلك ؟

2- هلا تفضلت بتوقيع هذه الورقة من فضلك ؟

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص 264

² محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 75.

و لكي يتمكن مستعملو اللّغة من معرفة كيفية استخدام و تأويل الأفعال اللّغوية غير المباشرة لابد من تفعيل الأسس ، و القواعد المنطقية و اللّسانية ، و العقلية التي تستدعيها الاستعدادات الفطرية التّواصلية هذا ما يؤكده سيرل بقول: « ولكي أكون واضحا فإنّ النموذج التفسيري للجهة (aspect) غير المباشرة لابد أن يشتمل على ما يلي:

1- نظرية الأفعال الكلامية المباشرة أي جزؤها الحيوي و هو الأفعال المتضمنة في القول

2- خلفية تواصلية مشتركة بين المتكلم تعتمد فيها على القدرات الاستدلالية للمستمع

مبادئ و قواعد عامة تؤطر الحوار كان قد بحثها جريس..¹.

و تبعا لذلك راح سيرل يضع مراحل إنتاج و إدراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معين أو في طبقة مقاميه معينة يوضحها المثال الآتي²

يطلب فلان من صاحبه(ع) مرافقته إلى السينما فيجيبه (ع) قائلا : إنني أراجع لامتحانات الغد.

المرحلة الأولى: لقد قدمت عرضًا لـ (ع) ، و كانت إجابته أنه يراجع تحضيرًا لامتحان الغد (أحداث الحوار).

المرحلة الثانية: اعتقد أنّ (ع) متعاون في المحادثة و أنّ ملاحظته في محلها (مبدأ التعاون).

المرحلة الثالثة: الإجابة الملائمة قد تكون: القبول، الرّفص، تدعيم دعوة أخرى مواصلة الحديث... (نظرية الأفعال الكلامية).

المرحلة الرابعة: لكن عباراته الحرفية لا تعبر عن أي شيء من هذا القبيل، إذن فهي ليست الإجابة الملائمة (توظيف القدرة الاستدلالية).

¹ محمد صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول ، ص98 .

² المرجع نفسه ، ص99-100 .

المرحلة الخامسة: من المحتمل إذن أنه كان يريد أن يقول أكثر ممّا قاله، و على افتراض أنّ ملاحظته في محلّها فإنّ عرضه الكلامي المستلزم مختلف عن عرضه الحرفي.

المرحلة السادسة: أعلم أنّ التحضير للامتحان يتطلب عادة الكثير من الوقت قياساً بأهمية و الذهاب إلى المسرح يتطلب مثل ذلك (خلفيات تواصلية معلومة مسبقاً) .

المرحلة السابعة: لا يمكنه إذن الذهاب إلى المسرح و التحضير للامتحان في أمسية واحدة (توظيف القدرة الاستدلالية).

المرحلة الثامنة : إنّ من الشروط الأولية لقبول الدعوة ، القدرة على انجاز ذلك الفعل (نظرية الأفعال الكلامية).

المرحلة التاسعة: الآن أدرك أنه قال شيئاً يدل على أنه لا يستطيع قبول دعوتي (استدلال من تركيب 8.7.1).

المرحلة العاشرة: غرضه الكلامي المستلزم إذن هو رفض دعوتي (استدلال من تركيب لمرحلتين 9.5).

انطلاقاً مما سبق يكون سيرل قد وضع جهازاً تفسيريّاً للأفعال الكلامية غير المباشرة

و آليات تأويلها لدى أفراد المجموعة اللّغوية ، و من ثم فهم تواصلهم بها، و قد اعترف هاهنا بأنّ « هذا الجهاز ينطوي على عدّة نقائص، و أنه لم يكن غافلاً عنها، منها أنّ الاستنتاج الذي توصل إليه قد يكون احتمالياً »¹

و على إثر دراسته للأفعال الكلامية غير المباشرة و بخاصة تلك التي تكون استفهاماً مقصوداً به الطلب لاحظ أنّ أهم دافع لاستخدامها هو التّأدّب ،و تعتبر الأفعال التّوجيهية أكثر الحقول استغلالاً لهذه الآلية: « ذلك أنّ حاجتها للتّأدّب تتخذ أولوية فيجعل من غير المناسب أن ينجز المرسل جمل الأمر بشكل مباشر مثل غادر الغرفة ،أو بالأدائيات الصريحة أنا

¹- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص100.

أمر ك بأن تغادر الغرفة ، ولهذا يلزمنا البحث عن وسائل غير مباشرة لانجاز الأفعال التوجيهية ، وهو الدافع الرئيس لاستعمال الاستراتيجية غير المباشرة»¹.

و تبعا لذلك قسم سيرل التوجيهات إلى مجموعات و ذلك بحسب « قدرة السامع على انجاز عمل ما و رغبته فيه ، و الباعث إليه ورغبة المتكلم أن يؤدي السامع فعلا ما و استجابة السامع له»²

و بديل يشبه منهج جرايس في معالجة الأفعال الكلامية غير المباشرة هو ذاك الذي اقترحه ليش leech إذ يقول : « بوجود التمييز بين "معنى" اللفظ (تفسيره الدلالي) "و قوته" (تفسيره البراغماتي) و فيما يخص الأفعال الكلامية غير المباشرة فإن معناها محدد "بتفسيرها الظاهري" و قوتها الانجازية غير المباشرة »³، و تبعا لوجهة النظر هذه فإن جملة من قبيل " هلاً تفضلت بتوقيع هذه الورقة من فضلك ؟ " هي جملة استفهامية في معناها الدلالي، و التماسية في قوتها البراغماتية .

و يؤكد ليش في هذا السياق على أنّ حقيقة اللامباشرة هي مسألة تدريجية تعتمد على مقدار الاستدلال الذي يجب اعتماده لاشتقاق القوة الإنجازية من المعنى الدلالي ، فإنه لا يجب الاقتصار على استخدام مبدأ التعاون فحسب ، بل يجب أن يتعداه إلى التعامل مع مبادئ أخرى كمبدأ التأدب ، ذلك أنّ انجاز الأفعال الكلامية غير المباشرة - في نظر ليش Leech- يتأسس على احترام مبدأ العلاقة عند جرايس و اعتبار مبدأ التأدب هو ما جعله يطلق على انجاز هذه الأفعال اسم « الاستراتيجية التلميحية " ذلك أنه من الطبيعي في الطلبات المؤدبة على سبيل المثال أن نسأل سؤالا عن رغبة المرسل إليه أو قدرته على انجاز فعل ما »⁴.

¹الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 392 .

²-أحمد محمود نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 82 .

³- كولنج ، الموسوعة اللغوية ج/3 ، ص 193 .

⁴الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 395 .

و مما سبق نخلص إلى القول أنّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة تشكل الجزء الأكبر إن لم نقل كل أحاديثنا نظرا لما تقتضيه طبيعة العلاقات الاجتماعية ، و التواصلية التي تفرض على المتكلم التّقيّد بمبادئ التّأدّب و يعتبر الوجه اللامباشر من الأفعال الكلامية الوجه الأسبق لذلك ، و هنا ما يشير إليه بعض الباحثين بقولهم «إننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة . فالأفعال الإنجازية التي لا تستخدم إلّا مباشرة قليلة جدا و هي تقتصر في الغالب على ما تسمى الأفعال المؤسّساتية أو التشريعية كالتوكيل و التفويض و الوصية والتوريث و غيرها لأن الأفعال الكلامية التي استخدمت هنا غير مباشرة فسوف تؤدي إلى اللبس و ضياع الحقوق»¹

2-البعد التلمحي للاستفهام في خطاب البشير الإبراهيمي :

تردد السؤال بشكل مكثف في الخطاب التوجيهي لدى البشير الإبراهيمي حيث خرج في كثير من الأحيان عن طلب معرفة أشياء ... ليكون وسيلة إثبات لقضايا ونقض لأخرى ، فكثيرا ما يتوصل إلى إنجاز الأفعال الكلامية غير المباشرة من طريق الاستفهام ، فالاستفهام " معنى نحوي " فعل كلامي مباشر دال على الاستخبار، تتولد عنه أفعال غير مباشرة كالتقرير و التوبيخ و الحض .. لا يتحدد معناها إلا بمعرفة السياق الذي وردت فيه و الغرض الإنجازي الذي يقصده المتكلم ، ومختلف الملابس المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب

إنّ إنجاز المتكلم لفعل خطابي كالاستفهام يقتضي أن يسند إليه الدور ،وفي الآن ذاته يسند إلى المستمع دورا آخر فالمرسل حين يستفهم ينتظر مشاركة المرسل إليه ولكي يتم الإنجاز ويتحقق الفعل الكلامي يشترط فهم المستمع لقوة الفعل الكلامي التي ضمّنها المرسل لاستفهامه ففوة الفعل الكلامي هي كل ما يتعلق بالإنجاز كالأمر و الاستفهام ...إلخ.

يرى ميشال مايير - Michel Myer الذي أرسى فلسفته على السؤال- أنّ الكلام في أصل حقيقته أجوبة، وأنّ المتكلم سائل في كل أحواله ليس باعتباره يطرح أسئلة، لكن

¹-أحمد محمود نحلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص83 .

باعتباره يسعى في كلامه إلى الجواب عن أسئلة تستثيره وتحركه، وبهذا يصير السؤال وافترض السؤال هو المحرك الأساس، والباعث الوحيد للإنسان المتكلم في كل أنشطته¹.

إذا نظرنا إلى الفعل الكلامي في قول البشير الإبراهيمي " وأنتم - في وضعكم العلمي - أبناء مدارس ، وجودها في زمن ، وروحها في زمان ، فهي من يقظتها في حلم ، وهي مع جدة الزمان في قدم ، وهي لا تعطي من الحياة إلا صورها الميتة ، وهياكلها العظيمة ، وألوانها الحائلة ، هذه المدارس التي بنيت بإرشاد القرآن ، فأصبحت وهي أبعد شيء عن القرآن ، وهدى القرآن ، وخلق القرآن ، بل يبعد من يقول: إنها أبحث معاول لهدم القرآن ، لأنها لم تخدم القرآن ، بهذه العلوم التي قالوا : إنها خادمة للقرآن ، فلم ترك النفوس التي جاء القرآن لتزكيته ، ولم تهينها لسعادة الدنيا ، ولا لسعادة الآخرة ، ولم ترفع العقل من درجة الحجر إلى درجة الاستقلال في التعقل ، ولم تصح موازينه في إدراك الحياة وفقه أسرارها ، وليت شعري : هل صححت دراسة المنطلق في هذه المدارس- بهذه الطريقة اللفظية العقيمة - إدراكات العقول ومقاييسها ، كما صححت إدراكات المعاصرين لماضي الأمم الأخرى؟ وهل طببت هذه المدارس لأخلاق أبنائها الذين أنووا زهرات أعمارهم فيها ؟ وهل أفاضت البيان في قرائحهم وألسنتهم وأقلامهم ؟"²

إنّ قصد الإبراهيمي ليس الاستخبار الذي يمثل القوة الإنجازية الحرفية المباشرة المجسدة في محض السؤال "هل صححت ، هل طببت ، هل أفاضت " ، وإنما هو التقرير كقوة إنجازية غير حرفية مضمّنة في سؤال يروم حمل " المخاطب على الإقرار و الاعتراف بأمر قد استقر عنده "³ ، و يتميز الاستفهام التقريري ههنا " بحفظ الوضع إذ لا ينتظر السائل من ورائه جوابا بقدر بقدر ما يحاول دفع المعارض إلى التخلي عن شكوكه لصالح ما يروم تقريره ، إذ في الغالب يأتي الرد إيجابيا "⁴ ، وهو ما حواه النص المذكور ، فالأسئلة الواردة لم تكن في الواقع بحاجة إلى الإجابة عنها من طرف الطلبة ، فالقصد الذي حكم البشير

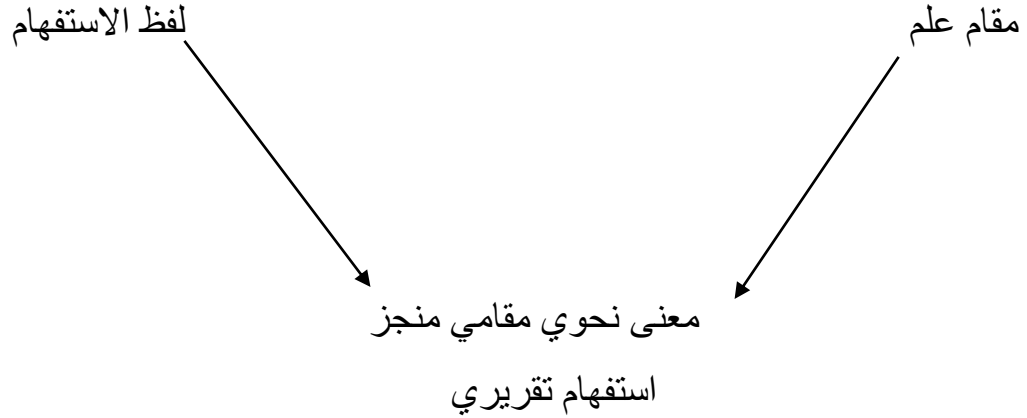
¹- إدريس مقبول، الأسس الابدستولوجيا والتداولية للنظر النحوي عند سيويو، علم الكتب الحديث عمان ط1 2006، ص373

²محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3 ص267ف3

³- بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن تحقيق أبو افضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ، ط- 2 ، 1972 ج 2 ص 331

⁴- نور الدين جعيط ، تداوليات الخطاب السياسي ص 118

الإبراهيمي أبعد من مجرد الاستفسار ، إنّه يهدف إلى حمل الطلبة على التماس المدارس التي تتبع طرق التّعلّم التي تتماشى و روح العصر ليتلخص الغرض من وراء هذا الاستفهام في إقرار المخاطب وتثبيت هذا له.



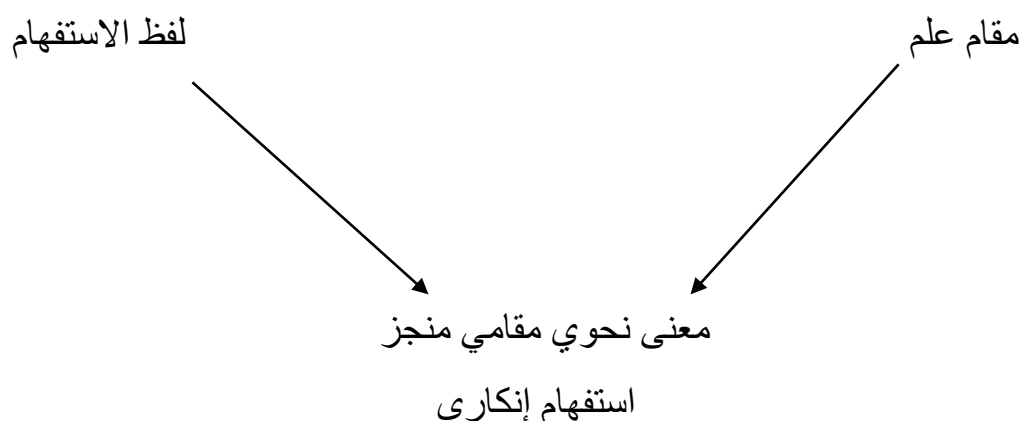
و يقول الإبراهيمي "و قلت له : أتظن أن عملكما في الاستلام يعد تكفيرا عن إجرامكما في التسليم ؟ أم تظن أن عمل الحكومة في التسليم لكما يعد توبة لها من الغضب ؟ أنتما موظفان لا تملكان لأنفسكما الحرية ، فكيف تحرران المساجد و الأوقاف ؟ إن الأمر متشابه الأواخر بالأوائل ، و بعضه من بعضه ، و إن تسليم الحكومة شيئا لموظفيها لا يكون معناه إلا تسليم الحكومة لنفسها ، و من القواعد المقررة في الفقه : العبد و ما ملك لسيده و لا يتم تحرير المساجد إلا على أيدي الأحرار " ¹ .

يكشف النص عن أفعال كلامية غير مباشرة جاءت على نسق الاستفهام إنها تنطوي على الإنكار الإبطالي ، لأنّ " الذي بعد الاستفهام غير واقع فيكون المستفهم به مدع ، ويكون الاستفهام إبطالا لفعله " ² ، فالقوة الانجازية غير الحرفية المتضمنة في القول ههنا هي بمعنى " لم يكن لعملكما في الاستلام أن يعد تكفيرا عن إجرامكما في التسليم ، و لم يكن لعمل الحكومة الفرنسية في التسليم لكما أن يعد توبة لها من الغضب ، و بما أنكما موظفان لا تملكان لأنفسكما الحرية ، فلن تحررا المساجد و الأوقاف " ، إنّ الذي منع إجراء الاستفهام

¹ -محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي ، ج 3 ص 102 .

² - نور الدين جعيط ، تداوليات الخطاب السياسي ص 117 .

على الظاهر هو علم المخاطب بعدم وقوع المستفهم عنه، فلفظ الاستفهام لم يكن من مقتضى مقام الاستفهام فتولد عن عدم التناسب بين اللفظ و المقام معنى ثان هو المعنى السياقي " الإنكار "



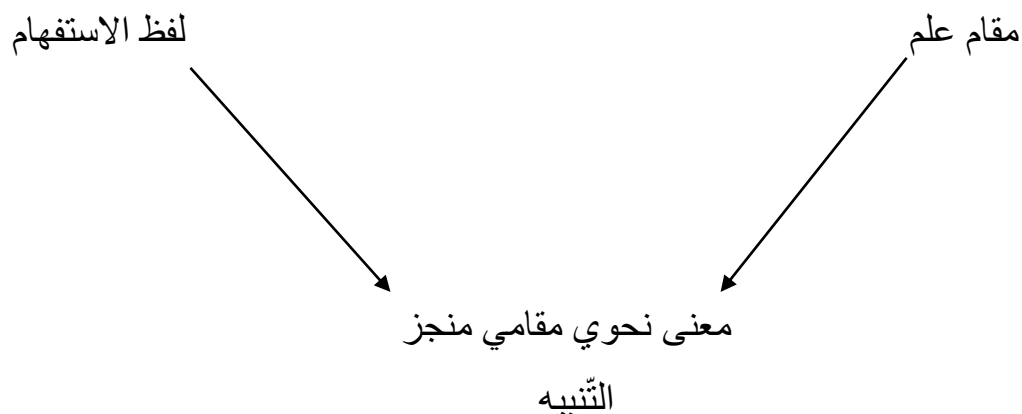
و يقول أيضا متحدثا عن فلسطين : " و يريد اليهود أن يجعلوها وطنا قوميا يحققون به الأحلام الدينية التي فتنّت أبحارهم ... و قد تداعت على أصوات الصهيونية إلى فلسطين تحمل معها تلك الخصائص الجنسية المتفرقة ، و تحمل معها

فهل يبقى شيء من القدسية لفلسطين ؟ وهل يبقى شيء من الشّمائل السّامية في فلسطين ؟ ...ثم ماذا يكون مصير العرب بعدئذ في جزيرتهم الآمنة المباركة ؟" ¹.

الفعل الانجازي في قول الإبراهيمي ما تضمنه أسلوب الاستفهام " فهل يبقى ، و هل تكون فلسطين ، ثم ماذا يكون مصير العرب " الغرض منه التنبيه ، فقصّد الإبراهيمي من وراء هذه الأفعال الانجازية لا يقف عند مجرد الاستفهام عن مصير فلسطين إذا ما وقعت في قبضة الاحتلال الصهيوني ، ذلك أنه معروف من حال الأمم السابقات ، إنّما كان قصده تنبيه العرب إلى خطر الصهيونية في تدليس قدسية الأرض المقدسة ، و طمس معالم عروبتها و ثم اغتيال أمن العرب أجمعهم ، و ذلك ليحملهم على الاستنفار ضد عدوهم يدا واحدة لا تفرقها الحدود .

¹- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 447 .

وعليه فالتساؤل يستثير في المتلقي مصير فلسطين ، و العرب عامة إذا وقعوا في قبضة اليهود فإذا استثار السؤال المتلقي، بعثه على التفكير في سبل الخلاص ، كما نلاحظ تكرار أسلوب الاستفهام في هذا القول و التكرار تأكيد على أهمية الرسالة وهذا ما يخدم الغرض التداولي لأننا باستعمالنا لأسلوب التكرار نقرر المؤكد في نفس السامع وتمكنه في قلبه .

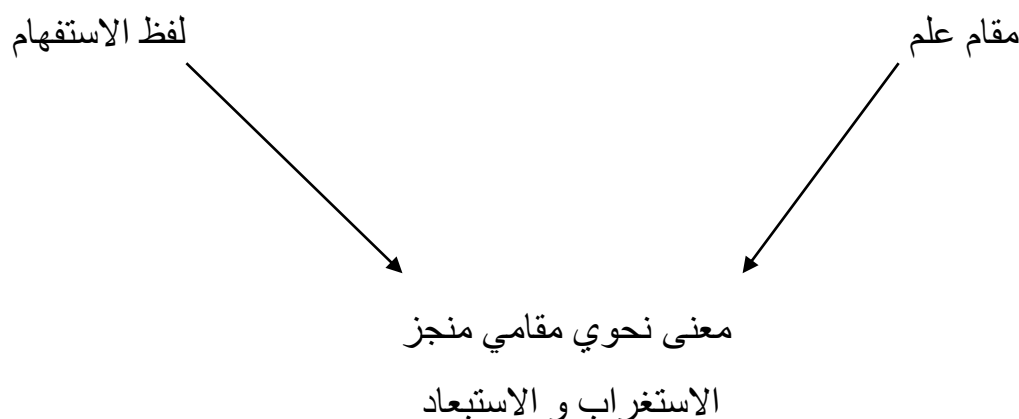


و يقول أيضا : "أحقيقة ما ترى عيناى أم خيال ؟ إخوة طوحت بهم الأقدار و فرقتهم صروف الدهر في الأقطار حتى ما يلتقي رائح منهم مبتكر ثم يجتمعون في هذه الليلة و في هذه البلدة على غرة و على غير ميعاد ، كما تجتمع أشتات الزهر في إبانها و في مكانها ، تختلف منها الألوان و الأشكال و يجمعها الشذى و الطيب و الجمال

أحق أن باريس و هي منبع شقائنا و هي الصفحة العابسة في وجوهنا تنزل لحظة عن عاداتها فتتيح لنا أن نجتمع بين حناياها هذا الاجتماع الرائع " ¹ .

إنّ قصد الإبراهيمي ليس السؤال الذي يمثل القوة الإنجازية الحرفية المجسدة في طلب الاستخبار وإنّما هو التّعجب كقوة إنجازية غير حرفية مضمنة في السؤال الغرض منه الاستغراب و الاستبعاد ، إن علم المخاطب بالمستفهم عنه منع حمل الاستفهام على حقيقته .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2 ص 466



يعتبر فعل السؤال في المدونة الإبراهيمية فعلا كلاميا جامعا " يعكس هاجس ثقافة السؤال ، و هاجس اللغة التي بها الحوار ، و بها السؤال و بها الجواب " ¹ و به عبر عن موقفه و آرائه العامة من الخلل الذي ساد البلاد بفعل الاستعمار .

يضطلع السؤال في المدونة التوجيهية الإبراهيمية بدور حاجي مع تعويل السائل على الضمني المتخفي مما يجعل السؤال المطروح غير بريء ، ذلك أنه من وسائل الإثارة و دفع الغير إلى إعلان موقفه من الإشكال المطروح .

و منه فإن التعبير الاصطلاحي خارج عن نطاق الكفاءة اللغوية دليل على الكفاءة التداولية للمرسل ، و يبدو ذلك جليا في معرفته كيفية استعماله في السياقات المناسبة .

على أن حدود التعبير الاصطلاحي لا تقف عند المأثور من كلام العرب بل يتجاوز ذلك إلى الآيات القرآنية ، و الأحاديث الشريفة و ذلك في مثل قولهم : «**» اثأقلم إلى الأرض**» فهو تعبير قرآني يستعمل في العربية المعاصرة للدلالة على العجز عن الواجب»². و ذلك في مثل قولك كلما دعوت الشباب إلى الكفاح و الجدّة اثاقلوا إلى الأرض.

يعتبر التحدث بالأمثال أكثر تهذيبا . ويعبر المسن نازير لاروش بأسلوبه الخاص عن فكرة تحدث عنها منظرو التفاعل مرات لا تعد و لا تحصى ، ومفادها : "يكمن أحد أهم حوافز

¹ ينظر هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي انواعه و خصانه ، ص 170 .

² -محمد داوود ، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة ص 20 .

المواربة و مهامها الأساسية في تخفيف وطأة التهديد الذي تشكله الأفعال المهددة لوجهي المرسل إليه الذي تتوجه إليه الرسالة الكلامية سواء الوجه الإيجابي أم السلبي " ¹ .

أ- البعد التلمحي للتشبيه في خطاب البشير الإبراهيمي:

يحدد السكاكي " التشبيه " بقوله " التشبيه مستدع طريقين مشبها و مشبها به . واشتركا بينهما من وجه ، و افتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ، يختلفا في الصفة ، أو بالعكس ، فالأول : كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصر أ . و الثاني : كالطويلين، إذا اختلفا حقيقة : إنساناً و فرساً ² .

و التشبيه عند السكاكي " لا يصار إليه إلا لغرض " ³ ، وقد رد هذه الأغراض و " المقاصد " إلى المشبه وبعضها إلى المشبه به ، أي أن التشبيه يعتبر استراتيجية يعتمد عليها المتكلم أو المرسل للوصول بها إلى قصده و غايته وهنا يظهر البعد " لتداولي " لـ " التشبيه " ، على حد تعبير محمد سويرتي: " كل تعبير غائي تداولي " ⁴ .

و تُختار آلية التشبيه عبر عدة سبل استدلالية يجملها محمد مفتاح بقوله: « علاقة المشابهة و المماثلة تفترض أن يكون هناك شيان أصل ، و فرع لضبط العلاقة بينهم يحلل الأصل إلى مكوناته ، أو مقوماته أو صفاته الذاتية ، و العرضية فيختار بعضاً منها لإسقاطه على الفرع على أن ما يسقط يجب أن يكون جامعاً متفقاً عليه بآته وصف منضبط » ⁵ .

من صور وروده في الخطاب التوجيهي نذكر قول الإبراهيمي : " ليس من سداد الرأي أن يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء ، وليس من المجدي أن يدخل معه في جدل . إن من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة ، أو يجر إلى إنابة ، و نحن نعلم أن القوم لا يتوبون و لا يذكرون ، فالواجب أن نلوم أنفسنا على التقصير ، و نقرعها عن الانقياد لآراء هؤلاء القوم و

¹ كيريرات أوركيني ، المضمرة ص 504.

² السكاكي . مفتاح العلوم ص 439.

³ المرجع نفسه الصفحة نفسها.

⁴ محمد سويرتي اللغة ودلالاتها : تقريب تداولي للمصطلح البلاغي . ص 40.

⁵ محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار تو بقال للنشر ، و التوزيع ، ط 1990 ، ص 40

لإرشادهم ... أما لومنا إياهم فهو لوم الخروف للذئب ، و أما طمعنا في توبتهم فهو طمع الخروف في توبة الذئب فإن أردتم أن ترو المثل الخارق من توبة الذئب فقلتموا أظافره ، واهتموا أنيابه ، كذلك إن أرتم توبة القوي فاحتقروا قوته " ¹ .

يلمح الإبراهيمي إلى القصد المستلزم من الخطاب ، و هو أنّ " الظالم ذئب " و الجامع بينهما صفة الطغيان و الاستطالة ، و " الضعيف خروف " و وجه الشبه بينهما الاستكانة و الخضوع ، بحيث يتدرج المرسل مستلزما المعنى القصد وفق عملية ذهنية استدلالية ، ففي قوله الظالم ذئب يستحضر المرسل إليه سمات المشبه فيحصل لديه سمات منها " إنسان + عاقل + كائن حي + يطغى " أما بالنسبة للمشبه به فالحاصل لديه سمات منها " حيوان + غير عاقل + كائن حي + يفترس " ثم يستبعد الصفات المختلفة التي لا تجمع بينهما ، مبقيا على ما اشترك بينهما و هو سبب جمعهما ههنا و المتمثل في كونهما كائن حي و تلك من البديهيات في حق كليهما أما التي أخرجت الظالم إلى كونه ذئب فهي سمة الطغيان التي هي من جنس الافتراض لدى الحيوان و كذلك تتم العملية بالنسبة للضعيف بحيث تعتبر الاستكانة من أبرز سماته و التي تعد صفة زائدة في طبائع البشر فينفرد بها عن غيره ، فهي طبيعة و خليقة في الخروف .

ب البعد التلمحي للاستعارة في خطاب البشير الإبراهيمي :

تعد الاستعارة وجها من وجوه التلميح بالقصد وهي في اصطلاح البيانين : «أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه و تظهره ، و تجيء إلى اسم المشبه به فتعيده المشبه و تجريه عليه » ² ، و ذلك مثل قولك : "عرفت جبلا" فإن غرضك هنا أن تثبت لصاحبك أنه مساو للجبل في صموده و ثباته بحيث يتوصل المرسل مستعينا بكفاءته اللغوية ، و التداولية إلى هذا المعنى لا من خلال اللفظ و لكن من خلال معناه إذ نقلت لفظ الجبل عما وضع له في أصل اللغة و استعملته في معنى غير معناه و هذا ما أثبتته القول أنفا و أشار إليه

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الامام البشير الإبراهيمي ، ج 2 ص 469

² الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 80 .

" م بلاك " بقوله « ليست الاستعارة انتقالا معجميا و لكنها بالأحرى حدث للمعنى الذي يتعلق بكل العبارة.....»¹

و تكمن أهمية الاستعارة في كونها تجعل المعاني العقلية مجسمة محسوسة ، و هذا ما يكسب الخطاب قوة ووضوحا ما كان ليكسبها لولا الاستعارة ، هذا ما يجعلها « مثالا جوهريا لاستعمال اللّغة إذ يدرك منها عادة , معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ أو الجملة و بهذا الاستعارات تبدو مرشحات قوية للتحليل التداولي»².

تتنشّط الاستعارة كاسحة مجالا واسعا من خطابات البشير الإبراهيمي ، لما لها من دور في إبراز المعاني الخفية يقول متحدّثا عن الاستعمار : " زين للاستعمار سوء عمله فطغى وبغى ، وكفر وعتا ، وأتى من الشر ما أتى ، فلو تصور إنسانا لأربى على فرعون الذي نازع الله ربوبيته ، وحدثته نفسه أن يطلع إلى إله موسى ، وعلى عاقر الناقة الذي جر العذاب على قومه ، ولو تُصور حيوانا لكان وحشا ... ولو تُصور ماء لكان ملحا زعاقا ، وحميا وغساقا ، أو ريحا لكان إعصارا يُدمر كل شيء بإذن الشّيطان ، ولكنه حقيقة ، والحقائق - كما يقول المناطق - توجد في ضمن أفرادها ، فالاستعمار هو هذه الأخلاق المتفشية في المنتسبين إليه ، والآخذين بدينه ، وهذه الأفكار التي لا تفكر إلا في استعباد الناس " ³.

يجسد الإبراهيمي الاستعمار في صورة الرجل الضال ، الذي زين له الشّيطان سوء عمله فكفر وطغى ، وقد عمد إلى هذه الاستعارة ليبرز مدى تمادي الاستعمار في صنع الشر فلا قانون يحده ولا إيمان يمنعه فالمستعمار منه ههنا يجمع أكثر من صفة وفي هذا إيجاز شديد وتجسيد جلي لقصده .

و يقول متحدّثا عن تقسيم فلسطين : " تصرّع ليل فلسطين الدّاجي عن فجر كاذب العيان ، وتمخض مورد الطامعين في إنصاف أوربا القديمة و أوربا الجديدة عن آل لماع يرفع الشخوص ويضعها في عين الرائي لا في لمس اللامس ... تراءى الحق و الباطل في ذلك

¹أرولد ديكر، جان ماري سشايغر- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ص677

²عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ينظر استراتيجيات الخطاب، ص 411

³محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ، ص173.

المجلس ، لا العرب واليهود ، وجاء أهل الحق يحملون المنطق ، ويخطبون المعدلة ، ويخطبون الضمير و العقل ، ويحتكمون إلى الشعور و الإحساس وما منهم إلا من هو في الخصام مبين ، وجاء أهل الباطل يحملون الإبهام المضلل ، والكيد المبيت ، والمكر الخفي ، والدعاوي المقطوعة من أدلتها ¹.

يعكس هذا الخطاب مدى التضليل وعتو الباطل الذي يلف قرار تقسيم فلسطين ، فجسده الإبراهيمي شخصا متحركة ، فالتصرّع و الكذب و المخاض كلها معان إنسانية قد استعيرت لدوال محددة ، هي على التوالي (الليل و الفجر ومورد الطامعين) للتدليل على التزوير و التضليل الذي بدا واضحا لطامعين من العرب في حل عادل لقضية فلسطين ، "فترأى الحق و الباطل في ذلك المجلس" ، ليصبح الحق و الباطل هاهنا مجسمين مجسدين للعيان ينوبان عن العرب و اليهود ، "فجاء أهل الحق يحملون المنطق" ، وما حمل المنطق هاهنا إلا استعارة للتدليل على أن أحقية العرب في فلسطين لا مرأى فيها ، بينما " جاء أهل الباطل يحملون الإبهام المضلل " يشير بهذه الاستعارة أن حجة اليهود كانت باطلة وادعائهم الحق في فلسطين كذب لا أساس له .

بهذا يتضح أن الاستعارة تجسد " مثلا جوهريا لاستعمال اللغة ، إذ يدرك منها ، عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ أو الجملة ، وبهذا فإن الاستعارات تبدو مرشحات قوية للتحليل التداولي ².

تنصاع الاستعارة في المدونة التوجيهية الإبراهيمية إلى التجربة الواقعية ذلك أنها تنطلق من الواقع " الساسي و الاجتماعي ... " للجزائر المستعمرة لتأسس صورا لغوية تعيد تشكيله بطريقة تتجلى من خلالها الكفاءة التداولية و كذا اللغوية سعيا منه إلى تأسيس واقع جديد يعيد للأمة روحها فقد " تبدع الاستعارات بعض حقائقنا ، و خصوصا الحقائق الاجتماعية و بهذا قد ترشدنا استعارة معينة الى عمل مقبل و هذه الاعمال المقبلة ستتنفق طبعا مع هذه الاستعارة

¹-المصدر نفسه ، ج3 ، ص439.

²عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص411.

و هذا يدعم قوة الاستعارة في جعل التجربة منسجمة و بهذا المعنى يمكن للاستعارات أن تكون نبوءات تضمن تحققها بنفسها ¹ فالاستعارة ليست لغوية فحسب لكنها أيضا مبدأ أساسي للتفكير و العمل ² .

ج-البعد التلمحي للتهكم في خطاب البشير الإبراهيمي :

يعد أسلوب التهكم آلية من آليات التعبير غير المباشر، و هو " لخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، و الشارة في موضع التحذير ، و الوعد في مكان الوعيد ، و العذر في موضع اللوم ، و المدح في معرض السخرية " ³ يستعمله المرسل في خطابه لنقد الآخر ، فالتهكم يعبر بطريقة غير مباشرة عن محتوى انتقاصي ، " أي محتوى يهدد وجه المحاور الإيجابي ، حين يتخذ من المحاور هدفا للتصويب عليه – وإن وقعنا أيضا في بعض الأحيان ، و لو كانت نادرة ، على الصورة المعاكسة التي نسميها ب " المعاتبة "، فمرد ذلك بكل بساطة إلى أنه إلى جانب القانون الذي يقضي بضرورة عدم التهجم بشراسة على وجه المحاور الإيجابي ، ثمة قانون معاكس يقضي بوجوب عدم المغالاة في الإشادة بوجه المحاور الإيجابي هذا نفسه ⁴ .

يرى الشهري أنّ آلية التهكم تستدعي الاستعانة ببعض العلامات لتوضيح قصد المرسل ، إذ لا يستغني عند إنتاج خطابه ، عما يوضح قصده التهكمي لا سيما في الخطاب الشفهي ، فهناك مؤشرات كثيرة تعنيه على تعيين القصد تهكميا ، منها المؤشرات الصوتية ، كما يعتبر أن عدم مناسبة الخطاب لسياق التلفظ من العلامات التي يمكن أن يعتمدها المرسل للتعبير عن قصده بتوسل هذه الآلية ، و ذلك باستثمار بعض الخصائص الثقافية غير المحددة بالمقابل نجد " سيرل " يعتبر أنّ " التهكم مثل الاستعارة لا تتطلب أي عرف من الأعراف ،

¹ جورج لاكوف و مارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها تر عبد المجيد جحفة دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب ط2/2009 ص 159

² يوسف أبو العدوس ، التشبيه و الاستعارة من منظور مستأنف دار المسيرة عمان الأردن ط3/2015 ص 8

³ إنعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ص 441

⁴ كيربرات أوركيني ، المضمّر ص 504-505.

أو علامات مصاحبة ، أو خلافها . وذلك لأن مبادئ الحوار وكذلك قواعد إنجاز الأفعال اللغوية، تكون كافية لتكون مبادئ لأساسية للتهكم ¹ .

نذكر من بين مواضع التّهم قول البشير الإبراهيمي " فقد أوحى إليهم بعد أن اشتري ضمائرهم " بزرده " و ضمائر الطريقين في بطونهم أن يجتمعوا لميقات يوم معلوم في صعيد واحد على اختلاف نحلهم ، و يمثلوا بغاية الدقة أمام آله التصوير السنمائي كل ما في الطرق من مهازل و مخاز على أنها شعائر اسلامية - كما يقول المحافظي - ففعلوا و لاعبت السفايف البطون ، و لعبت الأشداق بقطع الزجاج و أوراق الهندي الشائكة و خرجت الحيات و الأفاعي من اسفاتها لتزين هذا المشهد الاسلامي ، و لا تنس - فإن القوم لم ينسوا - الأعلام المرفرفة و البنادير المهفهفة ... و خرج من كل هذا فلم سينمائي محبوبك ليعرض على العالم المتمدن مكتوبا عليه " هذا هو الاسلام " و لم ينقص من كماله إلا أن السينما لم تكن إذ ذاك ، و لو لا ذلك لسجلت الأذكار و الآهات ، و الشخرات ، و النخرات ، و لتشرفت عواصم الحضارة بسماع " واشبليكو يا الهي " ² .

تكمن السّخرية ههنا في قول عكس ما هو مقصود أو قصد عكس ما يقال، بحيث يمكن تأويل هذا التعارض بطريقتين تسمحان لنا بإدراكه وتأويله على أنّه سخرية :

أولهما : طريقة (الذكر) ، وفيها نجد التعبير السّاخر يشير إلى شيء غير ملائم ، أو ينص على ما فيه من مبالغة أو مثار للتندر . ويمكن التعرف على هذا التّعبير المذكور بإشارات حركية أو لغوية أو بلاغية .³ فقد استخدم البشير الابراهيمى الاستراتيجية غير المباشرة ، و ذلك باستعمال مسوغات تلمح إلى ذم أفعال الطريقين و الاستخفاف بعقولهم بكلمات هزلية ساخرة تحمل في طياتها غاية بلاغية تجعل خطابه بالغ التأثير فعبرة " ضمائر الطريقين في بطونهم " عبارة تنضح سخرية بالجمع بين بنيتين لسانيتين في ترابط

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 420.

² محمد البشير الابراهيمى ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمى ج 1 ص 218 - 219

³ - هاجر مدقن ، التحليل التداولي ، الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية الأثر - مجلة الآداب و اللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر عدد 7 2008 ص 169

غريب ، يرسم سخافة عقول هؤلاء الذين لا هم لهم إلا بطونهم فإن شعبوا اتبعوا ، و إن جاعوا باعوا .

وثانيهما : أن تحدث السخرية بعبارات غير موسومة بأي شكل ، ولكن القائل يظل على ثقة من أنّ المرسل إليه عنده معلومات كافية تجعله لا يمكن له أن يصدق القول حرفيا ؛ ولهذا السبب ذاته قد نرى قولا واحدا يتم تأويله بمعناه الحرفي من قبل قطاع من المتلقين ، وهم الذين ليست لديهم بيانات كافية عن القائل ، كي يدركوا أنه لا يمكن أن يقصد حرفيا ما يقول ، كما يتم تأويله من قبل قطاع آخر يملك هذه البيانات فيعتبر القول حينئذ سخرية¹.

و ذلك يبدوا جليا في قوله " و لا تنس - فإن القوم لم ينسوا - الأعلام المرفرفة و البنادير المهفهفة ... و خرج من كل هذا فلم سينمائي محبوبك ليعرض على العالم المتمدن مكتوبا عليه (هذا هو الإسلام) و لم ينقص من كماله إلا أن السينما لم تكن إذ ذاك ، و لو لا ذلك لسجلت الأذكار و الآهات ، و الشخرات ، و النخرات ، و لتشرفت عواصم الحضارة بسماع

(واشبليكو يا الهي) " إنه ذم في صورة مدح يبغي به الكاتب ضمنا استهجان أفعال هذه الفئة سفهت عقولها ، فغابت عنها الحكمة لدرجة أنّها التمست معاني الكمال الروحي في أفعال تتنافى و روحانية الشريعة الإسلامية ، و لولا ذلك ما نصب لهم الاستعمار المنابر لاستعراض أفعالهم الهزلية ، و عرضها على العالم في صورة الشعائر الدينية .

وبطبيعة الحال فإنّ متتاليات القول ، ومجموعة العناصر السياقية ، يمكن أن توضح سلوك القائل ، وتقود إلى تأويل كلامه على الوجه المقصود .

لقد اختار الإبراهيمي السخرية أسلوبا لتقرير و كشف حقائق الطرقيين لتنفير المتلقي و تنبيهه لخرافاتهم و بدعهم ، و إثارة الضحك عن طريق رسم صورة كاريكاتورية هزلية لأفعالهم

¹- المرجع السابق الصفحة نفسها .

لتكون بذلك السّخرية " اللّجام الاجتماعي الذي يلجأ إليه المجتمع عندما يتعبه السبيل و فقد الأداة " ¹ .

إنّ البشير الإبراهيمي " فنان يملك خيالا مرنا و عقلا راجحا ، ومشاعر محتدمة ، وذكاء لمّاها و روحا مرحة ، وقدرة على الصياغة ، وملكة لاختيار ما يحقق غرضه من الكتابة...بفضل هذه المعطيات يتناول المسخور منه بالعبث و المداعبة و التفكه و التّهكم... " ² .

و يقول أيضا متحدثا عن الحكومة الاستعمارية غداة منحها المرأة الجزائرية حق الانتخاب: "يوحي الشيطان الاستعمار إلى الحكومة وحيّا متتابعاً لا فترة فيه ، فإذا تلقت الوحي ونزل به الروح الخبيث على قلبها نجمته على فترات ، و أوحى في كل فترة إلى أوليائها ما يثير شرا ، أو يوقظ فتنة ، وقد أصبح المجلس الجزائري اليوم متنزل وحيها ، فلا تمضي فترة إلا أوحى إليه شيئا من ذلك النوع الذي يثير الشرور ، أو يوقظ الفتنة .

أي داع من الحكمة ، أم أي مقتض من المصلحة لإثارة قضية إعطاء المرأة المسلمة حق الانتخاب ؟ كأننا فرغنا من جميع المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية ، وحصلنا جميع الحقوق و المصالح ، و لم يتبق إلا هذه القضية ، وكأنّ الرّجل المسلم استوفى جميع الحقوق ، ومنها حق الانتخاب ، وجنت يدها جميع الثمرات ، ومنها ثمرة الانتخاب ، ونال جميع الحريات ، ومنها حرية الانتخاب...وبقيت المرأة المسلمة محرومة من ذلك كله ، فوجب على الحكومة العادلة ، وعلى المجلس الرحيم ، أن ينصفها ، و أن يرفعها عنها هذا الإجحاف ، وأن يعجلا لها بالحق الضائع و الثمرة المغصوبة ، و الحرية المسلوبة . إذن فلتحي العدالة...ولتحي المساواة... " ³

¹-سعد فاروق ، مع بخلاء الجاحظ ، دار الآفاق الجديدة بيروت ط3 1980 ص 96

²-ينظر بو حجام محمد ناصر السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925-1962)..نشر جمعية التراث . القرارة. الجزائر ط1 1425/2004م.ص273.

³-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص129.

استطاع البشير الإبراهيمي وهنا التنفيس على المكبوت ، وتمرير قناعاته الفكرية بأسلوب ساخر ممتع ومؤثر، يثير المتلقي ، حاملا نكهة الفكاهة ، ممزوجا بألم الحسرة والسخط على شيطان الاستعمار ومنتزل وحيه الحكومة الجزائرية .

تكشف عبارات: "شيطان الاستعمار /الروح الخبيث " ، عن الطابع الساخر الذي تبناه الإبراهيمي ، لتبين شناعة الاستعمار ودناءة نواياه التي يؤرُّ بها الحكومة فتستنفر منفذة وآخر إبداعاتها أن جاءت بحق الانتخاب للمرأة بعدما غمطت حقوق الأمة في كل شيء ، فما تصنع الأمة بهذا الحق الذي لا يشبع من جوع .

إنَّ المقصد الضمني للأسئلة المرسلة في متن هذا الخطاب ليس الاستعلام ،إنَّما هو السَّخرية و التَّشكيك في جدوى لجوء الحكومة إلى إعطاء الحق للمرأة الجزائرية ، التي أنهكها الاستعمار تجهيلا و تجويعا وتخويفا، فجعل منها الثكلى ، و الأرملة و اليتيمة ثم بعد هذا كله يهبها حق الانتخاب ، فأى حق هذا لو لم يكن خدمة لمصالح الاستعمار .

تصل السَّخرية إلى ذروتها من هذا القرار في قوله : "فوجب على الحكومة العادلة وعلى المجلس الرحيم "، " إذن فلتحي العدالة ...ولتحي المساواة "، ما من شك أن متلقي هذا الخطاب يدركا يقينا أن العبارة تتضمن قصدا معاكسا للمعنى الحرفي ذلك أنه قد علم سلفا بصنيع الحكومة الجزائرية الفرنسية التي نكلت بالشعب الجزائري و نهبت خيراته .

لقد تضافرت العديد م القرائن الحالية و المقالية لفك شفرات الخطاب و الوصول إلى المقصد الضمني المتمثل في السَّخرية ، فمن المقالية قوله : "وقد أصبح المجلس الجزائري اليوم منتزل وحيها ، فلا تمضي فترة إلا أوحى إليه شيئا من ذلك النوع الذي يثير الشرور ، أو يوقظ الفتن " ،أما الحالية فمستقاة من الوضع الذي كانت عليه الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي .

يعمل البشير الإبراهيمي من خلال خطابه الساخر على توجيه سلوك الفرد ، لأنَّ السَّخرية وهنا تعمل على تأسيس أخلاق سامية في المجتمع "منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر

السلبية التي تجانب التطور ، وتتناهض الحركة نحو المستقبل ، فإذا وقعت على إحدى هذه الظواهر ، كالبلادة والخمول أو الغفلة أو الفسق أو المجون ، أو كل ما يهدد المجتمع بالتوقف أو البطء أخذت نفسها ضده وجمعت أسلحتها لتتنقض عليه ¹ .

د-البعد التلمحي للتعريض في خطاب البشير الإبراهيمي : يتوسل المرسل آلية التعريض ، بُغية التلميح بقصده الذي لا يُستَكَنه هاهنا إلا بمعونة عناصر السياق ، ذلك أنّ التعريض آلية لا يرتبط فيها اللَّفْظ بالقصد برابط لغوي فهو : «المعنى الحاصل عند اللَّفْظ لا به ، فقولنا : "الحاصل عند اللَّفْظ " شامل للحقيقة و المجاز و الكناية و قولنا " لا به " مخرج لهذه جميعا ، لأنّ الحقيقة و المجاز، و الكناية يدل عليها بالألفاظ فهي حاصلة عند ذكر الألفاظ و بها، أما التعريض فهو داخل بهذا القيد ، فإنه حاصل بغير اللَّفْظ و هو السياق و قرائن الأحوال ، و على هذا يكون التعريض مباينا للحقيقة و المجاز و الكناية»² ، و ذلك في مثل قولهم " أخذ القوس باريها"³ ، و يقصد من هذا التركيب التعريض بالشخص الذي ليس له كفاءة للمنصب الذي يشغله .

و قد استعملت العرب التعريض كآلية من آليات الاستراتيجية التلميحية ، فكانت عندهم دليلا على كفاءة الفرد التداولية و علامة على نبوغه ، و من ثم «استعملته العرب في كلامها بكثرة فيبلغون ما يريدونه بوجه الطف ، و أحسن من الكشف و التصريح ، و يعيبون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء و يقولون : لا يحسن التعريض إلا ثلثا»⁴ .

و تتعدد أغراض آلية التعريض و مواضعها بتعدد السياقات نذكر من بينها:

- تستعمل في مواضع الهمز و اللمز من الآخر بطرق متعددة منها ما يظهر معه الصلاح و النقاء كبعض الآثار الاجتماعية الحميدة التي تحافظ على الروابط و العلاقات الاجتماعية فتجعل التعامل الخطابي يسيرا ، لذا جعله الماوردي من الأسباب التي تحت على البذل و

¹-حامد عبد الهوال ، السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية للكتاب 1993ص30.

²القرويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 3/، ص 193

³عائشة حسين فريد ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، ص 231

⁴- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره أحمد صقر ، المكنية العلمية ، دت ، ص263

العطاء يقول : « و أما إذا كان البذل ، و العطاء عن سؤال فشروطه معتبرة من وجهين : أحدهما في السائل ، و الثاني في المسؤول ... و أما الشّروط المعتبرة في المسؤول فتلاثة : الشّروط الأول أن يكتفي بالتّعريض و لا يُلجئ إلى السّؤال الصريح ليصون السائل عن ذلّ الطلب ، فإن الحال ناطقة و التّعريض كافٍ »¹ .

و يعتبر التّعريض وسيلة ناجحة تستخدم في التّقويم ، أو الإرشاد دونما خدش لكرامة المتلقي ذلك أنّه « يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب ، أو نقد أو سؤال أو شكاية على الحاضرين حتى لا يفهم مراده إلّا من يقصده بالتّعريض . لما علم من أنّ التّعريض إنّما يفهم من أحوال خارجة عن اللفظ و هذه الأحوال قد تكون معلومة للمقصود بالكلام دون بقية الحاضرين »²

والفرق بين الكناية و التّعريض أنّ " الكناية وضع لفظ يراد به معنى يعرف من لفظ آخر هو أحق به لكن يعدل عنه لقبحه في العادة أو لعظمه أو لستره أو لما ناسب ذلك من الأغراض و التّعريض أن يذكر شيء يفهم منه غير ما وضع له لمناسبة ما بين المعنيين " ³ ، وإذا كان التّعبير الكنائي يعتمد على المعنى الحرفي كدليل عليه ، فإن التّعريض يعتمد تحديد معناه على السياق لا على ألفاظ التركيب ، فالمقاصد في التّعريض ، هي مقاصد غير مباشرة تعتمد على المعاني الضمنية التي تستنتج من الكلام الظاهر .

و التّعريض في عرف العرب أرجح من التصريح لأسباب : " أحدها : أنّ النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعاني تميل إلى التّعريض شغفا باستخراج معناه بالفكر ، ثانيها أنّ التّعريض لا ينتهك معه سجد الهيبة و لا يرتفع به ستر الحشمة ، ثالثها أنه ليس للتصريح إلا وجه واحد و للتّعريض وجوه و طرق عديدة ، رابعها أنّ النهي صريحا يدعو إلى الإغراء

¹- المارودي ، أدب الدنيا و الدين ، ص 194 .

²- عائشة حسين فريد ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، ص 242 .

³- أحمد مطلوب ، المصطلحات البلاغية و تطورها ، ج 2 ص 277 .

بخلاف التعريض كما يشهد به الوجدان " ¹ . فاستراتيجية التعريض تتدرج ضمن الآليات التي تحافظ على وجه المخاطب الإيجابي بحيث تسعى إلى حفظ حدود أدب الحديث معه

يقول الإبراهيمي : " إنّ الذين تولوا أمر التقسيم ، و حملوا أولئك الضعفاء بالوعد و الوعيد على التصويت عليه ما ارتكبوا تلك الجريمة الشنعاء و غمطوا حق العرب ، إلا بعد أن غمزوا مواقع الإحساس من العرب ، فرأوهم جادين كالهازلين ، و رأوا منهم ناكثين كالغازلين ، و رأوا في أمرائهم المقاومين على أعنف ما تكون المقاومة ، و المساومين على أخس ما تكون المساومة ، و في شعوبهم الجاهل و الذاهل ، و المتشدد و المتساهل فبنوا مقدمات الحكم على هذا التفاوت في الكيان العربي ، و غرهم بالعرب الغرور²

يعرض البشير الإبراهيمي بالعرب منكرًا عليهم الهوان الذي جعلهم لقمة مستصاغة في فم من يريد بهم سوءًا وقد يكشف هذا الخنوع جليًا حين سلم الإنجليز فلسطين وهم لا يملكون فيها شيئًا و استلمها اليهود ونحن أهلها و أصحابها ، و ما ذلك إلا لأنهم كشفوا مناطق الضعف فيها فلا " نملك مصنعا للسلاح و لا معملا للكمياء ، و لا رجالا فنيين كالذي يملكه اليهود من كل ذلك " ³.

إنّ هذا التّشخيص للحالة المتردية للعرب التي جعلتهم محل أطماع غيرهم ، و مساوماتهم فباعوا و أمروا كيف شاءوا ثم بدا لهم من بعد ذلك ألا نفع فينا ، ففضلوا اليهود فقدمونا قربا لهم ، لا يقف عند حدود التعريض إنّما يتعدها ليهز و يوقظ مواطن القوة في العرب ويدفعهم للرجوع إلى ما كانوا عليه ذلك أن بيدهم سلاحا أقوى من جميع أسلحة اليهود ، إنها قوة الروح و معها الحق الذي لا محالة ستهزم ما يتحلون به من قوة المادة ومعها الظلم و الباطل.

و من أمثلة التعريض أيضا قول الإبراهيمي : " واعجبا لما تصنع هذه الحكومة ببعض الرجال منا ، تعتمد إلى الواحد منهم فتبقيه على سحنته ، ولكنّها تفرغه من شحنته ... تفرغه من معاني الاسلام ، و الغيرة عليه ، و الطيرة له ، و الدفاع عنه ، و الاعتزاز به و تملأه

¹ - أحمد مطلوب المصطلحات البلاغية و تطورها ، ج 2 ص 282

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 443

³ المصدر نفسه ص 343 .

بمعان أخرى منها الإفك و الزور ، و منها الأنانية و الغرور ... و التغني بمدحها حتى في بيوت الله ، فيصبح ذلك الواحد لا يأبه لنقض الإسلام ، و لا بغضب لنسخ الأحكام ... كل ذلك لأن الحكومة شئت ذلك ... و كل ذلك لأن الواحد من هؤلاء راض نفسه على التكرار للإرادة و العزيمة و ما جرى مجراها من الفضائل الشخصية و على الذوبان في الغير ، و الاستطاعة بالغير ، ثم لا يكون هذا الغير إلا الحكومة ، لأنها هي التي زرعت الزرع فهي التي تجني الثمر " ¹

إن هذه الأوصاف تترجم حال من أفرغ من معاني الإسلام و أصبح رجلا سلما للحكومة الفرنسية ، تقضي به أوطارها ضد بني أمته ، وتشير بشكل غير مباشر إلى صورة مشخصة في " هذا الشيء الذي يقال له العاصمي " ² إنه علم على فئة أشربت حب الدُّل لمن استذلها بعد أن عُربت عن كيائها ، بحيث لا يدرك هذا المعنى المراد إلا بمعونة القرائن السياقية التي تتمثل في المعرفة بطبائع الاستعمار ، و كذا معرفة شخصية المتحدث عنه و علاقته بهذا الكيان الغاصب .

د _ الآليات الشبه منطقية في خطاب البشير الإبراهيمي : نذكر من ضمن الآليات شبه المنطقية مالي :

1- الاستلزام الحواري :

يعد الاستلزام الحواري واحدا من أهم فروع الدرس التداولي فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه و أبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي ، يرجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعا كرايس وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية التي ألقاها في جامعة هارفارد عام 1967 فقدم فيها بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدرس و الأسس المنهجية التي يقوم عليها ، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام 1975 في بحث له يحمل عنوان " المنطق و الحوار " .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 149 .

² المصدر نفسه الصفحة نفسها .

كانت نقطة البدء عند كرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال و ما يقصد ، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمتها اللفظية و ما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال ، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح فنشأت عنده فكرة الاستلزام¹. وقد أشتق كرايس مصطلحه الجديد من المصدر "implicite" ذاته وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم implicature تمييزا لها عن implication المتعارف عليها².

لقد ترجم مصطلح implicature ترجمات متباينة ، فمنهم من ترجمه إلى الاستلزام وهو الأغلب الأعم ، ومنهم من ترجمه إلى التضمين³. وثالث ترجمه بمعنى الاقتضاء⁴. ورابع أطلق عليه التلويح الحوارية⁵، وقد عرفه اللغويون العرب حق المعرفة واسمونه التّعريض و المجاز المركب⁶ ، عندما قالوا أن التّعريض هو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق سواء أكان المعنى حقيقة أو مجازا أو كناية و أعطوا أمثلة على كل حالة⁷.

يرى محمد يونس عليّ من أنّ بعض أنواع الاستلزام المعروفة عند الغربيين هي ما يصنفه الأصوليون على أنّه التّعريض . أما الشهري فيذهب إلى القول أنّ التّعريض لا يخلو من علاقة بقواعد مبدأ التعاون عند كرايس لاسيما قاعدة العلاقة ، فالتّعريض دليل احترام المرسل لهذا المبدأ و يتضح احترامه من خلال إنتاج الخطاب وفقا لما تتطلبه قاعدة العلاقة

¹ ينظر محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص33-34.

² ينظر العياشي أدراوي الإستلزام الحوارية في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، الطبعة الأولى 2011 ص17.

³ جو لاينز اللغة و المعنى و السياق ، ، ترجمة د، عباس صادق الوهاب ، مراجعة د، يونيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية ، ط1، 1987/ ص229.

⁴ ينظر عادل فاخوري الإقتضاء في التداول اللساني ، ، مجلة عالم الفكر ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، ع3 ، 1989م ص141.

⁵ ينظر هشام عبد الله خليفة ، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، 2007م ص 159.

⁶ المرجع نفسه ص 167.

⁷ المرجع نفسه ص 184.

و قد لاحظ جريس أنّ الاستلزام الحوارى لا ينتج عن خرق إحدى قواعد مبدأ التعاون فحسب ، و لكنّه ينتج أيضا عن الالتزام بها ، ما جعله يميز بين نوعين من الاستلزمات التّخاطبية ، وهي الاستلزمات التّخاطبية الحوارية المعممة ، و الاستلزمات التّخاطبية (الحوارية)المخصصة .

أ- الاستلزام الحوارى المعمم:

و هو ما عرف عند ليفنسون بالاستلزام التّموذجي و فيه «يراعي المرسل القواعد بحيث يُستعمل هذا الاستلزام بغض النظر عن سياق التّخاطب الذي تم فيه تبادل الخطاب بين الطرفين...»¹

فهو لا يتطلب سياقات خاصة و يمكن أن يُدرج تحته ما أطلق عليه الأصوليون مفهوم الموافقة ذلك أنّه «لا يختلف القصد في الاستلزام التّموذجي و لكن هناك زيادة من جنس الخطاب فالمعنى المستلزم لا يقصى معنى الخطاب الدّالي»²

يقول البشير الإبراهيمي في خطابه المعنون ب " دعوة متكررة إلى الاتحاد " المتضمن دعوة الأحزاب السياسية في الجزائر إلى ضرورة التّكتل يدا واحة ضدّ حكومة الاستعمار الفرنسي : " فإذا لم تواجهها أحزابنا باتحاد متين ، و قائمة واحدة ، خسرت القضية مرتين : مرة بتمهيد السبيل لفوز الاستعمار و أذنابه و أنصاره ، و مرة بتوسيع خرق الشقاق و التفرق بين أجزاء الأمة ...و أمامهم الحالة العالمية و ظلماتها ...فإذا لم نعالج أحدثها باتحاد عتيد ، و لم نقف في صفها وجها واحدا و أظلتنا و نحن متفرقون متخاذلون ، أضعنا الفرصة و خسرنا الصفقة ... " ³

ينطوي الخطاب على استلزام حوارى معمم فحواه ما يلي " فإذا واجهتها أحزابنا باتحاد متين و قائمة واحدة ، ربحت القضية مرتين : مرة بتمهيد السبيل لخسارة الاستعمار ، و أذنابه و

¹-ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص430

²-المصدر نفسه ، ص431 .

³-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار البشير الإبراهيمي ، ج 3 ص 307

أنصاره ، ومرة برأب الصدع بين أجزاء الأمة ...و إنَّهم ليعرفون حالة العالم وما يعانيه من ظلم و استبداد ، فإذا عالج أحداثها باتحاد عتيد ، و وقف في وجهها صفا واحدا و أظلتنا و نحن متحدون متناصرون ، كسبنا الفرصة و ربحنا الصفة " .

إنَّ المعنى الحوار المستلزم لا يقصي المعنى الحرفي للخطاب إنَّما هو من جنس الدلالة الحرفية ، فهو لا يتطلب سياقات خاصا لتأويله .

ب-الاستلزام الحوارى المخصص:

و يقصد به : « الاستلزام الذي ينتج عن خرق القواعد إذ يكون ذلك في سياق خاص يحتاج فيه كل من طرفي الخطاب إلى معلومات إضافية و بهذا يكون أكثر تعقيدا في الاستدلال لمعرفة قصد المرسل»¹ و قد صنَّف كلَّ من (براون وليفنسون) عشر استراتيجيات لخرق قواعد مبدأ التَّعاون ألا و هي:²

ينتج عن خرق قاعدة العلاقة ثلاث استراتيجيات هي:

- التلميحات .
- ذكر معلومات تمهيدية .
- إفادة الاقتضاء .

أما الاستراتيجيات التي تنتج عن خرق مبدأ الكم فهي:

- التَّهوين .
- المبالغة أو المغالاة.
- تحصيل الحاصل.

و هناك أربع استراتيجيات لخرق قاعدة الكيف و هي:

- التَّنَاقضات .

¹المرجع السابق، ص437 .

²- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

- التَّهْكَم .

- الاستعارة .

- الأسئلة البلاغية .

و من استراتيجيات خرق المرسل لقاعدة الطريقة هناك:

- الالتباس القصدي أو الغموض .

- عدم الإيجاز أو الإطناب.

و في ما يلي تمثيل لبعض طرق خرق مبدأ التَّعاون ، حيث يستطيع المرسل خرق " قاعدة الكيف " بما يسمى " التَّهْكَم " ، و ذلك في قول الإبراهيمي متحدثا عن: " إعطاء حق الانتخاب للمرأة الجزائرية " من قبل الحكومة الاحتلال الفرنسي ، "أي داع من الحكمة ، أم أي مقتض من المصلحة لإثارة قضية إعطاء المرأة المسلمة حق الانتخاب ؟ كأنا فرغنا من جميع المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية ، وحصلنا جميع الحقوق و المصالح ، ولم تبق إلا هذه القضية ، و كأن الرجل المسلم استوفى جميع الحقوق ، ومنها حق الانتخاب ، وجنت يداه جميع الثمرات ، ومنها ثمرة الانتخاب ، ونال جميع الحريات ، ومنها حرية الانتخاب ... وبقيت المرأة المسلمة محرومة من ذلك كله ، فوجب على الحكومة العادلة ، وعلى المجلس الرحيم ، أن ينصفها ، وأن يرفعا عنها هذا الإجحاف ، و أن يعجلا لها بالحق الضائع و الثمرة المغصوبة ، و الحرية المسلوبة . إذن فلتحي العدالة ... و لتحي المساواة..."¹.

لا شك أن مناقضة هذا القول للواقع ظاهر لأي قارئ على اعتبار أن ما صرح به الإبراهيمي في قوله " فوجب على الحكومة العادلة ، وعلى المجلس الرحيم ، أن ينصفها ، وأن يرفعا عنها هذا الإجحاف ، و أن يعجلا لها بالحق الضائع و الثمرة المغصوبة ، و الحرية المسلوبة . إذن فلتحي العدالة ... و لتحي المساواة..." لا يطابق ما يفكر فيه .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 129.

وباعتبار المرسل متعاوناً مع المرسل إليه – بل أراد أن يبلغ أمراً ما هو نقيض ما صرح به ومن ثم فإنه قد أراد التهمك بالحكومة الفرنسية .

إن هذا التكامل الحاصل عند الإبراهيمي بين القدرة اللغوية المشحونة بأي القرآن الكريم و فصيح الشعر العربي من جهة ، وقدرته التداولية في توظيفها بحسب مقتضيات السياق من جهة أخرى ، دليل قدرة هائلة جعلت من اللغة أداة طيعة يشكلها الإبراهيمي في صور تعكس ببراعة الواقع المعيش .

إن تجنب التصريح لا يرجع إلى قصور المتكلم إنما هو دليل على قدرة جعلته يوصل قصده بشكل غير صريح ، موظفا طريقة بيانية تعرف باسم التّعريض أو التّلوّيح .

يقول البشير الإبراهيمي : "... وما زلنا نحن و الحكومة الجزائرية ننظر إلى هذه القضية بعينين ، إحداهما حولاء ... و نتناولها بعقلين ، أحدهما مؤوف .

أما أحد العقليين فيلتقي الوحي من القوة التي تعمي عن الرشد و ويمتص الغداء من الحقد المتأصل الذي يضل عن الهدى ، وينحط إلى الغرائز الحيوانية يأخذ عنها مثله السفلى ، ويبني العلائق بين الناس على العنصرية و التفوق و السّيادة ، ويرجع بطبقات البشر كلها إلى قسمين ، قوي أكل ، وضعيف مأكول ، و لا ثالث ، و يذهب في الألفاظ و معانيها ولوازمها مذاهب غريبة عن متعارف اللغات ، فظلم القادر لا يسمى ظلماً ، لأنّه صدر من قادر ، وقتل الأرواح لا يسمى قتلاً ، ما دامت الأجساد تتحرك ، و اهتضام الأديان السماوية لا يسمى كفراً ، لأنّ القوّة إله ثان ، نبيّه هذا العقل ، وكتابه ينحصر في آية : لا صلة بين السماء و الأرض ، وشريعته مبنية على قاعدة : كن قويا و اصنع ما شئت . ثم يستشهد منطق العقل العام ، و سنن الكون و طبائع البشر فتخذله .

و أما العقل الآخر فتؤيده حكمة الله العليا في الأديان ، وهي أنّ لكل طائفة دينها الذي ربطتها به الوراثة و الاختيار ، ولكل دين أهله الذين عقدت بينهم وبينه الفطرة و الذوق ، يصرفونه

بأنفسهم ، لأنهم أعرف بعقائده ، وأعلم بآدابه ، وأبصر بشروطه و أسبابه ، و أفقه في وسائله و مقاصده ، وأقوم على أحكامه ، فهم لذلك أملك به و أجدر بتصريف شؤونه"¹.

لقد استطاع البشير الإبراهيمي أن يصور كيانيين متناقضين الحكومة الفرنسية في الجزائر وما وطنت عليه فكرها من شر و سلب للحريات بما فيها حرية المعتقد، وجمعية العلماء الجزائريين و ما هي قائمة عليه من حق ، وما تدعو إليه من تحرير للأديان من ربقة الحكم الفرنسي وترك كل دين لأهله ، فذاك ما تؤيده حكمة الله العليا في الأديان ، حيث بعث المرسل بقصده تلميحا وذلك بتوظيف الطريقة البيانية المعروفة بالتعريض .

إنّ فك شفرات القول و التعرف على المقصود رهين المعرفة السياقية لدى المخاطب " من قبيل العادات و المعتقدات و المعارف المشتركة ، وما إلى ذلك مما يمكن المخاطب من الوصول إلى الضمني و المستلزم حواريا فيما يقوله المتكلم . الأمر الذي يفضي إلى القول إن المعنى المستلزم المستخرج من الجملة ، يتباين بتباين المتحاورين ، بالإضافة إلى أن العمل بمفهوم الاستلزام لا يؤخذ به في التواصل إلى في حالات يتعذر الأخذ فيها بالمعنى الحرفي المباشر ، وعلى اعتبار أنّ المتكلم يسمح له بقول أشياء مع التظاهر بعدم قولها ، أو يتهم بقول أمور لم يكن قاصدا قولها . ولهذا فهو يلجأ أحيانا إلى التشارح أو التعقيب على ما قيل ، أو على إردافه بأشياء تحدد المعنى المقصود"²، لتشكل بذلك " الدلالة الإضمارارية مجموعة من المواقع غير المستقلة التي يحكمها الاستعمال و التداول"³.

تتنزل مبادئ التعاون عند جرایس منزلة الضوابط التي تضمن تبليغ المقاصد بوضوح ، غير أنّ الملاحظ أنّ المتخاطبين بإمكانها الاخلال بقاعدة من ضمن تلك القواعد فإذا وقع هذا الخرق ، انتقلت الإفادة في الخطاب من التصريح إلى التلميح وعليه " إذا كانت الاستلزامات الحوارية تتفرغ إلى تلك التي تتولد عن احترام المبدأ العام ، و القواعد

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 166.

² العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 116.

³ بنعيسى عسو أزييط الخطاب اللساني العربي عالم الكتب الحديث ط 2012/1 ج 2، ص 33.

الحوارية ، تلك التي تتولد عن خرق قاعدة أو قواعد معينة ، فهذا يبين أنّ المدلول المستلزم حواريا قد يتولد عن الإخلال بقاعدة فرعية مع الاستمرار في احترام القواعد الأخرى ، و المبدأ العام قد يتولد عن إخلال المتكلم بإحدى القواعد على الأقل ، كما يتولد وهو يحترمها جميعها . وتقدم الأقوال المجازية الاستعارية و التّهمك و السّخرية ، شواهد على الاستلزامات الحوارية التي تحصل تبعا للإخلال بقاعدة أو قواعد حوارية¹.

ب- الاستلزام الحوارى و التّناس فى خطاب البشير الإبراهيمى :

شكل مفهوم التّناس فى الدراسات الحديثة ردا على المفاهيم البنيوية التى ترى أنّ النص كيان مستقل ومنغلق على ذاته .

أما من الوجهة السيّاقية فإنّ أغلب ظواهر تداخل النّصوص تلتقي مع المعاني المتعلقة بالاستلزام و الاستدلالات على المعاني الضمنية فى النّص الأدبى² ، ومفهوم التّناس يمكن عده من الأساليب التى تجعل المؤلف ، و القارئ يتشاركان فى إبداع نصوص سابقة أو معاصرة له سواء أكانت هذه العلاقة ظاهرة أم خفية ، خارجية أم داخلية ، جزئية أم كلية ، معتمدة على مبدأ النّفى أم التّضافر أو الحوار يقوم القارئ باكتشافها³.

إذا طبقنا تعريف التّداولية بوصفها دراسة استعمال اللّغة فى التّواصل الإنسانى حسب ما تحدده ظروف المجتمع على حالة التّواصل الأدبى ، فإنّ ذلك يجعلنا نقول إنّ التّداولية الأدبية تعتني بدور المستخدم فى الإنتاج الاجتماعى لنصوص و استهلاكها⁴.

ومن الوسائل المساعدة لهذا الإنتاج هو تداخل النصوص الذى يعطى فرصة للقارئ الجاد أو الكفاء لاستحضار نصوص سابقة سواء بطريقة متشابهة للاستلزام أو الاستدلال على

¹ العياشى أدراسى ، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ص 117.

² ينظر فليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان تر صابر الحباشة دار الحوار للنشر و التوزيع اللاذقية سوريا ط2007/194-195.

³ ينظر أحمد عدنان حمدي التداولية الأدبية " دراسة نقدية " ضمن سلسلة التداولية فى البحث اللغوى و النقدى مؤسسة السياب لندن ط2012/ص154.

⁴ ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها .

المعاني الضمنية التي تؤثر في إعاقه الإنتاج ، أو إنشاء النص الأدبي حسب فهمه وقدرته على الاكتشاف و التأويل و الخلفية المعرفية التي يمتلكها ¹.

يمتاز الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي باتكائه على الخطاب القرآني نظرا لما يمتلكه من سلطة من جهة ، وإمكانية الإبراهيمي في توظيفه (الخطاب القرآني) في سياقات مختلفة بجدارة واقتدار .

من الشواهد التي خرقت مبدأ الكم وعدلت عنه بضخ كمية أكبر من المعلومات إلى المرسل إليه قول الإبراهيمي : "أفتمارونني على ما أرى ؟ أما و الله ما كذب العيان ولا أخطأ الحدس إنها - وأبيكم - للأمة الجزائرية المسلمة العربية الفتية الناهضة ، نفضت الغبار في غير تناقل ولا تناعس ، وستغرب في وجوه السابقين .

إنّها الأمة الجزائرية وقد أسلمت مقادتها لمن يحسن القيادة في دينها ودنياها ، بعد أن استفاقت على وقع الأحداث و إلحاح العوادي وحلول الغير ، ونعيق النعاة وتلاعب الأيدي السفينة تعلن حياتها ، وتنبت وجودها وتستأنف تاريخها وتبني مستقبلها بيدها ، وتعيد المعجزات العيسوية كرة أخرى ، نطق في المهد ، أو قيام من اللحد" ².

يتضمن خطاب الإبراهيمي تناسبا مع آية قرآنية في قوله "أفتمارونني على ما أرى " وهي الآية 12 من سورة النجم " أفتمارونه على ما يرى "، إن معنى هذه الآية هو

أُتَكذَّبُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَجَادِلُونَهُ عَلَى مَا يَرَاهُ وَيَشَاهِدُهُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ؟ وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيْلَ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

إذن فنص الآية ينطوي على قوتين انجازيتين قوة حرفية هي السؤال ، وذلك ما تدل عليه بنية الآية من إيراد همزة الاستفهام أمّا القوّة الإنجازية الضمنية فهي الإنكار و الزجر

¹ ينظر أحمد عدنان حمدي، التداولية الأدبية ص154.

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 1 ص245.

للمشركين على تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما خطاب الإبراهيمي فقد تضمن معنى غير مباشر مرده تغير مقصد الإبراهيمي وتغير سياق الموقف ، وعدول في صيغة الخطاب من الغائب إلى المتكلم ، فالخطاب القرآني موجه من الله عز و جل إلى المشركين بوصفهم مخاطبين ، وقد أنتج زمنيا في عصر الرسالة أما مكانيا ففي مكة ، أما الخطاب وهنا فموجه من البشير الإبراهيمي إلى الشعب الجزائري في الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي .

إنّ الإبراهيمي قد أنجز في بنية خطابه الأخير فعلين انجازيين : فعل كلامي مباشر هو الاستفهام المدلول عليه بقرينة بنيوية هي "أ" همزة الاستفهام .إلا أنّ المقصود من الملفوظ في السياق الذي ورد فيه ليس الاستفهام وإنّما التقرير ، و الإثبات وهو فعل كلامي غير مباشر وهذا ما سماه جرائس بالاستلزام الحواري ، وهذا المعنى الحواري تولد بفعل انتهاك مبدأ الكم المتصل بكمية المعلومات المطلوبة ، بحيث حوى خطابه كمية أكثر مما هو مطلوب إذ كان بإمكانه أن يكتفي بإثبات أنّ هذا الجمع المتدفق إلى الساحات إنّما هو الأمة الجزائرية ، إضافة إلى أنّ انزياح الاستفهام إلى التقرير في سياق الخطاب يحمل معلومات أكثر.

II. الاستراتيجية الحجاجية :

لا يسوق المرسل خطابه إلاّ ويبغي من ورائه تحقيق جملة من الأهداف من ضمنها السّعي إلى: «التأثير في المخاطب و استمالته لأخذ قرار ما أو اتخاذ موقف معين، أو القيام بعمل ما»¹ ، متوسلا لبلوغ ذلك خطة تخاطبيه تعرف بإستراتيجية الإقناع، التي تستمد تسميتها من هدف الخطاب.

ويعتبر الإقناع قوّة تصنع حقيقة اللّغة ذلك أنّ: «اللغة باعتبارها نسقا دلاليا لفظيا استراتيجيا في التّواصل الإنساني ، تتقوى عن باقي الأنساق الدلالية بكونها تمدّنا بالمعنى... هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنّ اللغة اللفظية بطبيعتها تؤثر و وجدت لتؤثر»².

و قد شكّل الإقناع لدى أرسطو وظيفة يقوم على أساسها فن الخطابة، فالخطابة في معتقده هي: «قوّة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»³.

ومن المنظور نفسه استخلص أدونيس أنّ: «البلاغة تهدف إلى أمرين : الوضوح "الارتجال" ، و التأثير "النفع"»⁴.

تتخذ استراتيجية الإقناع - لبلوغ الأهداف- أشكالا خطابية تختلف تبعا لاختلاف العلاقة بين المرسل و المرسل إليه ، وتتنوّع بتنوّع الحقول التي يمارس فيها استراتيجيته كالحقل العلمي ، أو الاجتماعي ، أو السياسي بغية التأثير .

ومنه فإنّ توجيه فعل الإقناع و بناءه يتأسس على جملة من الافتراضات المسبقة بشأن عناصر السّياق خصوصا المرسل إليه .

لقد سعى هذا المبحث إلى الكشف عن آليات الاستراتيجية الإقناعية في الخطاب التّوجيهي لدى البشير الإبراهيمي ، باعتباره واقعة تواصلية ، و فعلا اجتماعيا حضاريا ، و

1 - حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، عالم الفكر ، الكويت ، 2001 ، مج/30 ، ص 122 .

2 - المرجع نفسه ص 106 .

3 - المرجع نفسه ص 107 .

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 445 .

عملا لغويا حجاجيا تفاعليا بامتياز أساسه قوة المنطق ، و روعة البيان ، بحث يخاطب العقل و القلب معا " بجمعه بين مضمون الحجة العقلي إلى جانب صورها البيانية ، أو ضمه للتبرير العقلي إضافة إلى المحسنات البيانية ، لأن البلاغة لا تصل إلى الإقناع و حتى الإفهام بتحقيق التأثير و الاستمالة إلا بمعية الحجج و المحاجة " ¹ ذلك أنّ العتاد البلاغي تقنيات يفرضها البعد الجمالي لعملية الإيصال و التلقي إلا أنّها " غير قادرة على الصمود و التماسك أمام نفاذ العقل و توقد الشك إن لم تعزز بحجج عقلية قوية تعكس المعتقد و تمحو الريبة و تحقق الإقناع " ² ، فهو خطاب " عقلي يهدف إلى الإقناع بدون أن تكون له الصرامة الشكلية التي تتمتع بها البرهنة " ³ .

تجلى مقصد التوجيه بالإقناع لدى البشير الإبراهيمي بأسلوب جميل بعيد عن الغموض و التعقيد ، خال من مظاهر التكلف ، و الصنعة اللفظية المستهجنة ، جمع فيه بين جمال التعبير و قوة الإثارة و الإقناع المبني على وضوح الحجة ، " فغاية كل خطاب إنما هو الإقناع فلا وجود لخطاب دونما غاية إقناعية منه " ⁴ .

1 - آليات الإقناع في خطاب البشير الإبراهيمي: يتجسد الإقناع عبر آليات و أدوات اللغة ، بوصفها المطية الأساس و يصحبها آليات غير لغوية تعضد لغة الخطاب و تزيد حجته قوة وتأثيرا .

¹ هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه ، ص 112

² المرجع نفسه الصفحة نفسها .

³ محمد مشبال البلاغة و الخطاب منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة الجزائر ط 1 2014 ص 293

⁴ عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية مكتبة علاء الدين للنشر و التوزيع ، صفاقص ، تونس 2011 ص 16

أ- الآليات غير اللغوية:

1-السلطة :

يرى كريستيان بلانتان أنّ حجاج السلطة هو حجاج تأييد ، فهو يدعم نتيجة ق في حجاج شكله التقليدي هو التالي :

العارض : ق لأن س يقول إن ق ، و لأن س يمثل سلطة في هذا المجال

يوجد حجاج سلطة عندما يقدم العارض دليلا يؤيد إثباتا ما ويتمثل هذا الدليل في كونه صادرا عن المتكلم حجة يعول عليه أو يلوذ به ، فسبب اعتقاد ق (أو فعله) لا يطلب إذن في صحة ق ، وملاءمته للكون كما هو أو كما ينبغي أن يكون ، وإنما هو في كونه مقبولا من لدن شخص يضمن صحته.¹

ينبغي التمييز ههنا بين السلطة المتجلية مباشرة في ذات المتكلم و السلطة المستشهد بها بحيث يمكننا في هذا السياق طرح السؤال التالي بحسب كريستيان بلانتان و هو ، ما الذي يعطي مصداقية لمكلم معين ؟

إنّ ما يجعل من الإبراهيمي سلطة في ذاته هو مصداقيته المتجلية أولا في مظهره و قوة أسلوبه و طريقة إلقاءه يقول عنه الشيخ محمد الغزالي " كان لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه من الأدب العربي بارزا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء ، والحق أنّ الرجل رزق بيانا ساحرا ، وتأنقا في العبارة ...لكن ليس هذا ما ربطنا أو شدنا إليه -على قيمته المعنوية - إنّما جذبنا الرجل بإيمانه العميق ، وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين ، وغيظه المتفجر ضد الاستعمار ورغبته الشديدة في إيقاظ المسلمين ليحموا أوطانهم ، و يستنقذوا أمجادهم "2.

¹كريستيان بلانتان ، الحجاج ترجمة عبد القادر المهيري دار سيناترا تونس 2008 ص 153
² عمر أحمد بوقرورة ، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي قراءة في ظل البنية و المتغير دار الهدى عين مليلة الجزائر دط دت ص 16 .

و كتبت عنه الدكتورة بنت الشاطي في صحيفة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ 4 من جوان 1965 قائلة : " و هنا في القاهرة دار هجرته ، قابلته لأول مرة ، و الصراع في الجزائر في ذروة احتدامه و عنفوان ضراوته ... و كنت أتصور أنني سرت على الدرب خطوة .. و احتملت نصيبا من تكاليف الجهاد بالكلمة ... غير أنني لم أكد أراه حتى أغضيت مهابة و إجلالا و تضاءلت استحياء و خجلا ، فعلى جبينه المغضن كان يتألق نور استشهاده ، و فوق كاهل الشيخ ، كان عبء نصف قرن من النبل و الفداء و في صوته الخافت ، كان زئير البواسل على قمم أوراس ، و في بريق بصره الكليل ، كان وهج الضرام المستعمر على سفوح الأطلس ، و في خفقات قلبه كان نبض المعركة الدائرة على أرض الجزائر"¹

و من ثم تغدو هيئة المرسل وسلوكه "حجة" تعضد دعواه، فلا يدعو داع "المرسل" إلى أمر إلا وقد تجسد في هيئته وسلوكه حتى يكون أكثر إقناعا.

السلطة المستشهد بها من قبل الإبراهيمي لدعم أقواله : إنّ لجوء البشير الإبراهيمي إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم و هو القول الذي لا يحيد أبدا عن مرماه² و من بعده حديث الحبيب المصطفى رسول الله " فالاستشهاد الدقيق بأولئك المتكلمين معناه الإدلاء بالقول الصادق³

تلعب آلية السلطة الذاتية للمتكلم و السلطة المستشهد بها دورا هاما في عملية الإقناع إلا أنّها تظل تابعة للآلية الأساس ألا وهي اللغة الطبيعية ، و يتجلى دور اللغة في الإقناع عبر الحجاج كأبرز آلياتها .

2- آلية الحجاج: يحدد "د أحمد مطلوب" حقيقة الحجاج بأنّه: «احتجاج المتكلم على خصمه حجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم، وإبطال ما أورده الخصم»⁴.

¹- عمر أحمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي ، قراءة في ظل البنية والمتغيرة . ص 17-18.

²- كريستيان بلانتان ، الحجاج ص 155.

³- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

⁴ - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، ص 35 .

يرجع أصل استعمال هذا الفن في التراث اللغوي العربي إلى علم الكلام، والذي حاول المتكلمون من خلاله إثبات أصول الدين، وقد شاع الحجاج في كتب البلاغة بمصطلح المذهب الكلامي الذي نسبه ابن المعتز إلى الجاحظ ، وسمي كذلك لأنه :«مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم...»¹.

أما حديثاً فقد طور ديكرو و تلامذته الحجاج ليصبح نظرية متكاملة في اللغة تهتم ب:«الوسائل و الإمكانيات اللغوية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق بعض الأهداف و الغايات الحجاجية ، وهي تختلف عن النظريات الحجاجية الأخرى ذات التوجه المنطقي أو الفلسفي أو البلاغي ، هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية»².

ومن هذا المنطلق راح ديكرو يعرف الحجاج بقوله :«إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً " ق1 " أو مجموعة من الأقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر " ق2 " أو مجموعة أقوال أخرى»³.

ومنه فإن الحجاج يضطلع بدور تخطيطي للعملية التخاطبية حتى تبلغ أثرها من ذهن الآخر ، من خلال اختيار المرسل لأدوات و آليات حجاجية معينة ، فكل سياق يتطلب خيارات دون غيرها ، مما يجعل الحجاج في شكله النهائي :«ترجيح من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية إلى أخرى، يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين»⁴ ، فالحجج تتغير بتغير الظروف المصاحبة لحياة الناس ، فما كان منها ناجعاً بالأمس قد لا يكون كذلك اليوم .

وقد اعتبر د طه عبد الرحمن الحجاج ركيزة من الركائز التي تنبني عليها حقيقة الخطاب ، فلا خطاب دون حجاج ولا مرسل دون أن يكون له وظيفة المدعي ، ولا مرسل إليه

1 - أحمد مطلوب ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2 - أبو بكر العزاوي ، البنية الحجاجية للخطاب القرآني سورة لبأعلى نموذجاً ، المشكاة ، العدد 19 ، ص 123 .

3 - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ط/2 - 2007 ، ص 163 .

4 - محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بريلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، مج / 28 ، العدد 3 ، مارس 2000 ، ص 72 .

دون أن يكون له وظيفة المعترض ، وعلى هذا الأساس حُدد لديه الحجاج على أنه : «كل منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»¹ .

لأجل ذلك يعتبر الحجاج مطية القدماء و المحدثين خلفاء و سلاطين رؤساء و مرؤوسين علماء و متعلمين – فلا يقتصر على فئة معينة – يعتمدون إليه بغية إقناع الآخر بأفضلية خيار ما من بين جملة الخيارات المتاحة لهم .

كي يكون الخطاب الإقناعي مؤثرا ، لا بُدّ للمرسل أن يكون على معرفة مسبقة بخصائص المرسل إليه النفسية و الفكرية... وموقفه منه ، هذه المعرفة التي تسهم في اختيار حجج تنسجم وخصوصية الذات المتلقية ، فلا تساق الحجج إلا على أقدار الأفهام .

بما أنّ استراتيجية الإقناع بالحجاج تسعى إلى التأثير على الآخر استنادا إلى الحجج و البراهين العقلية فإنّها تعتبر بديلا – في كثير من الأحيان – للقوة في فصل النزاعات و المناقشات حيث تضمن تغيير وجهات النظر و القناعات دون ضرر ، كما يعدّ الحجاج مطية من تعوزهم القوة "السلطة" ، حيث يكتسبون منها من خلال خطاباتهم ، فقد تُحوّل قوة الخطاب مالا يخوّله خطاب القوة ، كما قد تغيّر قوة الخطاب مالا يغيّره خطاب القوة .

لأجل ذلك أضحي الحجاج أداة مطوعة تتوسّلها مختلف العلوم و المجالات ، وبخاصة الدّرس البلاغي ، ذلك أنّ : «البلاغة هي قبل كلّ شيء عتاد بنائي و تبليغي يتوسله الخطيب ، أو القائل عموما لفرض موضوعه أو رأيه أو قناعته ، ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه»² ، غير أنّ هذا العتاد البلاغي من صور بيانية ، و حيل مجازية ، و لغوية لا يُحقق منعزلا شرطا للتّصديق ، و التّدليل ما لم يُعضد بأدوات و آليات ترجيح الرّأي ، و تسويغه عقليا ، هذه الأدوات هي التي يوفرها الحجاج ، الأمر الذي دفع ببعضهم إلى القول :

1 - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 226

2 - حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، مج/30 ، ص 109 .

إنّ : «و راء كلّ حجاج بلاغة و العكس صحيح لأنّ مدار ذلك هو الإغراء و الاستغواء قصد الإمتاع و الإقناع»¹ .

و في السّياق نفسه يؤكد د طه عبد الرّحمن على أنّ حقيقة الحجاج قائمة على العلاقة المجازية ، فلا حجاج دون مجاز : «وليس المجاز هاهنا بمفهوم الانزياح اللغوي فقط فالعلاقة التي يقيمها المرسل بين الحجة أو الدّعى و النّتيجة ليست أصلية أو حقيقية بل هي علاقة يقيمها المرسل في خطابه على النّحو الذي يراه الأنسب والأنجع لتحقيق مراده»² .

يتضح مما سبق أنّ العلاقة بين الحجة و الدّعى ، هي علاقة اعتباطية يستحدثها المرسل بغية تحقيق أهدافه ، ومنه فإنّ «الازدواج بين واقع الدّعى و قيمتها " نتيجتها " ، وما واقع الدّعى إلا ظاهرها أو قل عبارتها ، وما قيمتها إلا باطنها ، أو إشارتها بحيث يكون المجاز هو الاستدلال بعبارة الدّعى على إشارتها ، وبذلك يكون جامعا بين معنيين أحدهما معنى واقعي أو قل " حقيقي " والثّاني معنى ضمني ، أو قل مجازي»³ .

وعليه يمكن القول إنّ معيار ضعف الحجاج أو قوّته ، إنّما هو العلاقة المجازية التي يقيمها المتلفظ بين واقع الدّعى و قيمتها ، على أنّ العلاقة لا تقوم بين هذين الرّكنين إلا عن سابق معرفة بالعالم الخارجي ، و ثقافات الشعوب و حدود تفكيرهم حتى تكون الحجة نافذة .

أ-العوامل و الروابط الحجاجية : إنّ توجيه الملفوظ " الخطاب " توجيها حجاجيا يقتضي تضمينه مجموعة من العلامات ، و الإشارات التي تؤطر كيفية تأويله وأيّ معنى يجب أن يسند إليه و " تعتبر العوامل ، و الروابط من ضمن أهمّ المواضع التي ينعكس فيها هذا التّوجيه الحجاجي بل إنّ سائر المظاهر الحجاجية الأخرى ترد في الغالب متفاعله مع

¹ - حبيب أعراب ، الحجاج و الإستدلال الحجاجي ، مج /30، ص110 .

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 460 .

³ - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 231 .

الروابط و العوامل "1، بحيث يرى قُيْلُون الذي أدرج -على نهج باحثين آخرين - الروابط في عداد العوامل الحجاجية ذلك أنها توفر في نهاية المطاف البعد الحجاجي للملفوظ معتبرا إياه - العامل الحجاجي - عماد عملية التواصل فيقول : " وحسب هذه الخطة تمثل العوامل فيما نرى محركا رئيسيا من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التّخاطب "2، فلا تخطب حسب قُيْلُون دون هذه العوامل و بالتالي ، فلا تخاطب دون اقناع وحجاج .

فيما يرى كل من ديكرو و أنسكومبر أنّ الحجاج قائم على التّوجيه ، فإنّ العامل الحجاجي من شأنه تقوية درجة التّوجيه ، وعليه فقد صيغ تعريف العامل الحجاجي لديهما بالقول " إنّ وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيهها حجاجيا ... للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها "3، مما يعني أنّ هذه العناصر لسانية وليست مقامية .

تميز بعض الدراسات التّداولية بين العوامل الحجاجية مثل ما إلا " " إن إلّا "

وتعريفها بأنّها " الروابط بين وحدتين دلالتين داخل فعل لغوي بعينه فهو على هذا الأساس موصل قضوي proposition atomique "4 ، وبين ما تسميه روابط حجاجية وهي " ما يدخل على أكثر من قضية أو هي ما به تتحدد القضية الكبرى moleculaire proposition "5، و أشير ههنا إلى أنني قد اعتمدت التّقسيم الأخير في الجزء التطبيقي .

1-وظائف العوامل الحجاجية :

يمكن لنا في ضوء ما تقدم من كلام عن مفهوم العامل الحجاجي أن نخلص إلى كون العامل الحجاجي يندرج في نطاق ما يسمى بالحجاج التقني القائم على مبدأ القول بالتّوجيه إذ يدخل على الملفوظ فيكسبه مظاهر حجاجية ثلاثة هي :

1-رشيد الراضي ، المظاهر اللغوية للحجاج ص 98.

2 -عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص17.

3-المرجع نفسه ص32.

4رشيد الراضي المظاهر اللغوية للحجاج ص 100.

5 -عز الدين الناجح العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص22.

أولاً : القضاء على تعدد الإستلزامات و النتائج وذلك بنقل المتقبل من التعدد و الغموض إلى وحدة النتيجة ، و المقصد من الملفوظ فلا يضيع بين النتائج التي تؤدي إليها الحجة، فلا تتعدد تبعاً لذلك المسالك التأويلية/les chemins interprétatifs. فيعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية.

ثانياً : قدح المواضع و تنشيطها l'activation d'un topoï فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط "ق1" أي المعطي بالنتيجة أي "ق2" وعلاوة على وظيفته التعاقدية هذه بين الحجة و النتيجة فإنه يعتبر ضامناً من ضمانات تسلسل الخطاب l'enchaînement de discours. وعنصران من عناصر تناسق الخطاب .

ثالثاً : تقوية التوجيه نحو النتيجة "ن" وذلك على صعيد ما يسمى بالمربعات الحجاجية و السلاسل الحجاجية ، التي يمكن اعتبارها آلية من آليات البرهنة على مقولة التوجيه الحجاجي و حجاجية اللغة .

2- الروابط الحجاجية في خطاب البشير الإبراهيمي :

تعتبر الروابط الحجاجية مؤشر أساسيا وبارزا و دليلا قاطعا على أنّ الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها ، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى و هي تنقسم إلى عدة أقسام :

روابط مدرجة للحجج " حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأنّ و رويط مدرجة للنتائج إذن لهذا ، بالتالي

روابط تدرج حججا قوية حتى بل لكن لاسيما

روابط التعارض الحجاجي " بل ، لكن ، مع ذلك و روابط التساوق الحجاجي حتى لا سيما ¹ .

¹ - أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ص 30 .

أ- الروابط المدرجة للحجج:

الرابط الحجاجي "لأنّ" :تعتبر لأنّ أهم لفظ تحليلي بحيث يكثر ورودها في المدونة التوجيهية لدى البشير الإبراهيمي ، كرابط حجاجي يستعمل لتبرير الفعل ،ذلك أنّه كثيرا ما يقدم الفكرة ثم يفصل فيها تفصيلا تحليليا و ذلك في مثل قوله :

النتيجة	الرابط	الحجة
إن أعداءنا الذين ملكوا رقابنا و احتلوا أوطاننا و سامونا الذلة و الهوان و استعبدونا شر استعباد وما ذلك إلا	لأنّ	نفوسنا أنهكتها الرذائل و تحيفتها النقائص " 1
"إننا ضعفاء و من القوة أن نعترف بأننا ضعفاء	لأنّ	من كتم داءه قتله فمن الواجب علينا أن لا نتعاضم بالكذب " 2
و ما زال معروفا عند العقلاء ، قريبا من مدارك البسطاء ، أن القوة وحدها لا خير فيها ، و أنّ الرحمة وحدها لا خير فيها	لأنّها لأنّها	جبرة و استعلاء ضعف و هويانا .. 3

يمكن إذن استعمال الرابط لأنّ في الحجاج بغض النّظر عن فعل الكلام المنجز ، فقد ترد في سياق الإثبات كما قد ترد في سياق النّفي .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 307

² المصدر نفسه ، ج 2 ص 472

³ المصدر نفسه ، ج 4 ص 66

الرابط الحجاجي لام التعليل و كي :تعد لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجة ولدعم وتبرير النتيجة

النتيجة	الرابط	الحجة
و إنها لكبيرة أن ينشأ الشاب على على الخير و الاتصال بالله من الصغر ، و لكن جزاءها عند الله أكبر	لما لهذا	يصحبها من مغالبة للهوى في لجأه و طغيانه و السر عد الرسول صلى الله عليه و سلم الشباب الذي ينشأ في طاعة الله أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ¹
إن زمانكم بطل فقاتلوه بالبطولة لا بالبطالة ، وإن البطل هو الذي يتعب	—	يستريح غيره ²
إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك رعاياها أطفال الأمة ، فسوسوهم بالرفق و الإحسان و تدرجوا بهم في التربية من مرحلة كاملة إلى مرحلة أكمل ، إنهم أمانة الله عندكم ، وودائع الأمة بين أيديكم ، سلمتهم إليكم أطفالا و قدمتهم إليكم هياكل و ألفاظا لتعمروها بالمعاني ، و أوعية "	— — —	تردوهم إليها رجالا تفتحوا فيها الروح تملأوها بالفضيلة و المعرفة
، بل نرى أكثرهم يعتمد إضلالنا في تعليل الأشياء	كي	لا يقف المريض على حقيقة دائه فيغفل مغترا ³

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 270

² المصدر نفسه ، ج 2 ص 110

³ المصدر نفسه ، ج 4 ص 310

إنّ مرد استعمال اللام وكي في سياق الأمثلة السابقة هو تقديم حجج لدعم النتيجة الواردة قبلها.

يعتبر التشبيه " المقارنة " من الروابط الحجاجية التي وردت بشكل مكثف في متن المدونة التوجيهية عند البشير الإبراهيمي ، حيث تتركب بنية الحجاج فيه من ملفوظات تشبيهية في صلب النتيجة أو في الحجج في مثل :

السعة (الدعوى)	الأداة	الحجة
إنّ الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخرونهم	الكاف	كالشيطان منهم يبتدئ الشر و إليهم ينتهي.
ويومئذ يصحون في الفراغ من المعاني الإسلامية	الكاف	كمدافع المتحف كل ما فيها من مظاهر الروعة الاسم والصورة
نعود إلى قضية الفصل " فصل الدين عن الدولة ".	كما	كما يعود التلميذ إلى الفصل معتقدا أنه خلق له وأن سعادته مرتبطة به ، فهو لتلك العقيدة لا يسأم من الرواح والغدوة.
إن قلبي يحدثني حديثا.	كأنّ	كأنما استقاه من عين اليقين وهو أنّك فائزة منتصرة ظافرة في هذه المعركة.

وردت الروابط الحجاجية (التشبيهية) "كأن ، الكاف " ههنا متوسطة بين النتيجة (الدعوة) والحجج بحيث أظهر صفة المشبه عن طريق مقابلتها بصفة مماثلة هي صفة المشبه به - في متن النتيجة - غير أنّها أعظم منها و ذلك توضحا و إبرازا لحال المشبه حتى تتقرر في ذهن السامع .

كما قد يرد التبرير باستعمال لفظ " العلة " و التعليل في مثل قول الإبراهيمي : "أندرون لماذا يغضب الناس من وصفهم بالمكروهات و لو كانت موجودة فيهم ، و لا يغضبون لوصفهم بالمحوبات إذا كانت مفقودة منهم ؟علة العلل في ذلك هي ضعف التربية

الأخلاقية فينا معشر الشرقيين ، و بعد المسافة بين القول و العمل عندنا ، و اختلال الموازين العقلية في تقديرنا و نسياننا للواقع حين نتناول الأشياء بالوزن و المقارنة¹

إنّ لفظ العلة و التعليل رابط يمهّد لذكر الحجة الواردة بعده ، والتي تدعم النتيجة (الدعوة) قبله.

وقد يرد تبرير الفعل باستعمال لفظ السبب و ذلك في مثل قول الإبراهيمي : " و لعل من حماية حقوق الأديب حمايته من الدخلاء على فنه الذين يهبطون بالمستوى إلى حضيض الابتذال ، و ربما كان هذا هو السبب في ضياع الأديب الحق الذي يتمسك بفنه " ²

يمهّد البشير الإبراهيمي بلفظ السبب لحجته التي ساقها ليكون ما بعد اللفظ (السبب) حجة على النتيجة (الدعوة) في المثال إذ " تعد الكلمة بديلة من أشكال المفعول به وهذا هو مكن الصلة بينها وبينه " ³.

الرابط الحجاجي حتى : يرى كل من ديكر و أنسكومبر أنّ " الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة ، و الحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى ، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطال و التّعارض الحجاجي " ⁴.

يقول البشير الإبراهيمي : "ألا إنّ في الإسلام نوعا من المعاني لم يتخيله وضع ، و لا عرف و لم يتداوله نقل ، و لا استعمال حتى جاء محمد بالهدى و دين الحق ، و نقل اللّغة من طور إلى طور هو استسلام الجوارح و سلطانها القلب لله و عظمتة و قدرته و علمه حتى توحيده وحده و تعبده وحده " ⁵ يمكن التمثيل لسلمية الحجج المعروضة في القول و دور الرابط حتى في ابراز الحجة الأقوى عن طريق السّلم الحجاجي الآتي :

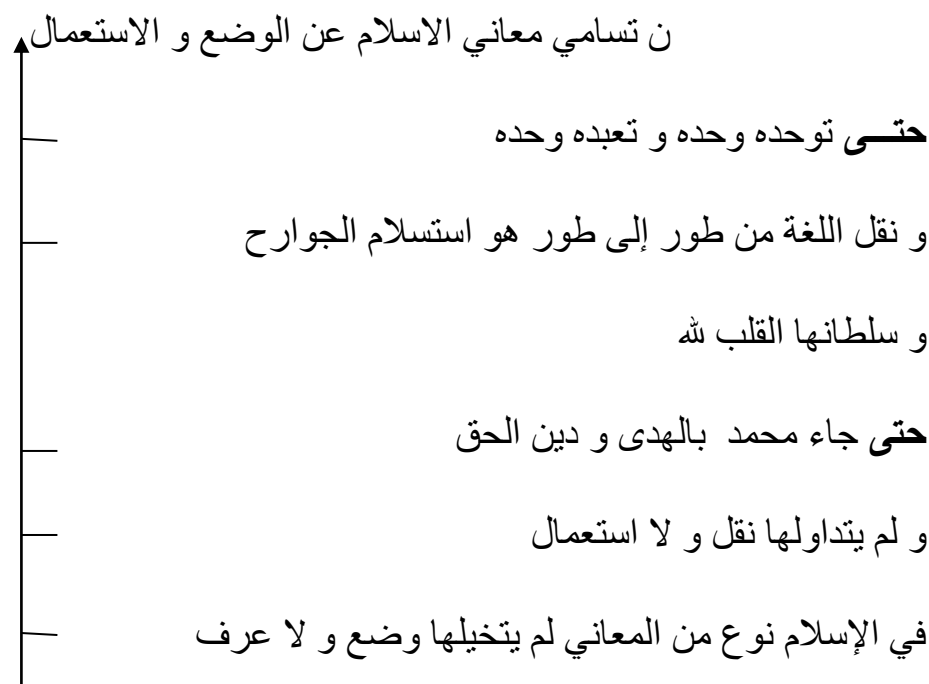
¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 305-306

² - المصدر نفسه ج 5 ص 214

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب ص 479.

⁴ العزاوي ، اللغة و الحجاج ص 73

⁵ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 269



إنّ توحيد الله وحده و عبادته وحده هي أسمى المعاني التي جاء بها لفظ الاسلام فالحجة التي جاءت بعد حتى هي الحجة الأقوى ، و هي غاية ما قبلها .

و عليه فإنّ السّلمية يحددها الرابط في حد ذاته ، لذلك يرى ابن يعيش في دراسته للرابط "حتى" أنّ الواجب فيها يكون " ما يعطف بها جزاء من المعطوف عليه ، إما أفضله كقولك : مات النّاس حتى الأنبياء ، أو دونه كقولك : قدم الحاج حتى المشاة " ¹. والمحصل من هذا القول أنّ ما يسبق "حتى" وما يليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكل ، و "يجب أن يكون آخر جزء من الشّيء ، أو يلاقي آخر جزء منه ، لأنّ الفعل المتعدي بها الغرض فيه أن يقتضي ما تعلق به شيئاً فشيئاً حتى يأتي عليه " ² ، وهنا يظهر مفهوم السّلمية ، فما يأتي قبلها أضعف أثراً في إيصال النتيجة ، في حين أن ما يليها أقوى نجاعة في الحجاج لأنّ الجزء أكثر إقناعاً لدقته من الكل ، وأنّ العام لغموضه أقل نجاعة من الخاص .

¹ ابن يعيش ، شرح المفصل ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط 2001/1 ، ج 7 ص 15.

² الزمخشري أبو القاسم بن عمرو بن أحمد ، المفصل في صنعة الإعراب ، تح علي بوملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط 1993/1 ص 380.

تظهر عملية التقوية للحجة في حركة التوجيه الذي يقوم به الرابط "حتى" في إخراج الملفوظ من العام إلى الخاص ، ومن الكل إلى الجزء ، وهذا درء للغموض ، وحصرًا للنتيجة .

روابط التعارض الحجاجي في خطاب البشير الإبراهيمي :

الرابط الحجاجي لكن : يتوسط الرابط الحجاجي لكن كلامين متغايرين مفيدا الاستدراك نفيا أو إيجابا و هو " تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر و الأوهام التي ترد على الذهن بسببه و هو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي " ¹ .

يقول الإبراهيمي : "...و إنّ أجدادنا دوخوا العالم و لكن بالعدل ، و سادوه و لكن بالإحسان..." ² فاستعمال أداة الاستدراك ههنا أزال عن ذهن المتوهم أن يكون أجدادنا قد دوخوا العالم بغير العدل و سادوه بغير الإحسان .

و يقول أيضا "إنكم في زمن كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك و أعود عليها بالخير و المنفعة ، و كراسي المعلمين فيه أمنع جانبا و أعز قبيلًا من عروش الملوك ، فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش ، و لكنّها لم تعصف يوما بكرسي المعلم ³ وقع الرابط الحجاجي لكن ههنا بعد إثبات فربط بن قولين

1- كم عصفت العواصف الفكرية بالعروش .

2- لم تعصف بكرسي المعلم .

فأفادت نفي أن تكون العواصف قد عصفت بكرسي العلم يوما ، و إثبات ذلك لغيره من العروش ف " كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر ، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركته بخبره إن سلبا أو إيجابا ، و لا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك " ⁴ و يمكن تمثيل ذلك بالسلم الحجاجي الآتي :

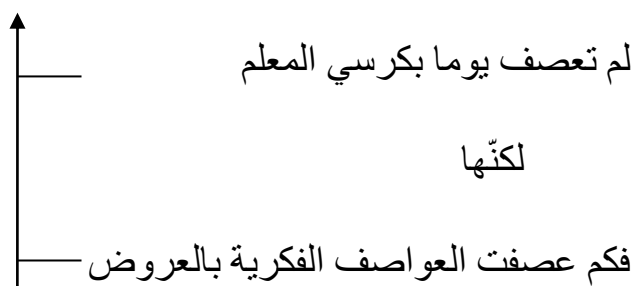
¹ عباس حسن النحو الوافي دار المعارف مصر ط3 ج3 ص 616

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2 ص 466

³ المصدر نفسه ، ج2 ص 112

⁴ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج5 ص 561

ن : كراسي المعلمين أمنع جانبا و أعز قبيلًا من عروش الملوك



منح الاستدراك بـ " لكن " الحجة التي جاءت بعده قوة أكبر ، فجاءت هذه الحجة في الدرجة الأعلى من السلم فـ " الدليل الذي بعد لكن يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله ، و تكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله ، فتكون النتيجة التي يقصد إليها و يخدمها هي نتيجة القول برمته " ¹.

و يقول أيضا : " إنّ تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العدد و لكن بقوة الروح ، فانفخوا في هذه الأرواح الضعيفة التي أضعفها الضلال عن طريق الحق ، تنقلب نارًا متأججة " ²

وقعت لكن في القول بعد نفي لتفيد اثباتا في الثاني فيكون أقوى حجة من الأول فالقولان هما

1- إنّ تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العدد

2- فتحوه بقوة الروح

يمكن تمثيل الحجتين بالسلم الحجاجي الآتي :

¹ أبو بكر العزاوي ، الحجاج و الشعر ، نحو تحليل حجاجي لنص شعري ، مجلة دراسات سيميائية ، أدبية ، لسانية ص 374

² محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 271

ن: تحققت الفتوحات الاسلامية بقوة روح الفاتحين و انصياهم للحق
فتحوه بقوة الروح
ولكن
إنّ تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العدد

فقد استدرك الابراهيمى بعد قوله إنّ تلك الفئة القليلة من أصحاب محمد ما فتحوا الكون بقوة العدد بالرابط لكن فكان القول بعدها أقوى حجة على دعوته إلى ضرورة التحلي بقوة الروح .

الرابط الحجاجي : بل

يرى الزمخشري أنّ بل تستخدم للإضراب عن الأول منفيًا أو موجبا¹، ويقول الرماني في شأنها : "وهي من الحروف الهوامل ، ومعناها الإضراب عن الأول و الإيجاب للثاني"²

إنّ التلفظ بأقوال من نمط "أ" بل "ب" يستلزم³:

1. أن المتكلم "أ" و "ب" باعتبارهما حجتين ، الحجة الأولى "أ" موجهة نحو نتيجة "ن" والحجة الثانية "ب" موجهة نحو نتيجة مضادة "لا- ن".

2. أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى ، باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته .

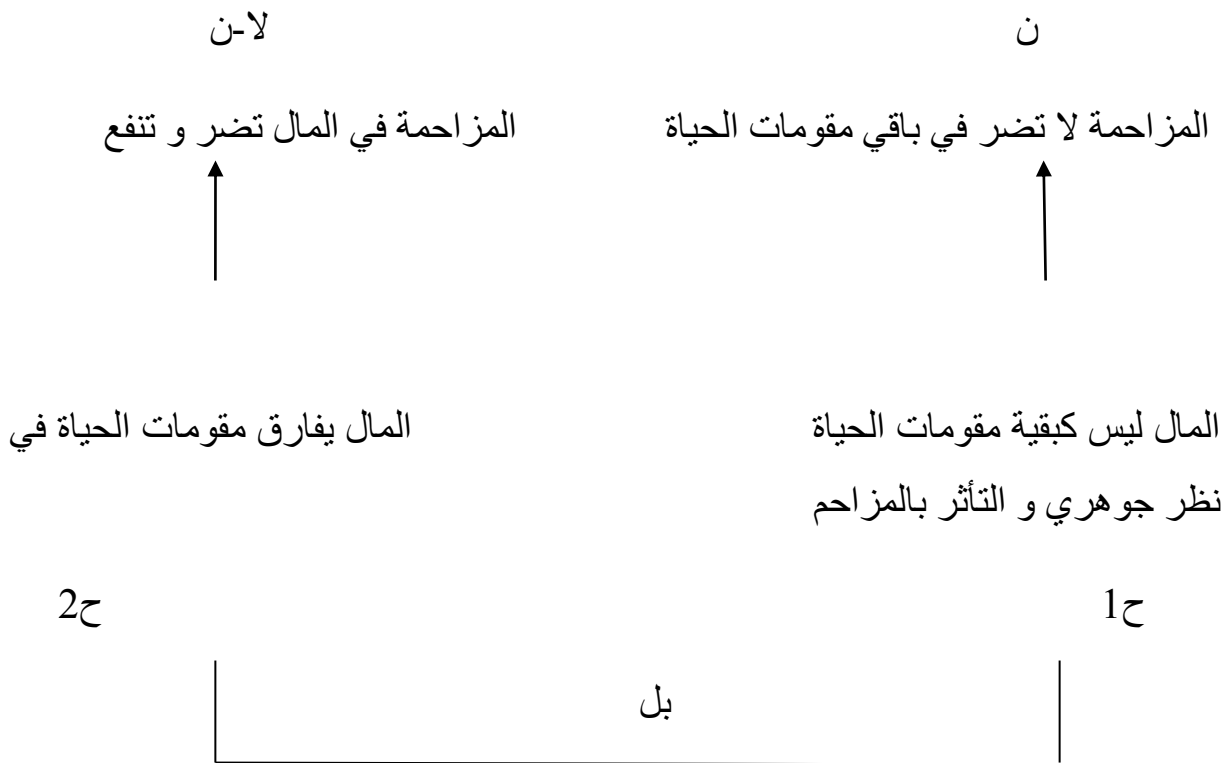
وهذا يعني أن "بل" تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها وما يتبعها وبهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا- ن".

¹ الزمخشري المفصل في علم العربية ، تحقيق سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ط2/دت بيروت لبنان ص 305
² الرماني ، معاني الحروف ، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1/2005 ص71.
³ أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص57.

قال الإبراهيمي : "...أنبهم أيها السادة إلى نقطة و هي أنّ المال ليس كبقية مقومات الحياة بل يفارقها في نظر جوهرى و التأثير بالمزاحمة فالزحام الشديد لا يكون إلا عليه و التكاليف العنيف لا يكون إلا لأجله ، و قد تموت في هذا الزحام أمة أو أمم لا تعرف كيف تراحم و لا تحسن الدفاع حين تراحم ، فالمزاحمة في المال تضر و تنفع ¹"

يقيم الرابط الحجاجي بل في الخطاب أعلاه علاقة حجاجية مركبة من علاقتين الحجة " أ " الواردة قبل الرابط و هي " المال ليس كبقية مقومات الحياة " ، و التي تتخذ نتيجة ضمنية "المزاحمة لا تضر في باقي مقومات الحياة "

أمّا الحجة الثانية " ب " الواردة بعد الرابط بل و هي " يفارقها في نظر جوهرى و التأثير بالمزاحمة " التي تتخذ النتيجة المصرح بها "المزاحمة في المال تضر و تنفع "

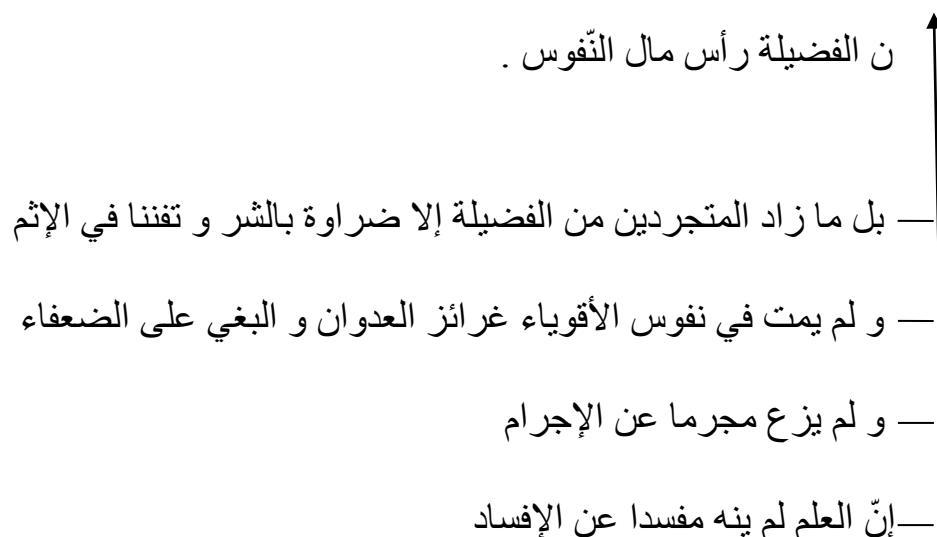


تساهم بل في انشاء السلم الحجاجي بنفي ما يسبقها و هو درجة أدنى في السلم ، و إثبات ما يليها و هو أرقى درجة في السلم لما له من قيمة إقناعيه .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1ص54

أمّا في قول الابراهيمى : " إنّ العلم لم يمه مفسدا عن الإفساد ، و لم يزعم مجرما عن الاجرام ، و لم يمت في نفوس الأقوياء غرائز العدوان و البغي على الضّعفاء ، بل ما زاد المتجردين من الفضيلة إلا ضراوة بالشر ، و تفننا في الإثم ، فاجعلوا الفضيلة رأس مال نفوس تلامذتكم " ¹.

تأتي بل ههنا للإضراب الانتقالي من حجة أضعف إلى حجة أقوى ، تسند النتيجة ، و نلاحظ هذا الارتقاء في الانتقال من ح 3 إلى ح 4 بحيث تمثل ح 4 آخر درجات الارتقاء في إثبات النتيجة و يمكن التمثيل لذلك بالسلم الحجاجي الآتي :



يقرّ موشلار وريبول (Moeschler et Reboul) بأنّ الخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية هي أن تكون سلمية وتراتبية ² ، و سبب وصفها بهذه الصفة إنّما يعود إلى ما يوفره العامل الحجاجي من تقوية للحجة حتى يجعلها غير متساوية قوة وضعفا ، تأثيرا وإقناعا ، وبالتالي يكون العامل الحجاجي هو المحرك الرئيس للعلاقات الحجاجية داخل الملفوظ و القسم الحجاجي معا ، وبهذا ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقا للنتيجة .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2 ص 111

² J Reboul A et Moschlar dictionnaire encyclopedique de pragmatique p88.

نستنتج من هذا العرض للروابط الحجاجية أنّ الرابط الحجاجي هو وحدة لغوية داخل الخطاب تربط بين قولين أو أكثر ، وعلى هذا يكون الرابط الحجاجي معطى لغويا من بنية الكلام يربط بين الأقوال ، ولكل رابط من هذه الروابط دور محدد داخل هذه الوظيفة ، وهو الذي يوجه الخطاب وجهة معينة .

3-حجاجية الصفة في خطاب البشير الإبراهيمي : تنتزل الصفة منزلة الأداة التي يحتاج بها الإبراهيمي لما لها من دور في توضيح الحجج و تقويتها و تقريرها لدى المتلقي بحيث تدفعه إلى الاقتناع ، لذا نراها تمتد على مساحة واسعة من خطاباته ، وذلك في مثل قوله مخاطبا الدول الأوروبية وكل من اشترك في قرار تقسيم فلسطين بين العرب و اليهود : "تعالوا يا أصحاب هذه الضمائر المنفصلة ... إلى كلمة سواء بيننا وبين اليهود . تعالوا نقامركم مقامرة لا يقترحها إلا عربي ، ولا يقدم عليها إلا حر أبي ، ولكنّها مقامرة تقض النزاع الذي أعياكم أمره ، وراع العالم شره في لحظة – دعونا من التقسيم فالرقعة ضيقة بأهلها ، ومن الوطن القومي فالكلمة ضائقة بمعناها ، وهلم بنا إلى الحل الناجز ، والفصل الحاجز "1.

إنّ وصف ضمائر الدول المشاركة في التقسيم بالانفصال حجة على أنّ قسمة هؤلاء إنّما هي قسمة ضزى " غير عادلة "، بل إنّها باطلة لذلك يدعوهم إلى مقامرة لا يقبلها إلا عربي حر أبيّ وتلك أوصاف حجة له على أنّ دعوته صادقة ، لأنّها صادرة عن صاحب حق ، لفض النزاع حول "رقعة أرض ضيقة" وهذا وصف يعضد دعوته إلى ترك التقسيم فإنّها لا تكفي لتضم شعبين يختلفان في كل شيء ، فلا داعي للمناداة فيها بالوطن القومي فالكلمة ضائقة بمعناها ، فاسم الفاعل " ضائقة " ههنا ينتزل منزلة الصفة التي وظفت كحجة على أنّ مناداتهم لفلسطين بالوطن القومي إنّما هو نداء لمنادى ليس لهم فيه حق ، لأجل ذلك يدعوهم الإبراهيمي إلى الحل الناجز و الفصل الحاجز ، " فالناجز و الحاجز " حجتان على صواب ما دعا إليه البشير الإبراهيمي ومن ورائه كل حرّ أبيّ .

¹محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3.ص457.

و يقول أيضا في خطابه : " كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار : " أنتم حراس هذا الجيل الجديد ، و المؤتمنون عليه ، و القوامون على بنائه ، و أنتم بناء عقوله و نفوسه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة و ابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الانسانية ، و أشربوه عرفان قيمتها ، فإن من لم يعرف قيمة الثمين أضاعه ، و قد غبنت هذه القيم في عصركم فكان ما ترون من فوضى و اختلاط ¹ .

يقرر البشير الإبراهيمي في متن العنوان صفة هذا الخطاب "الواعظ " و كذا صفة المتلق " المعلمين "الأحرار " فمناطق قيام فعل التوجيه "الوعظ" قائم على صفة المتلقي المتمتع بالحرية التي تتضمن معاني القيم الفاضلة ، فصفة " أحرار " ههنا تشتغل كحجة على الصفات الواردة في متن الخطاب و هي " حراس ، مؤتمنون ، قوامون ، بناء " فإنما يؤتمن الحر- الذي لا يمنعه قيد – على جيل " جديد " لبينيه و يقوم على إرشاده إلى سبل الفضيلة .

4-حجاجية الألقاب في خطاب البشير الإبراهيمي: تعتبر الألقاب صفات يمكن أن تكون دليلا على درجة الحجاج " وتعد ألقاب القرابة من الصفات بوصفها تنتمي إلى سلمية ذات درجات فيختار المرسل منها ما يرى أنه يجسد درجة قرابته بغيره في الخطاب ليحاجج من خلالها ² ، وقد استعملت بشكل مكثف في خطابات التوجيه الملقاة إلى أبناء أمتة عامة لتكون سبيلا للتحاج ، و حجة يتأسس عليها فعل التوجيه حتى كانت لازمة رصعت هذا النوع من الخطابات يقول في خطاب أمام الوفود العربية و الإسلامية في الأمم المتحدة " : " أيها الإخوان المتلاقون على هوى واحد هو هوى الوطن الجامع ، المتعبدون بعقيدة واحدة هي عقيدة تحرير هذا الوطن الجامع ، الطالعون كالكواكب من أفق واحد هو هذا الشرق الذي أطلعت سماؤه الشمس و القمر ، وأطلعت أرضه الأنبياء و الحكماء ³ .

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3ص271

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب .ص487.

³ -محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج2.ص465.

لا يحلو للبشير الإبراهيمي الذي يخطب في جمع من الوزراء و الزملاء حملة الأقلام إلا بلفظ الأخ ويحتج لذلك بأنه اللفظ الذي " جاء به الإسلام في آدابه الراقية ومثله العليا " ¹، فالأخوة حجة لصوغ خطابه على هذا نحو من التودد ، و التلطف مما يزيد سعيه إلى الإقناع قوة و نفاذاً .

إنّ منطلق استعمال لفظ الأخ ، و الابن ههنا ليس مقصوراً على التضامن فحسب بل تتعدى ذلك إلى تأسيس فعل حاجي إضافة إلى كونها حججا في ذاتها .

ويقول في خطابه " إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم " " أوجه النداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشرق العربي ... إنكم يا أبنائنا مناط آمالنا ...و إنكم يا أبنائنا فارقتم الأهل يا أبنائي إذ عرفتم هذا وعرفتم واجب أنفسكم " ²

إنّ استعمال لقب الابن ههنا لا يخلو إطلاقه من مقصد حاجي إذ " لا يقصد به تصنيف الموصوف بالنظر إلى السمات التي تشركه مع العناصر التي ينتمي إليها فحسب ولكنه يعبر غالبا عن تحديد موقفه منه وطريقة الحكم عليه ومعالجته " ³ .

العوامل الحجاجية في خطاب البشير الإبراهيمي :

عامل الشرط : يعد أسلوب الشرط سمة جوهرية للنص الحجاجي ، إذ يسهم في بناء الاستدلال تبعا للوجهة التي يرغبها المحاجج ، بحيث يقود المستدل إلى المشاركة في صوغ جواب يدعم الأطروحة المقترحة بطريقة حتمية ذلك أنّ أسلوب الشرط قائم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه بما أن فعل الشرط ينزل منزلة المسلم به ، فالشرط هو " دلالة اللفظ المفيد لحكم معلق بشرط على نقيض ذلك الحكم عند عدم الشرط " ⁴

¹ -المصدر نفسه ، ج2، ص464.

² -المصدر نفسه ج3، ص203.

³ -عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب . ص487.

⁴ -محمد الحضري ، أصول الفقه ، دار الفكر 1988 ، ص123.

قال البشير الإبراهيمي " و والله يمينا برّة لو أنّ هذه القوة – روحيتها ومادّيتها – انطلقت من عقلها ، تظاهرت وتضافرت ، وتوافدت على فلسطين لدفنت صهيون ومطامعه و أحلامه إلى الأبد و لأزعجت أنصاره المصوتين إز عاجا يطير صوابهم ويحبط ثوابهم ... و لأحدثت في العالم الغربي تفسيراً جديداً للكلمة عربي ¹ .

1. المقدمة الكبرى : "مذكورة" لو أنّ هذه ... لدفنت صهيون
 2. المقدمة الصغرى : "مضمرة" لكن هذه القوى – روحيتها ومادّيتها – لم تنطلق من عقلها ، ولم تتظاهر ولم تتضافر
- النتيجة : لم تدفن صهيون ومطامعه و أحلامه ولم تزعج أنصاره المصوتين ، ولم تحدث في العالم الغربي تفسيراً جديداً للكلمة عربي .

يقول البشير الإبراهيمي : فإن شئت أن تذيب هذه الأسلحة كلها في أيدي أصحابها فما أمرك إلا واحدة ، وهي أن تقولي : إني مسلمة ... ثم تصومي عن هذه المطاعم كلها ... إنّ القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصري عليهم ... وقابلي أسلحتهم كلها بسلاح واحد ، وهو التلف عن هذه الأسلحة كلها ... فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا ... وماذا يصنع المرابي في بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ² .

إنّ المُمحص لقول الإبراهيمي يستنتج أنّ إيقان أعداء مصر أنّهم لا حاجة لهم فيها وانصرفهم عنها مشروط بيقينهم أنّ مصر لا حاجة لها بهم ، فالأول شرط ضروري لحصول الثاني ، لذلك فإنّه من غير الطبيعي أو من باب الكذب كما يرى ديكر و أن نتلفظ بجملة " فإذا " دون أن نفكر في المفهوم منها ، " إذا لم يوقنوا أنك لا حاجة لك بهم لن يوقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ولن ينصرفوا " ، لا شك أن الشرط و أدواته المحققة له في الملفوظ وهي " إذا " هما المسؤولان عن توجيه المتلقي نحو مفهوم المخالفة هذه أو النتيجة ، فقد حصر الشرط ههنا كل إمكانات التأويل ووجهها نحو ما يسمى بمفهوم المخالفة .

¹-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 455.

²-المصدر نفسه ج 3. ص 498.

و يقول أيضا : " و أمامهم الانتخابات للمجلس الجزائري إحدى الثمرات المرّة لذلك الدستور الأعرج الذي وضع من غير إرادة الأمة ولا استشارتها ، ولا نشك في أنّ أحزاب الاستعمار ومن ورائها الحكومة تعد العدة للاستيلاء على جميع مقاعده بكل الوسائل ، ولا نشك في أن الخطط دبّرت ، وأن الدوائر فصلت على قدر الأذنان و الأنصار ، لضمان الفوز للأذنان و الأنصار ، فإذا لم تواجهها أحزابنا باتحاد متين ، وقائمة واحدة ، خسرت القضية مرتين : مرة بتمهيد السبيل لفوز الاستعمار وأذنايه و أنصاره ، ومرة بتوسيع خرق الشقاق و التفرق بين أجزاء الأمة الذي هو أثر من آثار الانتخاب ¹ .

ق1 إن عدم اتحاد الأحزاب الجزائرية ينشأ عنه خسران القضية مرتين ... باعتبار ذلك شرطا كافيا كما أن بنية الملفوظ الشرطي ، تنطوي على مفهوم مخالف للمعنى الظاهر يتوصل إليه اعتمادا على البنية اللغوية للشرط ألا وهو أنّ إثبات ق1 يستلزم نفي ق2 ، وذلك على النحو الآتي :

فإذا واجهتها أحزابنا باتحاد متين وقائمة واحدة لن تخسر القضية مرتين ...

إنّ توظيف اسم الشرط " لو " جاء لتحقيق مقاصد حجاجية لا تتم إلا بها، فهي تقوم على حجة دامغة تستمد قوتها الإقناعية من التجربة العينية والمعرفة المشتركة التي يشهد بها الحس والواقع، وبهذا يتم الانطلاق من مقدمات يقينية من أجل دفع الخصم تصور الجواب الملائم للأطروحة لأنّ فعل الشرط يتضمن مؤشرات لغوية توجه المستمع إلى جهة الجواب المرغوب فيه.

أ- عامل الاستفهام :

يذهب كل من "فان إيميرن و جروتندورست" إلى أنّ الأفعال الكلامية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج إذ يقوم كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب ، و تترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال ، « فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري ، إنّ لم يكن كلها

¹-المصدر نفسه ، ج3 ص307.

ليعبر عن وجهة نظره ، و ليحدد موقفه من نقطة الخلاف ، كما يستعملها لمواصلة حجابه من خلال التأكيد أو الادعاء كما يعبر بها عن دعواه و كذلك لتأسيس النتيجة¹ .

و يقف هدف الخطاب فيصلا لوصف الخطاب بأنّه خطاب حجاجي أولا ، فالهدف من الخطاب الحجاجي هو إقناع المرسل إليه و إزالة شكوكه في وجهة النظر موضع الخلاف ، وقد تتبع كل من إيميرن و جروتندورست دور كلّ صنف من أصناف الأفعال الكلامية التي وضعها سيرل حيث لاحظا ما يلي² :

- تستعمل الأفعال الإلزامية للتعبير عن قبول وجهة النظر، أو الرغبة في الحجاج من عدمه و في تدعيم موقف المرسل الذي اتّخذ للدفاع عن موقفه .

- تستعمل الأفعال التوجيهية بجميع أصنافها و ذلك راجع لطبيعتها التي تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش مثل التّحدي و الدّفاع عن وجهة النظر أو طلب الحجاج، غير أنّ سياق الحجاج يفرض على المرسل عدم استعمال بعض الأنواع منها ، مثل الأمر و أفعال التّحريم التي قد تؤدي أحيانا إلى الحيلولة دون إتمام النقاش .

- و يعتبر الاستفهام من أنجع الأفعال الكلامية المستعملة في الحجاج ، إذ إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما ، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم .

على أنّ الاستفهام فعل حجاجي بالقصد المضمّر فيه وفق مقتضيات السياق، ما لم يكن سؤالا عن مجهول. إذ يساق لتقرير الحقائق وتقوية الحجج ، فهي « حجج باعتبار

المرسل لا باعتبار الصياغة و المعنى الحرفي »³ .

1 - ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، ص 482 .

2 - ينظر المرجع نفسه ، ص 483 .

3 - المرجع نفسه ، ص 485 .

يحتاج الإبراهيمي في كثير من مدوناته باستعمال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري حسب ما تقتضيه الاستلزمات الحوارية " فالأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه ، وأقوى حجة عليه ، وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر " ¹ ، و ذلك في مثل قوله : " وهذا الوطن الذي نبتنا في ثراه ، وغدينا بثمراته ، وسقينا عذبه ونميره ، وتقلبنا بين جباله وسهوله في النضرة و النعيم ، وأودعنا فيه الذخائر الغالية من رفات الأجداد ، وطن عربي المنتسب ، يشهد بذلك القلم واللسان ، والأسماء و الأفعال ، وتشهد بذلك التواريخ المكتوبة ، و الأخبار غير المكذوبة ، فإذا تظلم وتألّم لفلسطين ، وامتعص و ارتمض للعدوان عليها ، وإذا نهض يواسي ويعين ، ويسعف ويسعد ، فهو حقيق بذلك ، وإنّ ذلك لبعض حق فلسطين عليه .

ولكن ... هل من الصحيح أنّ التّفجع و التّوجع و التّظلم و التّألم و الأقوال تتعالى ، و الاحتجاجات تتوالى ، هي كل ما لفلسطين علينا من حق ؟ وهل من المعقول أنّ التّفجع وما عطف عليه -مجتمعات في زمن ، مقترنات في قرن - تدفع حيفا ، أو تفل لظالم سيفا ، أو ترد عادية عاد ، أو تسفه حلم صهيون في أرض الميعاد؟ " ².

من الملاحظ أنّ الاستفهام الوارد في هذا الخطاب "م1" من الممكن تعويضه بنفي فيحول إلى : " ... لكن من غير الصحيح أن يكون التّفجع و التّوجع ... هي كل ما لفلسطين علينا من حق ، وليس من غير المعقول أنّ التّفجع وما عطف عليه ... تدفع حيفا أو تفل للظالم سيفا ... " ، بحيث تقوم الملفوظات الاستفهامية ههنا مقام الحجة " إنّ ذلك لبعض حق فلسطين على العرب .

إنّ الاستفهام الوارد بعد الرابط لكن له قيمة إنجازية حجاجية في هذا السياق ، ذلك أنّه " يمنح الملفوظ ككل التوجيه الحجاجي للملفوظ الوارد بعده " ³.

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب . ص 484.

²- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 . ص 453

³رشيد الراضي ، المظاهر اللغوية للحجاج ، ص 97.

و يقول أيضا " أي أبنائي إنّ هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشّفقة عليكم ، والرّحمة بكم ، و الاهتمام بشؤونكم ، ما تنبت منه الحبال ، وتنوء بحمله الجبال ، وهو يرثي لحالك من الغربية و إلحاح الأزمات ويود بقطع وتينه لو أزيحت عللكم ، ورقع بالسداد خللكم ، ولكّكم جنود ، ومتى طمع الجندي في رفهية العيش ؟ وأسود ، ومتى عاش الأسد على التّدليل ؟ وهو يشعر أنّ التّدليل تدليل "1

للاستفهام الوارد ههنا دور حاجي بحيث يسند السؤال الأول "و متى طمع الجندي ي رفهية العيش ؟" النتيجة "إنكم جنود .." ، بينما يعضد الاستفهام الثاني " ومتى عاش الأسد على التّدليل ؟" النتيجة " إنكم أسود .." بحيث يمكن تعويض الملفوظ الاستفهامي بالنّفي في "م1" "م2" ليصبح على التوالي " لا يطمع الجندي في رفهية العيش " ، " لا يعيش الأسد على التّدليل " .

ينطوي الملفوظ الاستفهامي ههنا على قيمة حاجية لا ينبغي إغفالها وهي : " قيمة تتجلى في المستوى الداخلي العميق لكثير من البنيات الاستفهامية "2.

إنّ الاستفهام الوارد في الأمثلة السابقة يمثل حجة داخل الملفوظ ، وليس استفهاما خالصا كما هو ظاهر ومن ثم " نحتاج حتى ونحن أمام هذه الصورة الاستفهامية الظاهرية إلى استحضار قيمته الحاجية الانجازية الفعلية ، وهذا ما يؤكد -كما هو الشأن في وقائع أخرى - أن العلاقات الحاجية تتدخل في مستويات حاجية عميقة (البنيات التركيبية) وتشكل بذلك معطى تأويليا قاعديا وليس هامشيا "3 .

فلم تكن الأسئلة هاهنا استفهاما عن مجهول ، إذ لا يجهل المرسل شيئا عن هذه الحقائق ، ولا تزيد معرفة المرسل إليه على ما يعرفه المرسل ولذا فهي حجج باعتبار قصد المرسل .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ، ص 265.
² رشيد الراضي ، المظاهر اللغوية للحجاج ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ص 45.
³ المرجع نفسه ص 98.

ب- **عامل النفي:** هو " عامل حجاجي يحقق به البات وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيه الملفوظ إلى النتيجة ن"¹، فقد رأى برقسون " أنّ الفكر السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير ، أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج "2، وقد جعل بن يعيش الإكذاب صفة جوهرية للنفي معرّفا إياه يقول : "3 إنّ الكذاب يمنح الملفوظ و المتلقي توجيهها نحو نتيجة واحدة ينبغي التصديق بها .

غير أنّ النفي يرد لغير مراد التّكذيب و الإكذاب من ذلك ورود الشيء منفيًا نفيًا مقيدا و المراد نفيه نفيًا مطلقا يقول الزركشي في هذا الباب "من النّفي نفي الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النّفي و تأكيده كقولهم : فلان لا يرجى خيره ، ليس المراد أنّ فيه خيرا لا يرجى ، غرضهم أنّه لا خير فيه على وجه من الوجوه (...) ومثله قوله تعالى "ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع " ليس المراد النّفي للشفيع بقيد الطاعة بل نفيه مطلقا (إذ هم لا شفيع لهم مطاع ولا غير مطاع)"⁴ .

وقد ميز شكري المبخوت في هذا السياق بين ثلاثة وظائف للنفي مستندا في ذلك إلى تقسيم ديكرو الثلاثي للنفي هي:

1. النّفي الوصفي : وهو النّفي الذي يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدمه قائله على أنّه يعارض قولاً آخر .

2. النّفي الجدالي : هو النّفي الذي يعارض به المتكلم رأياً معاكساً لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية .

النّفي الميتالغوي : هو قول منفي يهاجم متكلماً له خاصيتان : يبطل المقتضيات ...و إعلاء الصفة.

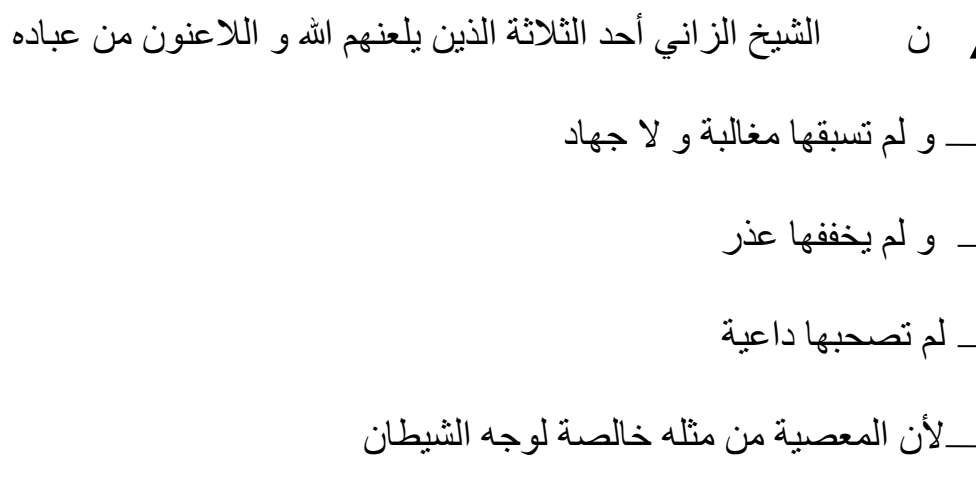
¹ عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص47.

² عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ص37.

³ عز الدين الناجح العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص48

⁴ الزركشي بدر الدين،البرهان في علوم القرآن .دار المعرفة بيروت . دت، ج 3 ، ص396-397.

من بين حروف النَّفي في اللغة العربية (لا ، لن ، لم ، ما) و من أمثلة ورودها في الخطاب التوجيهي لدى البشير الإبراهيمي قوله : " و عد الشيخ الزاني أحد الثلاثة الذين يلعنهم الله و اللاعنون من عباده لأن المعصية من مثله خالصة لوجه الشيطان لم تصحبها داعية و لم يخففها عذر ، و لم تسبقها مغالبة و لا جهاد " ¹ .



ج- عامل التوكيد :

يعد التوكيد من الأساليب البلاغية التي استخدمها البشير الإبراهيمي لتثبيت المعنى و إقراره في نفوس مستمعيه فـ " التأكيد تمكين الشيء في النفس و تقوية أمره ، و فائدته إزالة الشكوك و إمطة الشبهات عما أنت بصدده و هو دقيق المأخذ كثير الفوائد " ² .

تستعمل بنية التوكيد " غالبا لتصحيح أمر سبق ذكره و هي أيضا ذات نظام عكس تنازلي " يقول البشير الإبراهيمي : " وإنّها لكبيرة أن ينشأ الشاب على الخير و الاتصال بالله من الصغر " ³ .

¹ المصدر نفسه ، ج 4 ص 270

² ابن العلوي الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1982 ج 2 ص 176

³ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص 270.

إنّ العامل الحجاجي " إن...لـ "الداخل على الملفوظات أعلاه قد منحها توجيهها نحو نتيجة محددة وذلك لضمان تسليم المخاطب.

ويقول أيضا : "أيها الشّباب : ساء مثلا من أوهمكم أن بينكم وبين الموت فسحة وإمهالاً ، لقد علمتم أن الموت لا يخاف الصغير ولا يعاف الكبير ، وأسوأ منه نظرا من توهم أنكم لذلك أبعد عن الله من حيث المعاد ، فإنكم أقرب إلى الله من حيث المبدأ ، وأن أثر يد الله فيكم لأظهر ، وأن المسحة الإلهية على شبابكم لأوضح ، وأن أغصانكم الغضة المورقة لمطلوبة بأنداء السماء وقد وخزتها خضرته من كل جانب ،و أن نفحات الله لتشم من أعطافكم وشمائلكم ، فلئن كنا قريبا من لقاء الله بالموت فلأنتم أقرب إليه بالحياة ، ولئن صحبكم الاتصال به في جميع المراحل فيا بشراكم ، ولئن كنا نقبل عليه كارهين متسخطين على الموت ، فأنتم مقبلون من عنده فرحين بالحياة مستبشرين ، فصلوا حبلكم بحبله وحفظوا عهده ، وحذار أن تقطعكم عنه القواطع " ¹ يمكن تبين التدرج الحجاجي الذي نهجه الإبراهيمي في إثبات دعواه عن طريق السلم الحجاجي الآتي :

ن : الشباب أقرب من الله

- و إن نفحات الله لتشم من أعطافكم
- و إن أغصانكم المورقة المطلولة بأنداء السماء ...
- و إن المسحة الإلهية على شبابكم لأوضح
- و أن أثر يد الله فيكم لأظهر
- فإنكم أقرب إلى الله من حيث المبدأ

تدرج البشير الإبراهيمي في سوق الحجج الدّالة على قرب الشّباب من الله مستخدما أسلوب التّوكيد ب " إن...لـ " ليستقر ذلك في نفوس القائلين ببعد الشباب من الله دون ريب أو تردد

¹المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

و تكذيب فصورة الخبر المؤكد على هذا النحو تلقى إلى كل " حاكم فيها بخلافه ليرده إلى حكم نفسه ، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخلف الإنكار في اعتقاده كنحو صادق إني لمن ينكر صدقك إنكارا ، و إني لصادق لمن يبالغ في إنكار صدقكو يسمى هذا النوع من الخبر إنكارا " ¹ .

د- عامل القصر:

عامل إنمّا: تفرد إنمّا للقصر مطلقا فهي " في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت : إنمّا جاءني زيد : عقل منه أنّك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره " ²، تأتي "إنمّا" لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم ، واستعمال الاستثناء بـ "إنمّا" " لا تقوله لمن يجهل ذلك ، ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنّه يريد أن تنبيهه" ³، ويرى الدكتور عز الدين النّاجح أنّنا لو أخضعنا جملة إنمّا جاءني زيد لمقولة التّوجيه في الحجاج مع ديكرول للاحظنا كيف أنّ - إنمّا - بإدخالها على النّواة قد وجهت الملفوظ نحو نتيجة محددة ، فالجائي كما قال الجرجاني ليس إلا زيد وهي النتيجة التي يسعى المخاطب إلى إيصالها للمخاطب الذي يعتقد أنّ الذي جاء قد يكون محمدا أو عليا .

ومن أمثلة ذلك في خطاب الإبراهيمي قوله "إنّ أعداءنا الذين ملكوا رقابنا... إنّما استعلوا بأخلاقهم القوية... لا النقائص " ⁴ ، فقول البشير يوجه المتلقي الواهم أنّ أعداءنا قد ملكوا رقابنا بقوتهم إلى نتيجة واحدة لا ثانية لها من جهة البنية اللغوية التي ورد عليها الكلام وهي أنّ استعلاءهم بأخلاقهم القوية على أخلاقنا الضعيفة هو ما جعلهم يملكون رقابنا ، ويحتلون أوطاننا صارفا بذلك ذهن المتلقي عن أي خيار آخر.

عامل لا.....إلا: تخرج العوامل من قبيل لا...إلا الملفوظات من صفة البلاغية إلى صفة الحجاجية " فالخبر بالنفي و الإثبات نحو " ما هذا إلا كذا وإن هو إلا كذا " فيكون للأمر

¹- السكاكي مفتاح العلوم ، ص171

²- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص311.

³-المرجع نفسه، ص330.

⁴-محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 4 ص307.

ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت : ما هو إلا مصيب : أو ما هو إلا مخطئ : قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت : ما هو إلا زيد : لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيد وأنه إنسان آخر ويجد في الإنكار أن يكون زيدا "1، حيث صرح عبد القاهر الجرجاني على غرار أهل النحو أن هذا النوع من الصرافم يفيد معنى إنما

لقد ورد ذكر هذه العوامل بشكل مكثف في ثنايا الخطابات التوجيهية لدى البشير الإبراهيمي مما يدل دلالة قاطعة على الصيغة الحجاجية التي تشكل جوهر هذا النوع من الخطابات عنده

نذكر من بينها قوله : "تدبر القرآن و إتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل فعدم التدبر أفقدنا العلم وعدم الإلتباع أفقدنا العمل وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن وإتباعه "2. يحصر الإبراهيمي جميع خيارات المتلقي للانتعاش من الكبوة أو النهضة من جديد في خيار واحد هو الرجوع إلى فهم القرآن الكريم وإتباعه .

ويقول عن العلم : " إن العلم كبير أناس لا يصاحب إلا بضبط الأنفاس "، لقد عمل عاملي النفي و الإثبات ههنا على الحد من غموض الملفوظ ومن تعدد النتائج وذلك بتوجيه المتلقي نحو نتيجة بعينها ، هي أن ضبط الأنفاس " هو العامل أو الوسيلة الوحيدة في مصاحبة العلم ليلغي بذلك كافة الاحتمالات و الاستلزامات الأخرى من قبيل أن العلم قد يصحب بكثرة المال.

تظهر ههنا قيمة العامل إذ " أن له وظيفة تحويل / تبديل القدرة الحجاجية للملفوظ الأصلي "3 وهذه القيمة الحجاجية ماهي إلا توجيه محض "4، فيما نجد هذا النوع من الملفوظات قد وظف كعنوان لخطابات من قبيل " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها "5

1- الجرجاني دلائل الإعجاز ص308.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1 ، ص327.

3- عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية ص62

4- المرجع نفسه الصفحة نفسها .

5- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج4 ص93.

" لا يبني مستقبل الأمة إلا لأمة " و ذلك لحصر التأويلات و الخيارات المتعددة في متن العنوان حتى يهتدي المتلقي منذ البداية إلى النتيجة الحتمية التي تزداد توضيحاً و تأكيداً في متن الخطاب .

الآليات البلاغية في خطاب البشير الإبراهيمي : تتجسد استراتيجية الإقناع إلى جانب الأدوات اللغوية عبر آليات بلاغية نذكر من بينها ما يأتي :

1 - الاستعارة : تصنف الاستعارة ضمن أدوات السلم الحجاجي الأبلغ تأثيراً من الحقيقة ذلك أنّ «قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردات بالمعنى الحقيقي ، إنّ للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخيير الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارة هي سمات قيمة»¹ .

حيث تبرز الاستعارة طوعية العلاقات اللغوية التي تتصاع لأغراض المرسل وفقاً لمقتضيات السياق فلا تقف عند حدود تلك العلاقات المنطقية "الحقيقية" الرابطة بين الدال و المدلول و إنّما تتجاوزها إلى استعمال اللفظ لغير ما وضع له بغية : «تثبيت المعنى بالدليل فيتقرر في الأذهان و يستقرّ في الوجدان و ذلك لأنّ الاستعارة من المجاز اللغوي و المجاز كدعوى الشّيء بالبيّنة و البرهان كما لو قيل : رأيت غزالاً ، فالمراد امرأة رشيقة خفيفة فقد أثبت للمرأة الجمال بالدليل ، وذلك لأنّها جُعِلَتْ غزالاً وبما أنّ الغزال متوفر فيها الرّشاقة ، و الخفة فتكون المرأة مثلاً ، و هنا وجب الجمال للمرأة ، والغزال دليل على هذا الجمال وما يُثبّت بالدليل أقوى و أكد من غيره»² .

و منه تغدو الاستعارة ذات طبيعة إيضاحية تزيد الأمر تبياناً ، وتكشف الحقيقة سافرة

و إنّك لترى من خلالها : «الجماد حياً ناطقاً و الأعجم فصيحاً و الأجسام مبنية و المعاني الخفية بادية جليلة... إنّ شئت أرتك المعاني الطبيعية التي هي من حنايا العقل كأنّها جُسمت

1 - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص495

2 - عائشة حسين فريد ، البيان في ضوء الأساليب العربية ، ص187

حَتَّى رَأَتْهَا الْعَيُونُ ، وَإِنْ شِئْتَ لَطَفْتَ الْأَوْصَافَ الْجَسَمَانِيَّةَ حَتَّى تَعُودَ رُوحَانِيَّةً لَا تَنَالُهَا الظَّنُونُ»¹.

الأمر الذي يجعلُ دعوى المرسلِ أثبت، و أقوى وأدحض لأيّ اعتراض من المرسل إليه.
و قد انبنت النظرية الاستعارية في الحجاج لدى الدكتور طه عبد الرحمن على عدد من الافتراضات هي² :

- إنَّ القول الاستعاري قول حوارى و حواريته صفة دائمة ، إذ تتضح حوارية الاستعارة في تعدد ذوات المرسل عند اختياره للاستعارة في حجاجه دون غيرها ، انطلاقاً من النَّظر في المعنى الحقيقي في حال إظهاره وتأويله ، وفي المعنى المجازي فيحرص حال إظهاره و تبليغه وذلك بالتقلب بين هذه الأدوار بذوات أربع .

- إنَّ القول الاستعاري قول حجاجى ، و حجاجيته من الصنف التفاعلى نخصه باسم "التَّحَاج" لأن التسليم بها فيه نظر ، إذ يكتفها المرسل وفق إرادته و يختار من الألفاظ المرادة دون قيد فيكمن حسن حجاجيته في تدخل آليتي الادعاء و الاعتراض، و ذلك عن طريق الرضا بشروط كل منهما ، و بلورتها من قبل تلك الذوات الأربع ،

فالوظيفة الحجاجية للذات المظهرة هو ادعاء وجود المعنى الحقيقي للخطاب أي المطابقة بين المستعار منه و المستعار له .

بينما تكمن الوظيفة الحجاجية للذات المسؤولة في الاعتراض على ذلك بإنكار المطابقة، و تكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق إذ تمثل الاستعارة أبلغ و أقوى الآليات اللغوية رغم اكتناف السياق للكثير من العناصر ،بينما يظهر التوجه العملي للاستعارة

¹ - الجرجاني ، أسرار البلاغة ، راجعه أ عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية ، دت ، ص47

² - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 229- 235

في ارتكازها على المستعار منه إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المرسل إليه إلى الإقناع¹ .

يقول البشير الإبراهيمي : " و إن لغتكم العربية مصفدة بالسلاسل و الأغلال من القوانين و القرارات ، وإن مدارسها - على ضعفها وقلتها - معرضة للإغلاق . وإذا كانت اللغة سائرة إلى المحو و الاندثار بسبب هذه التضييقات فإنّ النتيجة الحتمية لذلك هي محو الدين واندثاره لأنها الوسيلة الوحيدة التي يتوقف عليها حفظه وبقاؤه"².

نلاحظ أنّ القول الاستعاري - الذي تحولت به اللغة من الجانب المعنوي إلى الحسي فأضحت شخصا كُبلت يده بأصفاد و سلاسل- ههنا مركب من نتيجتين تتمخضان عن حجج مترابطة ، بحيث تتحول النتيجة -أ- إلى حجة تتمخض عنها النتيجة- ب - يمكننا تفصيل ذلك على النحو التالي :

الحجة 1: إنّ لغتكم العربية مصفّدة بالسلاسل و الأغلال من القوانين و القرارات.

الحجة 2: وإنّ مدارسها على ضعفها وقلتها معرضة للإغلاق .

النتيجة أ : اللّغة سائرة إلى المحو و الاندثار بسبب هذه التضييقات .



الحجة 1 : لأن اللغة سائرة إلى المحو و الاندثار .

الحجة 2 :و لأن اللغة هي الوسيلة الوحيدة لحفظ الدّين و بقائه .

النتيجة ب : محو الدين و اندثاره .

¹ - طه عبد الحمّن اللسان و الميزان، ص 310

² - محمد البشير الابراهيمى ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمى ج 3، ص 188.

و يقول أيضا: " اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة و لا دخيلة ، بل هي في دارها ، وبين حمايتها و أنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي ، مشتدة الأواخي مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل " ¹.

النتيجة : اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة .

الحجة 1: هي في دارها وبين حمايتها وأنصارها .

الحجة 2: وهي ممتدة الجذور مع الماضي .

الحجة 3: مشتدة الأواخي مع الحاضر .

الحجة 4: طويلة الأفنان في المستقبل .

لقد قامت الاستعارات في الخطابات السابقة مقام الحجة التوضيحية التي تمنح الدعوى قوة نافذة لا يستطيع المخاطب دحضها أو الاعتراض عليها، فالإبراهيمي عندما يبدع الاستعارات فإنه يستخدم اللغة التصويرية ، ليظهر هيئات المعنويات التي لم تلاحظ قبل ذلك .

2- **حجاجة التمثيل** : تعرّض **عبد القاهر الجرجاني** في أسرارهِ للحديث عن التّمثيل كعقد لصلة بين صورتين . حيث تحدّث عن الفروق بين التشبيه، و التمثيل لينتهي إلى أنّ التشبيه أعم من التمثيل و التمثيل أخص من التشبيه، «فكل تمثيل عنده تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً» ²

ليتوصل إلى إثبات حجته و تقريرها في الأذهان ذلك أنّ «مما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، و نقلت عن

¹ - المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 206.

² - الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 165

صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ... فإن كان مدحا كان أبهى و أفخم ... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر¹

كما رأى " برلمان " أيضا أنه مهم في العملية الحجاجية يقول " : هو طريقة حجاجية تعلق قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك ، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما ، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة " ² وقد جعله طه عبد الرحمن من الأدوات الحجاجية فلا " أحد ينازع أن آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالا ومن أشدها تأثيرا في الخطابات الإنسانية " ³

، هاهنا تكمن قوة الحجاج بالتمثيل ، إذ يعتمد إليه المرسل لبيان الحال و ذلك في مثل قول

البشير الإبراهيمي " فأنا حين أخاطب إخواني الذين أتاح لي الحظ السعيد أن أقف أمامهم في هذه اللحظة ، لا يحلو لي إلا أن أخاطبهم بهذا الوصف الجليل ، وهو وصف الأخوة الذي منذ فقدناه لم نجد أنفسنا ، وكأننا حبات انقطع سلكها فانتثرت فأصبحت كل حبة منها في كف لاقط ، فمعدرة إلى إخواني الذين أعتز بأخوتهم أن خرجت عن النمط المألوف في رسوم الخطاب ، وخاطبتهم بيا أيها الإخوان " ⁴ .

إنّ خروج الإبراهيمي عن النمط المألوف في أصول الخطاب ليخاطب الوزراء و الأمراء و حملة الأقلام بلفظ " الإخوان " هذا اللفظ الجليل الذي منذ فقدناه فقدنا أنفسنا فلم نعد اليد الواحد إنّما تفرقنا شعوبا و قبائل لا واصل لها إلا الاسم دون المعنى يتلقفنا العدو من كل جانب تماما "كأننا حبات انقطع سلكها فانتثرت فأصبحت كل حبة منها في كف لاقط " تمثيل يزيد حجة الإبراهيمي في مخاطبة الحضور بالإخوان قوة ووضوحا .

و يقول أيضا "من الوفود؟ تواردت توارد القطا على منهل ، وتزاحمت تزاحم الحجيج على منسك ، تحدثك عنهم سيماهم أنهم قوم تنازعهم آمال دافعة ، وأشغال قاطعة ، فهجروا

¹ - المرجع نفسه ص 100

نقلا عن : عبد السلام عشير عندما نتواصل نغير ، ص²، PERLMAN : Traité De L' argumentation P50
² طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 174

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2 ص 465

الأشغال وانقادوا للآمال ، وتقرأ من حركاتهم واتجاهاتهم ، وتطلعهم ، وتحسبهم أنهم قدموا لغاية واحدة وأنهم كانوا فيها على ميعاد ، وتستعرضهم تصعيدا وتصويبا ، فلا ترى فيهم إلا المغوار وأبا المغوار فتقول إنهم جمعوا على تثويب متجاوب الأصداء وحشروا لميقات يوم معلوم ، وأن الذي جمع هذه الأشتات على إتحاد الوجهة وانتلاف المنزع كما تجمع طاقة الزهر على الحسن والشذى لا على التنام الألوان ، واتساق الأوراق و الأغصان ، لأمر خطير ونباً عظيم ¹

إن التمثيل الذي ساقه الإبراهيمي ههنا يبين حال الوفود مجتمعة متجهة إلى هدف واحد لا يفرقهم لون و لا عرق كما جمعت الزهور على الحسن و الشذى لا على التنام ألوانها و اتساق أوراقها و أغصان و في ذلك دليل و حجة على أنّ ما يجمع هؤلاء هو أمر جلل ، إنّه أمر الوطن الأم الوطن الجامع الذي محى معالم الفرقة بينهم ، ليبلغ المرسل من خلال هذا التمثيل ألباب مستمعيه فالحجة هاهنا أقوى وأظهر حيث لم تدع منفذا للاعتراض .

حجاجة المحسنات البديعية في خطاب البشير الإبراهيمي :

كست المحسنات البديعية خطابات التوجيه لدى الإبراهيمي قوة وثباتا وجمالا ذلك أن " ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حاجي من خلال ما يتولد عنه من إعجاب ومرح وانبساط وحماس لدى جمهور السامعين ، على أن هذه الظواهر الشكلية ليست ذات وظيفة مباشرة في الخطاب " ²، فالبديع وحدة من وحدات النص القابلة للاستعمال في مقامات وسياقات مختلفة، ذلك أنّ للأشكال الصوتية والموسيقية دورا في الإقناع باعتبارها نشاطا يجري ويحث ويكون قادرا على إنتاج دلالات وتأويلات ، فهي عناصر أساسية في بناء حجاجة الخطاب القادر على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس، فهي أحد فروع البلاغة الهادفة إلى الاستمالة والإقناع، وتتمثل هذه الفنون في، التكرار ، الطباق ، السجع...منها :

¹ المصدر نفسه ج1.ص243.

² عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص34.

أ-حجاجة السجع :

قال البشير الإبراهيمي : "كذبتُم المَخيلة أيها الأقوياء !... إنّ العرب إذا سيموا الحيف حكموا السّيف ، وإنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر ، وإن الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقبة ، أخذ الأرض لفرس سراقه ، و إن التاريخ سيعصب بكم عارها وشنارها ، وسيأنتها و أوزارها"¹ .

النتيجة : كذبتُم المَخيلة أيها الأقوياء حين استضعفتُم العرب .

حجة 1: إنّ العرب إذا سيموا الحيف حكموا السيف.

حجة 2: و إنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر ، في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر.

حجة 3: و إن الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقبة ، أخذ الأرض لفرس سراقه.

حجة 4: إن التاريخ سيعصب بكم عارها وشنارها ، وسيأنتها و أوزارها .

و يقول أيضا : "

ب-حجاجة الطباق :

قال البشير الإبراهيمي : "و أنتم – في وضعكم العلمي – أبناء مدارس ، وجودها في زمان ، وروحها في زمان ، فهي من يقظتها في حلم ، وهي مع جدة الزمان في قدم ، وهي لا تعطي من الحياة إلا صورها الميتة"² .

النتيجة : أنتم - في وضعكم العلمي - أبناء مدارس غريبة عن روح العصر .

الحجة 1: وجودها في زمان ، وروحها في زمان .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص 444.

² المصدر نفسه ، ج 3 ص 267.

حجة 2: من يقظتها في حلم .

حجة 3: وهي من جدة الزمان في قدم .

حجة 4: وهي لا تعطي من الحياة إلا صورها الميتة .

ويقول أيضا : " و وقفنا نحن معاشر الآباء من ورائهم ، نتمنى لهم و نتجنى عليهم ، و نقترف في حقهم و لا نعترف بظلمنا إياهم ، و نرخي في تربيتهم أو نشدد ، و لا نقارب و نسدد ، و نعطيهم من أفعالنا ما نمنعهم منه بأقوالنا ... "

النتيجة : وقنا نحن معاشر الآباء في غير إنصاف كما وقفت الدنيا بشبابنا

الحجة 1 : نتمنى لهم و نتجنى عليهم .

الحجة 2 : و نقترف في حقهم و لا نعترف بظلمنا إياهم .

الحجة 3 : و نرخي في تربيتهم أو نشدد و لا نقارب أو نسدد .

الحجة 4 : و نعطيهم بأفعالنا ما نمنعهم منه بأقوالنا .

تتطوي كل حجة على أمر ونقيضه ، فاليقظة ضدها الحلم و الجدة ضدها القدم والحياة ضدها الموت ، و كذلك هو الأمر بالنسبة للقول الثاني فتمني ضده التجني و الإرخاء ضده الشدة ، و العطاء ضده المنع و الأفعال ضدها الأقوال ، بحيث تعمل هذه الحجج المبنية على فكرة التّضاد على تعزيز النتيجة و تقريرها في ذهن السامع .

ج-حجاجية الإيجاز: يركز البشير الإبراهيمي أفكاره في ملفوظات محكمة تأخذ طريقها إلى القلب لتستقر فيه بأحدى الطريقتين : "عن طريق الأذن أحيانا باستخدام عناصر من موسيقى البناء يبقى لها رنينها في الأعماق ، أو عن طريق القلب أحيانا أخرى باستخدام ما يلهب

العاطفة أو يثيرها ويجعلها في حالة انفعال مثير "1، فكثيرا ما تزخر خطابه التوجيهية بعبارة مركزة تعيد تقرير المضمون حتى يستقر في ذهن المتكلم و يتقرر في فعله .

من بين تلك المواضع نذكر قوله: "إنّ مما يرهب عدوك ويحمله على احترامك ، أن تكون عاقلا حازما ، و أن تكون فعالا لا قوالا "2.

النتيجة :إنّ مما يرهب عدوك ، و يحمله على احترامك .

الحجة 1: أن تكون عاقلا حازما .

الحجة 2: أن تكون فعالا لا قوالا .

ساق الإبراهيمي الحجج مركزة في شكل ثنائيات متعاضدة مختزلة حتى تثبت وتقرر في ذهن المرسل إليه .

د-حاجية الإطناب :

يرى الدكتور عبد الله صولة أنّ من طرق العرض الحجاجية الإطناب "فالأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال ويحرك عواطفهم "3 ، فكثيرا ما يمضي البشير الإبراهيمي في عرض موضوعه فيهدر كالسيل وينثر جزئياته بدقة فجاء كأنه بناء مرصوص لا يكاد ينفرج عن فراغ إلا إذا كان ذلك الفراغ لهدف التشويق و الإثارة .

من بين مواضع الإطناب ذات البعد الحجاجي الرامي إلى الإقناع ،قوله متحدثا عن الشيطان وعمله : "ويجتمع في مجموع صفاته أنه درب مفتن متمرس بسلاسل آدم ، خالي الذرع من الهم إلا بهم ، ومن يوم قال : "فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين " ، فهو يتفتن في تزيين الفواش لهم ، ويعرضها عليهم مزرکشة ذات تهويل ، ويضع الأسماء على غير مسمياتها ، ليغر بالزركشة ويغري بالاسم ، فيضع للأغرار من أتباعه اسم الدين على ما

1-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه ص205.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ص458.

3-عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص35.

ينقض الدين ويهدمه ، واسم الخير على ما يحو الخير ويعدمه ، ويوحى إلى أوليائه بالفواشش مغيرة العناوين¹ .

النتيجة: "ويجتمع في مجموع صفاته " الشيطان أنه درب مفتن متمرس سلائل آدمفهو "

الحجة 1: يتفنن في تزيين الفواشش لهم .

الحجة2: ويعرضها عليهم مزرکشة ذات تهويل .

الحجة3: ويضع الأسماء على غير مسمياتها.

الحجة4: فيضع للأعداء من أتباعه اسم الدين على ما ينص الدين ويهدمه .

الحجة 5: ويوحى مغيرة العناوين.

يطنب الإبراهيمي في عرض حججه حول فتك الشيطان و غوايته حتى يستوفي الموضوع جميع أركانه " ويزيد عليه توكيدا للطرح و الفكرة ، وإجابة عن كل ما يمكن أن يتساءل المتلقي حوله وتبيدا لشكوكه وانتقاداته ويكون الإطناب عادة بتكثيف الأمثلة² .

هـحجاجة تقسيم الكل إلى أجزاء :يُعتبر التّقسيم من الأساليب العريقة في التّراث اللّغوي العربي ،فقد ذكر ابن قيم الجوزية و الزّركشي أنّ المقصود من التّقسيم إنّما هو:«استيفاء المتكلم أقسام الشّيء بحيث لا يغادر شيئا و هو آلة الحصر و مظنة الإحاطة بالشّيء»³ . أو ما يسمى كذلك التفرّيع ، وهو قائم على " تقسيم كل إلى أجزائه المكونة له و بيان أن حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزائه ينطبق تبعا لذلك على الكل " ⁴ ، بمعنى أن المرسل يقوم بطرح قضية أو عرض أطروحة ، ثم يتوسع فيها بعرض مجموعة من الحجج ، وكل حجة من هذه الحجج تخدم هذه القضية أو الأطروحة. نجد الإبراهيمي في مدونته التوجيهية كثيرا ما يعرض فكرة أو أطروحة، ثم يجزئها إلى أجزاء ، حتى يقتنع المرسل إليه ، لأن كل جزء

¹ - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص319.

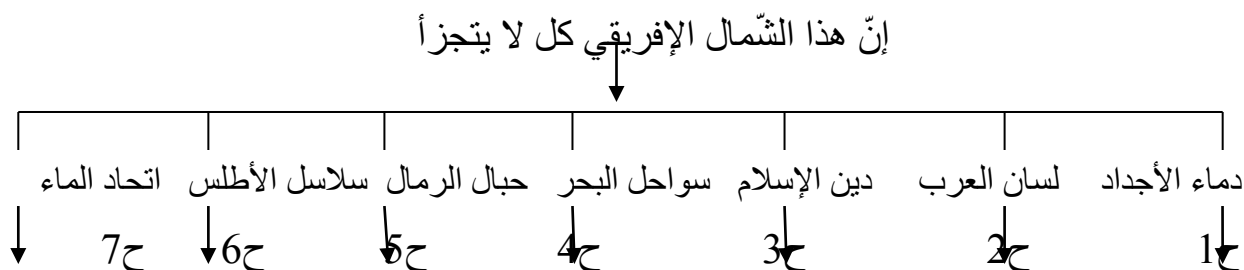
² - هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي ص118.

³ - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، ص233.

⁴ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي ، بنيته و أساليبه ، عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط2 / 2011 ص 207

هو بمثابة حجة، وذلك في مثل قوله : "إنّ هذا الشّمال الإفريقي كل لا يتجزأ ، تربط بين أجزائه دماء الأجداد ، و لسان العرب ، ودين الإسلام ، و سواحل البحر في الشمال ، و حبال الرمال في الصحاري ، و سلاسل الأطلس الأشم في الوسط ، و اتحاد الماء و الهواء و الغذاء"¹ .

إن قضية " وحدة الشّمال الإفريقي " التي طرحها الإبراهيمي مجزأة إلى عدة أجزاء ، كل جزء من هذه الأجزاء يدعم هذه القضية ، بمعنى آخر يمكن أن نعتبر القضية المطروحة بمثابة النتيجة ، وكل جزء هو بمثابة حجة تخدم هذه النتيجة و يمكن التمثيل لذلك بالمخطط التوضيحي الآتي :

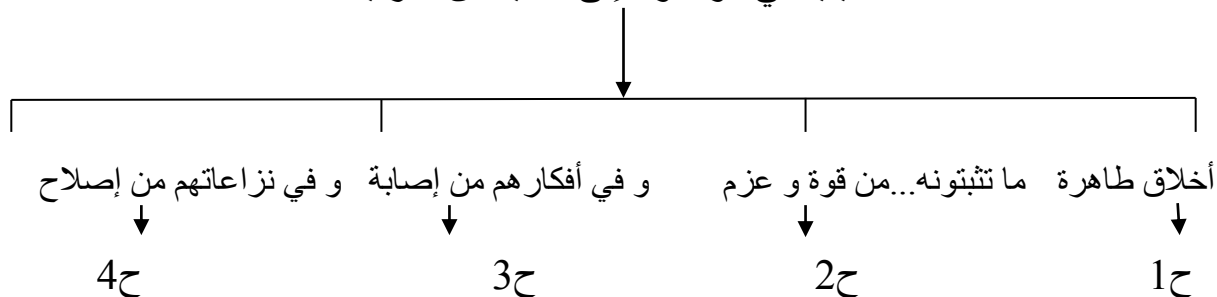


ويقول أيضا : "أمّا العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية فهي ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلامذتكم الناشئين من أخلاق طاهرة قويمة يحتذونكم فيها و يقتبسونها منكم ، و ما تبثونه في أرواحهم من قوة و عزم ، و في أفكارهم من إصابة و تسديد ، و في نزاعاتهم من إصلاح و تقويم "² .

¹ محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2 ص 467

² المصدر نفسه ، ج 2 ص 108

العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية



لقد قسّم القائل العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية إلى أربعة أقسام ثم أوضح كل منها موردا أحكامها من حيث وجوب الترك ، أو الالتزام ليكون بذلك خطابه أقوى حجة وأثبت في العقول .

الآليات شبه المنطقية :

تتوطد العلاقة المجازية بين الحجة ، و الدعوة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما متجسدة – بطبيعة الحال- عبر أدوات لغوية ، وتتمثل حقيقة فعل الحجاج في تدافع الحجج و ترتيبها حسب قوتها فلا يثبت منها إلا الحجج القوية ، فترتيب الحجج بحسب قوتها هو ما يسمى بالسلم الحجاجي .

1- السلم الحجاجي : و حدّ السلم الحجاجي أنه : «نظام و تراتبية الحجج "حجج قوية ، وحجج ضعيفة" أو "حجج عليا و حجج سفلى " بالنسبة لنتيجة معينة طبيعياو عندما تتضمن فئة من الحجج " G A " علاقة بين مراتب الحجج ، إذاك تسمى هذه العلاقة " سلما حجاجيا " ¹»، فيما عرّفه د. طه عبد الرحمان بقوله إنه « عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين :

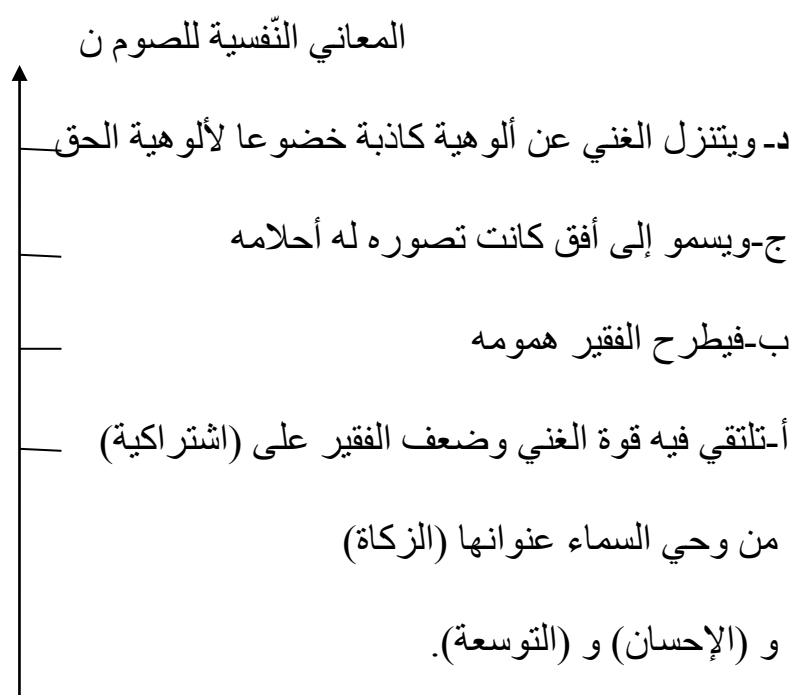
أ : كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

¹ - حبيب أعراب ، الحجاج و الإستدلال الحجاجي ، مج/30 ص 105 .

ب : كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»¹

السلم الحجاجي إذن يقوم على ترتيب الحجج عموديا، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، في فئة حجاجية واحدة، وإن كل قول كان في السلم الحجاجي دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه.

يقول البشير الإبراهيمي عن العيد في معناه الإنساني : " والعيد في معناه الإنساني يوم تلتقي فيه قوة الغني وضعف الفقير على (اشتراكية) من وحي السماء عنوانها (الزكاة) و (الإحسان) و (التوسعة). فيطرح الفقير همومه ، ويسمو إلى أفق كانت تصوره له أحلامه ، ويتنزل الغني عن ألوهية كاذبة خضوعا للألوهية الحق " ²، يمكن التمثيل لتراتبية الحجج بالسلم الحجاجي الآتي :



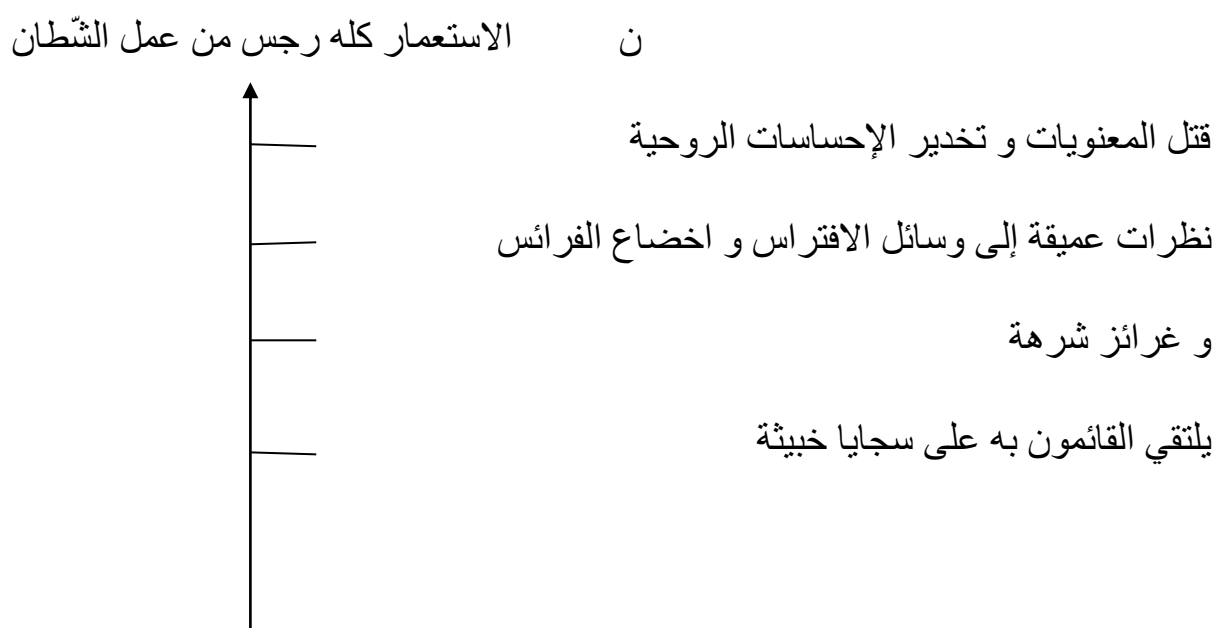
¹ - طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 277 .

² -محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3.ص478.

ف أ ، ب ، ج ، د ، ح ج و أدلة تخدم النتيجة " ن " ، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه " فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة ¹ " .

و يقول في خطابه فصل الدين عن الدولة متحدثا عن الاستعمار : " الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان ، يلتقي القائمون به على سجايا خبيثة ، و غرائز شرهة ، و نظرات عميقة إلى وسائل الافتراس ، و إخضاع الفرائس ، و أهم تلك الوسائل قتل المعنويات و تخدير الإحساسات الروحية ... " ² .

يتدرج البشير الابراهيمى في عرض حججه حول رجس الاستعمار تدرجا ينقل القارئ من درجة أدنى إلى درجة أعلى ، يمكن تمثيل ذلك عن طريق السلم الحجاجي الآتي :



يجمع الخطاب أعلاه أشكال الاستعمار في صور الشيطان الذي يلبس على الناس نهج الصواب بما يتحلى به من صفات خبيثة ، و غرائز شرهة و تفنن في اختيار وسائل الافتراس و إخضاع الغرائز فيؤدي إلى قتل المعنويات و تخدير الإحساسات الروحية .

¹ - حافظ اسماعيل علوي الحجاج مفهومه و مجالاته دار روافد الثقافية ط1 2013 ج 1 ص 58

² - محمد البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 3 ، ص 105.

تكشف ظاهرة السلمية عن الكثير من الوقائع الحجاجية التي يتميز بها الخطاب التوجيهي لدى البشير الإبراهيمي ، لتعكس التوجه لإقناعي المتشعب بصور البلاغة الهادف إلى كسب تأييد المتلقي و إقناعه بإشباع مشاعره ، و فكره ليتقبل القضية المطروحة .

خاتمة

أفضى بي البحث في استراتيجيات الخطاب بين القصد و السلطة مقاربة أسلوبية تداولية للخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي إلى جملة النتائج الآتية :

- يخضع تحقيق اللغة في التواصل لتخطيط دائم تتنقي معه الاعتباطية فلا يمكن أن نتصور قيام فعل خطابي دون أن تحكمه قصدية معينة وضوابط سياقية محددة وهذا دليل على الأهمية البالغة لـ "استراتيجيات الخطاب".

- يتّسع مفهوم السلطة إذا ما شمل المرسل إليه ، و ذلك عندما يفرض سلطته على المرسل لحظة بناء خطابه خاصة إذا ما كان يفوقه درجة في سلم العلاقات الاجتماعية أو المهنية، و قد تنشأ سلطة المرسل إليه على المرسل دون وجود أي علاقة ترابية بينهما ، و ذلك عندما يعمد المرسل إلى اختيار استراتيجيات خطابية تمكنه من تبليغ قصده، و تضمن وضوحه لديه، مما يدل على استحضاره إياه.

- تعكس استراتيجيات الخطاب الكفاءة التداولية للمرسل ، و قدرته على خلق الخطاب و إعطائه شكلا لغويا ينساق ومعطيات السياق مما يؤهله لتبليغ مقاصده و تحقيق غاياته
- ترجيح انتماء الاستراتيجيات الخطابية إلى ما يسمّى " بالكلّيات الإنسانية " حيث يتحد الناس في استعمال كثير منها مع وجود فوارق تفرضها طبيعة اللغات و اختلاف الثقافات .

- تعتبر الاستراتيجيات الخطابية ذات أهمية بالغة نظرا لدورها الفعّال في المجتمع خاصة إذا ما استعملت كبديل لتلك الأساليب القهرية التي كثيرا ما تحول دون تحقيق الأهداف ، و يبدو ذلك جليا عند استعمال إستراتيجية الإقناع التي كثيرا ما تنجح في تغيير وجهات النظر .

- تعتبر إستراتيجية التصريح بمثابة القاعدة الأساسية التي ينطلق منها المرسل لبناء خطابه حيث تكون صورتها المباشرة أكثر نفاذا في الخطابات التوجيهية و التي تفرض التقيد بحرفية الخطاب .

- تعتبر إستراتيجية التلميح الصورة غير المباشرة لإخراج المقاصد في قالب يستند إلى العدة البلاغية ، كثيرا ما ينزع إلى المحافظة على الصلة مع الآخر و تحقيق المنافع بشكل يُرضي الطرفين .

- عدا ما اعتبرنا أن الإستراتيجية ذات صلة وثيقة بالقائد و الموجه و العنصر الفاعل في الجماعة اللغوية فإن الحديث عن البشير الإبراهيمي يعني الحديث عن عمق قوة التأثير و الجذب عند هذه الشخصية وذلك واضح في قدرته على بناء خطاب توجيهي جامع مانع يتسامى عن حدود الزمن بعالمية أفكاره وسحر بيانه و بلاغته .
- يعتمد البشير الإبراهيمي أسلوبا أدبيا يمتزج فيه توقد العقل وقوة الإقناع والتأثير في العواطف ، مما يبعث على الحماسة و شحذ الهمم ، ليعطي بذلك الأفكار حياة أقوى من حياتها العقلية .
- برع البشير الإبراهيمي في توظيف الاستراتيجية التلميحية ، و التضامنية و الحجاجية لخدمة غرضه التوجيهي بحكم المقومات السياقية التي يمتلكها (السلطة ، المقاصد ، علاقة المتخاطبين ، موضوع الخطاب) مما مكنه من الإمساك بناصرية الخطاب وتوجيهه ، بإصدار أفعال كلامية ذات قوة انجازية تؤثر به في ملتقيه .
- كان للأسلوب البلاغي أثر كبير في بلورة الخطاب التوجيهي عند الإبراهيمي حيث تجلت الصور حاملة في طياتها أغراضا توجيهية ، وحجاجية و تضامنية .
- تجلّى مقصد التوجيه بالإقناع لدى البشير الإبراهيمي بأسلوب جميل بعيد عن الغموض و التعقيد، خال من مظاهر التكلف ، و الصنعة اللفظية المستهجنة ، جمع فيه بين جمال التعبير و قوة الإثارة و الإقناع المبني على وضوح الحجة .
- تتواشج خطابات الإبراهيمي في تناغم شديد مع نصوص تراثية شعرية و نثرية ، لتخلق خطابا إبداعيا تتجلّى من خلاله الصياغة اللسانية التي لا يشوبها تكلف ولا يعترها فتور ليخرج بذلك من نمطية القول إلى دينامية الفعل الهادف إلى تغيير العالم بالغة .
- إنّ فعل التوجيه عند الإبراهيمي قائم على التضامن و التلميح و الإقناع بينما نجد التصريح بفعل التوجيه لا يمثل إلا نسبة قليلة مقارنة مع غيره من الاستراتيجيات ، و ذلك راجع إلى أنّ التوجيه بالتضامن و التلميح و الإقناع أبلغ أثرا في نفس المتلقي التي تميل إلى رقة الحديث حتى تسترشد إلى سبل الصلاح .

- عمد البشير الإبراهيمي إلى نسج خطاباته وفق نظام صوتي سماته التواؤم والغاية منه الإثارة الجمالية التي يعضدها الفكر بغية بناء نهج حاجي الهدف منه إقناع المتلقي ، ذلك أنّ للجانب الصوتي أثره الخاص لما يبعثه من ارتياح في النفس .
- إنّ السّجّع إذ يرد في خطابات التّوجيه لدى البشير الإبراهيمي ، فإنّه يحقق فيه – بفضل توافق فواصله و اتساقها الصوتي – تماثلاً صوتياً و إيقاعياً رناناً يجعل النفس تنجذب و تميل إليه كل الميل ، ليس فقط بالإصغاء و السماع ، و لكن بحفظه و تمثله .
- تتأكد فاعلية الخطاب التوجيهي لدى البشير الإبراهيمي في القدر الذي حظي به من التأثير في نفوس الناس و في القدر الذي عمل فيه على تشخيص مشكلات العصر بدقة متناهية و وصف الحلول بمنطق علمي عملي سليم .
- يظهر الطابع العقلاني للخطاب التوجيهي عند لبشير الإبراهيمي في سيطرة الأنا الجماعية حيث تغيب الأنا الفردية ، لأنّه خطاب يهدف إلى تحقيق مصلحة المجتمع الجزائري خاصة ، و العربي الاسلامي عامة .
- ترجع القوة الإقناعية في خطاب البشير الإبراهيمي إلى توظيفه بعض السمات الأسلوبية ذات المعاني الضمنية مثل الأفعال اللغوية غير المباشرة ، و الصور البلاغية ، فهذه المعاني تفيد ما لا تفيد ألفاظ الحقيقة ، و ذلك بفضل ما تضيفه على الخطاب من سيمات حاجية وإقناعية إضافة إلى خصائصها الفنية و الجمالية .
- إنّ إحاطة البشير الإبراهيمي بالقوة الإقناعية لبعض الأساليب كالاستفهام و التوكيد بأشكاله المختلفة ، و كذا معرفته بالقوة الإقناعية لبعض الألفاظ التي تكتنف اقتضاءات معجمية ككلمات ، الحق ، الوطن ، الأمة ، القرآن ، العلم، و غيرها من الكلمات التي تواتر تكرارها أكثر من غيرها في خطاباته التوجيهية لما لها من قوة في تحقيق التأثير و دفع المتلقي إلى ردة فعل معينة .
- يتسم الخطاب التوجيهي عند البشير الإبراهيمي بوضوح الفكرة أو الحجة التي ينبني عليها ، مع استشهاد بشواهد حاضرة ، تعين على تقديم الفكرة بشكل سلس مهما كانت معقّدة .

- يخاطب البشير الإبراهيم العقل بالمنطق من أجل الإثارة و الإقناع من خلال الكتابة الحجاجية المبنية على استحضار الحجج ، و مقارنة الحجة بالحجة و استحضار الأدلة و الشواهد من الواقع ، و القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف .

و أخيرا ، فإنّ هذا البحث لا يدّعي أنّه وصل إلى غايته ، و لكنّه يزعم أنّه أَمَاط اللّثام و لفت الانتباه إلى قضية لغويّة هامّة ، فلعلّ ذوي العلم والخبرة أن يعيروها ما تستحقّ من بحث و اهتمام ، فإنّ أصابت صاحبتّه في ذلك فمن الله تعالى و له الحمد ، و إن أخطأت فمن نفسها و الشّيطان ، و فوق كل ذي علم عليم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا المصادر:

- 1- . الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، آثر الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي تونس ط1 1997 ، الجزء الأول "
- 2- _____ الجزء الثاني "1952-1940".
- 3- _____ الجزء الثالث "عيون البصائر"
- 4- _____ الجزء الرابع "1954-1952"
- 5- _____ الجزء الخامس " 1964 - 1954 "

ثانيا المراجع :

- 6- ابن الأثير ، المثل السائر قدمه و علق عليه أحمد الحوفي بدوي طبانة دار النهضة مصر للطباعة و النشر الفجالة القاهرة مصر، دط، دت ج 1 .
- 7- ابن جني ، الخصائص تحقيق محمد علي النّجار دار الكتاب العربي، بيروت، د ت ، ج1
- 8- ابن الحاجب ، الكافية في النحو ، دار الكتب العالمية تحقيق ، هادي حمودي ، علم الكتب ، 1985 ج2 .
- 9- ابن خلدون ، المقدمة دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 2008 .
- 10- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1982 .
- 11- ابن علوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1982 ج2.
- 12- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره أحمد صقر ، المكنية العلمية ، دت

- 13- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، د ت/ ج2.
- 14- أبو بكر العزاوي ، الحجاج و الشعر ، نحو تحليل حجاجي لنص شعري ، مجلة دراسات سيميائية ، أدبية ، لسانية .
- 15- أبو هلال العسكري، الصنائع، تح مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط . 1984 .
- 16- أحمد الزعبي ، التناص نظرياً وتطبيقاً ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط2/2000.
- 17- أحمد الشايب الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر ط8 1991 .
- 18- أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية و النمطية دار الأمان الرباط، ط/ 1 ، 2003
- 19- أحمد مختار عمر، علم الدلالة عالم الكتب القاهرة، 1993 .
- 20- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغ المعاني و البيان و البديع دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط3 1993،
- 21- أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع المكتبة العصرية بيروت لبنان ط1 1999 .
- 22- أحمد الودرني نظرية المعنى بين التوصيف و التعديل و النقد ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، د ط 2007 .
- 23- إدريس مقبول، الأسس الابدستملوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، علم الكتب الحديث عمان ط1 2006.
- 24- إنعام نوال عكاوي المعجم المفضل في علوم البلاغة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2 1996 .
- 25- بدر الدين الزركشي البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة، بيروت لبنان ط2، ج2 .

- 26- بشرى موسى صالح نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط: 01. ، 2001 .
- 27- بشير القمري ، شعرية النص الروائي ،قراءة تناسية في كتاب التجليات ، شركة البيادر للنشر و التوزيع أكدال الرباط ، ط1/ 1991 .
- 28- بنعيسى عسو أزييط الخطاب اللساني العربي عالم الكتب الحديث ط2012/1 ج2
- 29- بوقرة النعمان ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،جامعة باجي مختار ،عنابة 2006 .
- 30- تمام حسن مقالات في اللغة و الأدب ، عالم الكتب القاهرة مصر ط1 ، 2006- ج 1
- 31- تمام حسان ، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب عالم الكتب القاهرة 2000
- 32- توفيق الفيل ، القيم المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز ، مطبوعات جامع الكويت ، دت دط .
- 33- الجاحظ، البيان و التبیین، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت لبنان، ط 1998، ج 1 .
- 34- جلال الدين السيوطي ، الإشباه و النظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة 1406، 1985، ج3.
- 35- جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني 1982 .
- 36- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ترجمة محمد حياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1992.
- 37- حافظ إسماعيل علوي الحجاج مفهومه و مجالاته دار روافد الثقافية ط1 2013 ج 1 .
- 38- حامد عبد الهوال ، السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية للكتاب 1993 .
- 39- حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، عالم الفكر ، الكويت ، 2001 ، مج/30.
- 40- الجرجاني ، دلائل الاعجاز، تح رشيد رضا و تقديم علي أبو زقية ، دار موفم للنشر و التوزيع .

41- حسن زينة ، العقل عند المعتزلة (تصور العقل عند القاضي عبد الجبار) دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، ط1 1987 .

42- حسن ناظم البنى الأسلوبية البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر للسياب المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط1 2002 أو بنية اللغة الشعرية

43- حكيم بناني ؛ الظهراتية وفلسفة اللغة تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب أفريقيا الشرق بيروت لبنان 2003 .

44- حمادي صمود الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة الدار التونسية للنشر و التوزيع تونس ط1988

45- _____ ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه، و تطوره إلى القرن السادس منشورات الآداب منوبة .

46- خليفة الميساوي ، القصصية في الخطاب السجالي ، ضمن كتاب التداوليات و تحليل الخطاب بحوث محكمة إشراف و تقديم حافظ إسماعيل علوي و منتصر أمين عبد الرحيم دار كنوز المعرفة 2013 .

47- راجي الأسمر ، الموسوعة الثقافية العامة – علم النحو – دار الحيل بيروت –لبنان.

48- الرازي ،المحصول في علم الأصول علق عليه ووضع حواشيه محمد. عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420- 1999، ج1.

49- راضية خفيف بكري ، التداولية و تحليل الخطاب الأدبي ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق اتحاد الكتاب العرب ، العدد 399 ، تموز

50- الزواوي بغورة ، بين اللّغة و الخطاب و المجتمع مجلة إنسانيات 17-18 ماي – ديسمبر 2002 .

51- _____ ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المجلس الأعلى للثقافة ،

2000

52- الزمخشري أبو القاسم بن عمرو بن أحمد ، المفصل في صناعة الإعراب ، تح علي بوم لحم ، مكتبة الهلال ، بيروت .

53- زيدان محمود فهمي ، في فلسفة اللغة دار النهضة العربية لبنان ط 1985

54- ساجدة عبد الكريم ، اثر الصوت في توجيه الدلالة دراسة أسلوبية صوتية محله

جامعة تكريت للعلوم الإنسانية مج 17 عدد3 آذار 2010

55- سامح، الرواشدة،فضاءات الشعرية " دراسة في ديوان أمل دنقل "، المركز القومي

اربد . د.ط. ، 1999 م .

56- السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق خليل إبراهيم خليل دار

الكتب العالمية بيروت لبنان ط/1 ، 2001 ، ج/1 .

57- سعد أبو الرضا ، في البنية و الدلالة منشأة المعارف الإسكندرية 1987 .

58- سعد فاروق ، مع بخلاء الجاحظ ، دار الآفاق الجديدة بيروت ط3 1980 .

59- السكاكي، مفتاح العلوم ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه، نعيم زرزور دار الكتب

العالمية بيروت لبنان، ط2، 1408 هـ، 1987 .

60- سليمان فتح الله الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية مكتبة الآداب القاهرة مصر

ط 2004

61- سلوى شرفي، تحليل الخطاب مركز النشر الجامعي منوبة تونس 2010 .

62- سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط/3، مكتبة الخناجي القاهرة 1988

ج/2،

63- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الجيل بيروت، لبنان، ط/1998

64- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، بعناية خالد العطار ، دار الفكر ط/2008 .

65- _____ ، الأشباه و النظائر ، تحقيق عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة ط/1 ،

1985

66- الشاطبي،الموافقات في أصول الشريعة تحقيق عبد الله دراز: دار المعرفة، بيروت

1994 ، ج/2 .

- 67- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه دار الأمة برج الكيفان الجزائر ط/2
، 2012 .
- 68- صابر الحباشة ، الأسلوبية و التداولية مداخل لتحليل الخطاب عالم الكتب الحديث
إربد الأردن ط 2011 .
- 69- _____ مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شرح التلخيص
للخطيب للقزويني دار صفحات للدراسات و النشر دمشق سورية ط 1 2011.
- 70- صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل دار قباء الحديثة القاهرة
ط 2007 .
- 71- صلاح فضل بلاغة الخطاب و علم النص المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب
ط 1992.
- 72- طه عبد الرحمن ، البحث اللساني و السميائي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة
محمد الخامس، ط 1 .
- 73- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي،
ط 2 2000 .
- 74- _____ ، اللسان و الميزان المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء، ط/1
1998
- 75- عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة ط/2000 .
- 76- عادل فاخوري الاقتضاء في التداول اللساني ، ، مجلة عالم الفكر ، أكتوبر ، نوفمبر ،
ديسمبر ، ع3 ، 1989م : 141. نقلا عن
- 77- عبد الحسين العمري محنة المثقف دراسة نصوص عبد الله بن المقفع أسلوبيا دار
تموز - دمشق ط 1- 2012م
- 78- عبد الرحمان حبنكة الميداني ، البلاغة العربية أسسها و علومها وفنونها ، دار القلم
للطباعة و النشر دمشق سوريا ط 1 1414 هـ ج 2 .

- 79- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة زاد للنشر و التوزيع ط1 2012 .
- 80- عبد السلام المسدي ، السياسة و سلطة اللغة ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، ط1/ 2007 .
- 81- _____ ، الأسلوبية و الاسلوب الدار العربية للكتاب ط 3/ دت .
- 82- عبد الله إبراهيم، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2- 1996 .
- 83- عبد الله الخليفة نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث و المباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، 2007م : 159، نقلا عن
- 84- عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ط2/ 2007 .
- 85- عبد المطلب البلاغة الأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون ، المكتبة المصرية اللبنانية للنشر ط1 1994
- 86- عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط/2004،،1 .
- 87- عدنان بن ذريل ، اللغة و الأسلوب دراسة ط2 2006 .
- 88- عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية مكتبة علاء الدين للنشر و التوزيع ، صفاقص ، تونس 2011.
- 89- عز الدين علي السيد ،التكرير بين المثير و التأثير ،عالم الكتب بيروت لبنان ط2 1986 .
- 90- علي عزت ، الإتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب شركة أبو الهلال للنشر ،القاهرة مصر 1996 .
- 91- عمارية حاكم، الخطاب الاقتاعي في ضوء التواصل اللغوي دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقافي دار العصماء ط1 2014

- 92- عمر أحمد بوقرورة ، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي قراءة في ظل البنية و المتغير دار الهدى عين مليلة الجزائر ط دت .
- 93- عياد محمود الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981 تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي البلاغي .
- 94- العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوار في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، الطبعة الأولى 2011م.
- 95- الغدامي، عبدالله الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي جده، ط 1 1985 م القرشي ، جمهرة أشعار العرب ،دار بيروت للطباعة و النشر ،بيروت، ط 1، 1984
- 96- القزويني، الإيضاح و علوم البلاغة، شرح و تعليق عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل بيروت ، ط 3/ ، 1993 .
- 97- كتابا السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925-1962). ط 1. نشر جمعية التراث . القرارة. الجزائر. 1425هـ/2004م.
- 98- لطفي عبد البديع التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة و الاستيعاقا دار المريخ للنشر الرياض المملكة العربية السعودية ط 1989 .
- 99- ماهر مهدي هلال الأسلوبية بين النظرية و التطبيق آفاق عربية كانون الأول 1992 ص 70 نقلا عن عبد الحسين العمري محنة المثقف.
- 100- ماهر مهدي هلال جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي و النقدي عند العرب دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة بغداد
- 101- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث و بنياته وإبدالاتها ، دار توبقال المغرب ، ط 1/ 1990 .
- 102- محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، السخرية في أدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي منور الأذهان و فارس البيان منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2009.
- 103- محمد بن قاسم بو حجام ، من أساليب السخرية في أدب الإمام الإبراهيمي ،مجلة الوعي ، العدد 2 ، ذو القعدة . ذو الحجة 1431، نوفمبر 2010.

- 104- محمد التّوخي ، راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1993 ، ج / د .
- 105- محمد حسن شرشر ، لباب البديع ، ط2، 2003.
- 106- محمد الحضري ، أصول الفقه ، دار الفكر 1988 .
- 107- محمد داوود ، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصر، دار غريب للطباعة و لنشر و التوزيع ، ط/2003 .
- 108- محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بريلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، مج / 28 ، العدد 3 ، مارس 2000 .
- 109- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية – الشريعة التونسية للتوزيع، نوس 1998 .
- 110- محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير عالم الكتب ، القاهرة ط 2 2000 .
- 111- محمد عبد الله جبر ، الأسلوب و النحو دراسة تطبيقية في بعض الظواهر النحوية دار الدعوة للطباعة و النشر و التوزيع ط 1، 1988 .
- 112- محمد علي الكبسي ، ميشيل فوكو دراسة ، دار الفرقد للطباعة و النضر و التوزيع ، ط 2 / 2008 .
- 113- محمد فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1403-1983، ج26.
- 114- محمد محمد يونس على وصف اللغة العربية دلاليًا، منشورات جامعة الفاتح، ط 1993 .
- 115- محمد مشبال البلاغة و الخطاب منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة الجزائر ط1 2014 .
- 116- محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ،و التوزيع، ط1990.
- 117- _____، تحليل الخطاب المركز الثقافي ط3 1992 .

- 118- _____، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ط2 1986 .
- 119- محمد مهران، دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د/ط، 1998
- 120- محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات منشورات الجامعة التونسية 1981 .
- 121- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر دار المعرفة الجامعية .
- 122- المرادي ، الجني الداني ، تحقيق فخر الدين محمد قباوة و نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.
- 123- محمود عباس عبدالواحد ، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي دراسة مقارنة
- 124- محمود عكاشة التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة راسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية دار النشر للجامعات ط 1، 2011 .
- 125- _____، النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ ،مكتبة الآداب القاهرة مصر ط1 2013
- 126- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ، بيروت ،لبنان ،ط/20051 .
- 127- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية المكتبية العصرية صيدا – بيروت ط 38 . 2000 ج3
- 128- موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية مصر ج8 .
- 129- ناصر حامد أبو زيد ، الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية الماز في القرآن الكريم عند المعتزلة المركز الثقافي العربي ط 4 1998 .

130- نور الدين جعيط تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث الأردن ط1/ ، 2012

131- نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري و السردى دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر 2010 ج 1 .

132- يحي رمضان القراءة في الخطاب الاصولي الإستراتيجية و الإجراء عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1 2007 .

133- يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية و التطبيق دار المسيرة عمان الأردن ط1، 2007

134- يوسف أبو العدوس ، التشبيه و الاستعارة من منظور مستأنف دار المسيرة عمان الأردن ط3/2015

ثالثا المراجع المعربة :

135- أوستين ، نظرية أفعال الكلام ، ترجمة عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق، 1991 م .

136- أوزولد ديكورو، جان ماري تشاهيغر: القاموس الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2007 .

137- آن ربول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد ترجمة سيف الدين دفعوس د.محمد الشيباني، دار الطبيعة للطباعة و النشر، ط1، 2003 .

138- باتريك شارودو، لسانيات الخطاب. ترجمة محمد باحباتن في اللغة العربية مجلة يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، دار هومة الجزائر، العدد 2 .

139- برند شلبنز علم اللغة و الدراسات الادبية . منذر عياشي مركز الإنماء القومي لبنان دت .

- 140- بروان ويول ، تحليل الخطاب ، تر محمد لطفي الزليطي ، منير التركي ،
جامعة الملك سعود ، 1997.
- 141- ببير بورديو الرّمز و السلطة ترجمة عبد السلام بنعبد العال دار توبقال ط3
2007
- 142- تشيتشيريون الأفكار و الأسلوب دراسة في الفن الروائي و لغته ، ترجمة
حياة شرارة دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة و الاعلام بغداد العراق ط ،
د ت .
- 143- توين فان دايك الخطاب و السلطة ترجمة غيداء العلي ، المركز القومي
للترجمة القاهرة مصر ط1 2014 .
- 144- جان سيرفوني ، الملفوظية، ترجمة د.قاسم مقداد منشورات اتحاد الكتاب
العرب د ت ط .
- جان كوهن بنية اللغة الشعرية تر محمد الولي و محمد العمري دار توبقال الدار
البيضاء المغرب ط1 1986.
- 145- ج براون ، ج سيرل ، تحليل الخطاب ، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي
و منير التركي جامعة الملك سعود للنشر العلمي 1997 - جورج بلانرييه
الانثروبولوجيا السياسية تر علي المصري المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و
التوزيع بيروت لبنان ط2 2007 .
- 146- جوليا كرستيفا . علم النص ، ترجمة فريد الزاهي عبد الجليل ناظم ، دار
توبقال للنشر - المغرب ، ط1، 1991، م:78.
- 147- جاكوب ، جي .مي، الموسوعة التداولية المختصرة الأدبية ، ، ترجمة أحمد
عدنان حمدي .
- 148- ج - وليام لابييار - السلطة و السياسة ترجمة إناس حنا منشورات - عويدات
- بيروت - ط 3 / 1983
- 149- جون سيرل ، القصديّة بحث في فلسفة العقل ترجمة أحمد الأنصاري ، دار
الكتاب العربي بيروت لبنان 2009 .

- 150- جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع " الفلسفة في العالم الواقعي " ، تر سعيد الغانمي منشورات الاختلاف الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون المركز الثقافي العربي المغرب ط1 2006.
- 151- جورج يول التداولية تر قصي العتابي دار الأمان الرباط ط1 2010 .
- 152- جيرو الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري حلب سورية ، ط/2 ، 1994 .
- 153- جو لاينز اللغة و المعنى و السياق ، ، ترجمة د، عباس صادق الوهاب ، مراجعة د، يوثيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية ، ط1 ، 1987 .
- 154- دي بوغراند، النص و الخطاب و الاجراء روبرت ، تر تمام حسان ، عالم الكتب بيروت لبنان ط1 1998
- 155- ديان مكdonيل ، مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة عز الدين إسماعيل المكتبة الأكاديمية ، ط1 2001 .
- 156- رولان بارت ، درس السيمولوجيا ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي -دار توبقال للنشر - الدار البيضاء ط3 .
- 157- رولان بارت ، درس السيمولوجيا ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي -دار توبقال للنشر - الدار البيضاء ط3 . 1993 .
- 158- ساميول تيفين ،التناص ذاكرة الأدب، تر :نجيب غزاوي اتحاد كتاب العرب، دمشق ، د . ط 2007 .
- 159- كريستيان بلانتان ، الحجاج ترجمة عبد القادر المهيري دار سيناترا تونس 2008 .
- 160- ماكس فيير رجل العلم ورجل السياسة (ترجمة نادر ذكرى) دار الحقيقة للطباعة و النشر ط 1982بيروت .
- 161- ميشال فوكو المعرفة و السلطة ترجمة عبد العزي العيادي المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت لبنان ط1 1994 .

- 162- هينرش بليث البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة محمد العمري ، أفريقيا الشرق المغرب 1999 .
- 163- والترج أونج الشفاهية و الكتابية تر حسن البنا عز الدين عالم المعرفة 1990،
- 164- جورج لايكوف و مارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها تر عبد المجيد جحفة دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب ط2009/2

المراجع باللغة الأجنبية :

- 165- Austin, quand dire c'est faire paris le seuil 1970
- 166- Patrick Charaudeau. Dominique Mangueneau
Dictionnaire D'analyse de discours. Edition du seuil . Fivrier/
2002
- 167- Jacques Møeshler Anne Reboul . Dictionnaire
encyclopédique de Pragmatiqu edition de Seuil .Octobre /1994 .
- 168- J.Caelen , Elements de linguistique et de la pragmatique
pour la comprehension automatique du la langage , federation IMAG
Grenoble Cedex 9 France.
- 169- Joelle réthoré , la pragmatique linguistique de
Peirce .études littéraires 213*1989*.
- 170- Séverine Abiker . Lécho paradoxale . etude stylistique de la
répétition dans les récits brefs . thèse de doctorat soutenue à l
université de poitiers 2008

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	إهداء
	شكر
	مقدمة
13	المدخل: البعد المنهجي للدرسين الأسلوبى والتداولى " الرؤية/الاختلاف/الانتلافه "
13	مصادر الدرس الأسلوبى واتجاهاته
13	مفهوم الأسلوبية
17	مفهوم الأسلوب فى الدراسات الحديثة
19	اتجاهات الأسلوبية
23	الدرس التداولى المفهوم والمصادر والاتجاهات
23	مفهوم التداولية
25	مصادر الدرس التداولى المعاصر
29	توجهات التداولية المعاصرة
34	جدلية العلاقة بين التداولية والبلاغة
38	بين الأسلوبية والتداولية والبلاغة
41	الخطاب و استراتيجياته بين القصد و السلطة : " تحديداته اصطلاحية "
50	الفصل الأول : السياق و أثره فى اختيار الاستراتيجيات الخطابية
50	فى مفهوم السياق
50	السياق فى الثقافة اللغوية الغربية
54	السياق فى الثقافة اللغوية العربية
62	معايير تصنيف الاستراتيجيات الخطابية
63	معايير العلاقة بين طرفى الخطاب

65	قواعد التّخاطب
74	معيّار هدفه الخطاب
75	أهمية المهدف في بناء الخطاب
83	معيّار شكل الخطاب
84	العوامل المؤثرة في اختيار الاستراتيجيات الخطابية
84	معيّار القصد
94	القصد بمفهوم الإرادة
99	القصد بمفهوم المعنى
104	معيّار السلطة
108	جدلية العلاقة بين السلطة و الخطاب
113	مصادر السلطة
119	السلطة بالخطاب
	الفصل الثاني : البنى الأسلوبية في خطاب البشير الإبراهيمي
122	المستوى الصوتي في خطاب البشير الإبراهيمي
123	جمالية التكرار في خطاب البشير الإبراهيمي
131	جمالية الجناس في خطاب البشير الإبراهيمي
134	جمالية السجع في خطاب البشير الإبراهيمي
138	جمالية الطباق في خطاب البشير الإبراهيمي
140	التناس في خطاب البشير الإبراهيمي
142	شكل التناس في خطاب البشير الإبراهيمي
159	المستوى التركيبي في خطاب البشير الإبراهيمي
159	التقديم و التأخير
162	الحذف
167	الفصل و الوصل
170	المستوى الدلالي في خطاب البشير الإبراهيمي

171	جماليتة التّشبيّه في الخطاب البشير الإبراهيمي
174	جماليتة الاستعارة في الخطاب البشير الإبراهيمي
178	جماليتة التّعريض في خطاب البشير الإبراهيمي
	الفصل الثالث الاستراتيجيتة التوجيهية و التضامنية في خطاب البشير الإبراهيمي : /المفهوم/التجليات/ الآليات
183	الاستراتيجيتة التوجيهية في خطاب البشير الإبراهيمي المفهوم /التجليات / الآليات:
183	مفهوم الاستراتيجيتة التوجيهية
188	الوسائل اللغوية في الاستراتيجيتة التوجيهية
188	الأمر
192	النهي
193	الاستفهام
196	التّحذير
199	الإجراء
202	العرض و التّحريض
206	التوجيه المركّب
207	ذكر العواقب
209	الاستراتيجيتة التضامنية في خطاب البشير الإبراهيمي :المفهوم / التجليات / الآليات
209	مفهوم الاستراتيجيتة التضامنية:
210	مبادئ التّخاطب
220	المظاهر اللغوية في الاستراتيجيتة التضامنية
220	الإشارات
220	الأشارات الشخصية

226	الأشعار الاجتماعية
230	الخطاب غير المباشر
	الفصل الرابع : الاستراتيجية التلميحية و الإقناعية في خطاب البشير الإبراهيمي "التجليات والآليات"
	الاستراتيجية التلميحية في خطاب البشير الإبراهيمي : المفهوم / التجليات / الآليات
233	مفهوم الاستراتيجية التلميحية
234	الأدوات والآليات اللغوية
234	الفاظ الكنايات و الروابط و الظروف الانجازية
236	أفعال الكلامية غير المباشرة:
238	البعد التلمحي للثنائية المتضادة الأمر و النهي في خطاب البشير الإبراهيمي
243	البعد التلمحي للاستفهام في خطاب البشير الإبراهيمي
251	البعد التلمحي للتشبيه في خطاب البشير الإبراهيمي
253	البعد التلمحي للاستعارة في خطاب البشير الإبراهيمي
255	البعد التلمحي للتكلم في خطاب البشير الإبراهيمي
260	البعد التلمحي للتعريض في خطاب البشير الإبراهيمي
261	الآليات الشعرية منطقية في خطاب البشير الإبراهيمي
261	الاستلزام الحوارى
268	الاستلزام الحوارى و التناص في خطاب البشير الإبراهيمي
271	الاستراتيجية الإقناعية في خطاب البشير الإبراهيمي : المفهوم / التجليات / الآليات
272	آليات الإقناع في خطاب البشير الإبراهيمي
273	الآليات غير اللغوية في خطاب البشير الإبراهيمي

274	أكبة العجاج في خطاب البشير الإبراهيمي
277	العوامل و الروابط العجاجية
278	-وظائف العوامل العجاجية
279	العجاجية في خطاب البشير الإبراهيمي - الروابط
283	عجاجية الصفة في خطاب البشير الإبراهيمي
284	عجاجية الألقاب في خطاب البشير الإبراهيمي
287	روابط التعارض العجاجي في خطاب البشير الإبراهيمي
292	العوامل العجاجية في خطاب البشير الإبراهيمي
303	الآليات البلاغية في خطاب البشير الإبراهيمي
314	الآليات شبه المنطقية
320	الخاتمة
325	قائمة المصادر و المراجع
342	فهرس الموضوعات

ملخص

Résumé

Résumé de la thèse

Le discours est une production intellectuelle incarnée par l'expéditeur à travers des outils linguistiques et des mécanismes organisés d'une manière qui reflète sa vie privée et sa manière de traiter l'autre «récepteur» selon les exigences du contexte en révélant le but de son discours, par exemple en cherchant à imposer son autorité au destinataire, afin de lui rapprocher et d'obtenir sa modestie et donc de construire des relations sociales solides et intimes, ou de chercher à le convaincre sans utiliser son autorité. Alors afin d'atteindre son but ,l'expéditeur adapte des plans appelés «stratégies du discours»: ce sont les méthodes ou les schémas linguistiques qui ont formé des phénomènes linguistiques et ont attiré l'attention des chercheurs qui les ont étudiés et analysés comme étant des manifestations de la compétence langagière ainsi que la pragmatique comme étant le produit d'une série de procédures mentales faites par l'expéditeur .tout cela est révélée par la langue du discours, qui se cristallise selon les exigences du contexte « Exigences : Les circonstances et les facteurs entourant le processus de production du discours ».Alors ,le pouvoir et l'objectif jouent un rôle fondamental dans les processus de construction et d'interprétation. Donc les fonctions du langage à partir d'une perspective pragmatique ne peuvent se faire que par l'étude des stratégies du discours, que l'émetteur adapte et qui ne peut pas être déterminée indépendamment de son but et du contexte avec ses différents éléments. Sur la base de cette perception de l'importance des stratégies pragmatiques, nous avons choisi un corpus langagier qui combine la magnificence du lexique et la force d'influence et de persuasion. Ce corpus se caractérise dans sa dimension communicative d'une profondeur qui exige la patience et suscite la découverte

et dû son existence à une personnalité active qui a influencé l'identité algérienne en particulier et l'arabo-islamique en général **Al-Bashir Al-Brahimi**. En effet, le principal motif qui nous a poussé à choisir ce corpus est la recherche à restaurer l'esprit au discours qui était à l'origine de l'encadrement des souches langagière arabes sans oublier la dimension directive, renaissante et réformiste de ce recueil. Nous avons tenté à travers notre recherche qui s'intitule « Les stratégies de discours entre le pouvoir et l'intention une approche stylistique et pragmatique le discours directif comme model » de dévoiler les différentes stratégies et les dimensions discursives qu'approprie le discours directif d' Albashir Al-Ibrahimi

Plan de travail :

Parce que le discours est un acte langagier qui se base sur le processus de sélection et de composition et qui représente le sens discursif sous un ongle langagier qu'adapte le destinataire pour expliquer son intension au destinataire. En effet, chaque sens a une forme langagière qui le dévoile tout dépend des positions langagières .De plus, chaque forme langagière est dotée d'outils spéciaux qui l'incarne ,et malgré que les contextes se diffèrent ,le destinataire ne sera que l'un des deux : soit annonceur ou demandeur .Ainsi le destinataire représente le sens de son discours à partir de deux stratégies langagières : soit l'annonce ou l'allusion qui constituent la base de la tendance ou la méthode stylistique qui surveille le travail littéraire à partir des trois énoncés : « choix, composition, écart » que nous avons adoptés comme méthode d'approche des stratégies du discours à leur niveau technique. Comme les stratégies du discours ont pour but l'étude de la réalisation linguistique (langue utilisée) cela nous a obligé à suivre une méthode de recherche qui se base sur le contexte et son impact dans la structuration du discours et de son sens. Cette méthode adaptée

est l'approche pragmatique car elle s'intéresse à la recherche de la réalisation entre le signe linguistique et ses interprétations en négligeant le niveau sémantique. Cela explique l'importance de l'approche pragmatique dans le suivi des changements de la langue dans le discours. On peut dire que l'identification des fonctions linguistiques à partir d'une perspective pragmatique ne peut se faire que par l'étude des stratégies du discours, envisagées par l'expéditeur et qui ne peut être déterminées indépendamment de son intention et de son autorité. Ainsi, la découverte de ces différentes stratégies et leurs images pragmatiques dans l'expression des fins de l'expéditeur et la démonstration de son autorité est importante, car la construction du discours de toute sorte doit être basée sur un but formulé en donnant au discours une certaine force de réalisation.

La nature de cette recherche nous a imposé le plan de recherche suivant :

D'abord, une introduction qui englobe une étude sur la pragmatique et la stylistique comme méthode de rapproche des stratégies du discours.

Ensuite, un premier chapitre qui s'intitule « le contexte et son impact sur la sélection des stratégies du discours. » comprenant une discussion sur le contexte et ses éléments et son rôle dans le processus de compréhension et le fait de faire comprendre. Ces éléments à leur tour, sont des facteurs influés dans la sélection des plans, des méthodes ou des stratégies pragmatiques qui sont classés selon des critères qui ne s'écartent pas de leur nature contextuelle comme objectif de la parole et le critère des relations sociales.

Aussi, un deuxième chapitre que nous avons appelé « le concept des stratégies d'annonciation et d'insinuation entre le patrimoine et la modernité » nous l'avons consacré à l'étude des stratégies de déclaration et d'insinuation, telles que les deux stratégies linguistiques qui incarnent la forme du discours. Le

deuxième chapitre est intitulé «Structures stylistiques dans le discours d'Al-Bashir Al-Ibrahimi». Ce chapitre tente de révéler les structures phonétiques, sémantiques et syntaxiques sur lesquelles le discours directif était basé.

De plus, Le troisième chapitre est décrit comme «les aspects de la stratégie directrice et de la solidarité dans la ligne directrice d'Al-Bashir Al-Ibrahimi», où nous avons essayé ici d'explorer les mécanismes linguistiques et non-linguistiques qui ont entraîné la résurgence de ce discours.

Enfin, un quatrième chapitre est intitulé « aspects stratégiques allusifs et persuasifs chez El- Ibrahimi, » où il a révélé les mécanismes linguistiques et rhétoriques et logiques qui ont fait du discours d'El-Ibrahimi un corpus à double démentions : allusive et persuasive.

Finalement, une conclusion comprenant les résultats les plus importants qui ont été constatés.